# الفصــل الثــاني
# العربيــة وظهـور الاســلام

د. مسـعود بوبـو

## أولا : الكتابة والتدوين :

يمثل ظهور الاسلام انعطافا تاريخيا كبيرا في حياة العرب والبشريــة ، وانتقالا حضاريا واجتماعيا له اثار خالدة في التاريخ تتجلى في نهجه الاصيل الرامي الى تنظيم حياة الانسان وتحقيق الامن والمساواة والعدل في المجتمع البشري ، ومؤالفة القلوب حول عقيدة التوحيد التي ترسم للحياة منهجا جديدا مغايرا لما عرفه العرب من قبل ، منهجاً يحتاج الى لغة جديدة تستوعب هذا الدين السماوي ، وتعبر عن قيمه وتصوغ فكره ، وتفي بحاجات تعالبمه وتشريعاته .. فكيف طور الاسلام هذه اللغة وارتقى بها منذ بزوغ فجره : في الكتابة والتدوين وتصنيف الكتب واشــاعة المكتبـات ، وفي المصطلحوالتعريب والترجمة ؟ وكيف أفاد من غناها وقدراتها في الاشتقاق والتوليـد والمجاز والوضع والنقل والارتجال والابداع .. وما الى ذلك مـن مظاهـر الثروة اللفظية والتنمية اللغوية .. ثم وظفها لصالح العقيدة والفكر والعلوم النقلية والعقلية؟.

لكي نتبع هذه الخطوط العريضة بالتدريج ، قد يكون مـن الموافق والمنطقي أن نبـدأ بالكتابة والتدوين .

ومن المعروف ان الكتابة ــ بمعنى اثبات اللغة برموز من الحروف يتفق عليها ــ كانت ظاهرة معروفة في تاريخ اللغة العربية قبل الاسلام ، واستمرارها يعدان امتدادا متناميا في هذا السبيل ، على نحو يصعب معه الفصل بين صورة هذه العملية في العصر الجاهلي ، وصورتها في الاسلام ، على غرار تقسيم عصور الادب مثلا . ولذا سنحاول ان نقف على نشأة الكتابة ملتمسين الادلة على وجودها في جانبين أساسيين هما :

آ ــ النقوش المتأخرة التي عثر عليها في مناطق بلاد الشام ، كما في أم الجمال ،

* نشـرت الحلقة الاولى من هــذه الدراسات في العدد ٣٤/٣٣ ( ١٩٨٩ ) ، والثانيــة في العدد ٣٨/٣٧ ( ١٩٩٠ ) ، والثالثة في العدد ٤٨/٤٧ ( ١٩٩٣ ) ، والرابعة في العددين ٥٠/٤٩ ( ١٩٩٤ ) .

وخربة زبد ، وحران ، والنمارة . . وما ذكر عن نقوش كنائس الحيرة وبِيَعِها . تلك التي كانت معروفة في عهد المناذرة وفيها أخبار العرب وأنسابهم(١) ، وما يشبه ذلك مما ذكر سابقا .

ب ـ الاخبار الكثيرة التي تناقلتها كتب اللغة والتاريخ عن معرفة العرب بالكتابة منذ العصر الجاهلي ، ولا سيما في حواضرهم آنذاك ، كمكة والمدينة ، وفي الشمال الشرقي والغربي من جزيرتهم ، وفي جنوبها باليمن .

أما النقوش فقد أثبتت الابحاث المبنية عليها والمستخلصة منها أن الكتابة عند العرب قد عرفت ومورست في شمال الجزيرة العربية متطورة من الخط النبطي ، وذلك منذ بداية القرن الرابع الميلادي . وبلغت درجة مقبولة من الكمال والوضوح في القرن السادس للميلاد كما ترجح المصادر الكثيرة المعنية بهذا الموضوع .

وأما فيما يتعلق بالاخبار المتواترة فيمكن القول ان كثرتها تجمع على فكرة معرفة العرب الكتابة منذ الجاهلية . من ذلك ما ذكر عن صحيفة المتلمس من عمرو بن هند ، ملك الحيرة ، الى أمير البحرين ، أو عامله هناك(٢) ، وربط مقتل طرفة بن العبد ( ابن أخت المتلمس ) بتلك الصحيفة التي حمل كل منهما ما يمكن أن يسمى نسخة أو صورة عنها ، في خبر معروف تتناقله كتب التراث وما ذكر عن معرفة أكثم بن صيفي ـ حكيم قبيلة تميم في الجاهلية ـ بفن الكتابة . وما ذكر من أن لقيط بن يعمر الإيادي كان كاتبا في ديوان كسرى ، يكتب بالعربية والفارسية ، وأرسل الى قومه يحذرهم من كسرى فقال :

هذا كتابي إليكم والنذير لكم ... لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا(٣)

وقال لهم أيضا :

سلام في الصحيفة من لقيط ... الى من بالجزيرة من إياد

فان الليث كسرى قد أتاكم ... فلا يشغلكم سوق النقاد(٣)

وذكر أن النابغة الذبياني كتب قصائد اعتذار بعث بها الى الملك النعمان بن المنذر، وانه كان في الجاهلية معلمون يكتبون ، مثل عمرو بن زرارة، وغيلان بن سلمة بن معتب الذي جاء بعده في الطائف يوسف بن الحكم الثقفي . ومن ذلك ما ذكر عن معرفة بعض الشعراء الجاهليين بهذا الفن ، كالمرقش الاكبر ، وسلامة بن جندل ، وعدي بن

زيد العبادي(٤) .. فضلا عن كتابة العهود والمواثيق والاحلاف وكتب الخلع والرقيق والديون وتخليد ذكر وفاة أو انتصار .

ولعل مما يعزز صدق هذه الاخبار ويرجح صحتها ما ورد ذكره من الفاظ تتصل بالكتابة وأدواتها في أشعار الشعراء الجاهليين ، كقول الحارث بن حلزة :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل ينقص ما في المهارق الاهواء (٤)

قال ذلك لما اختلف بنو بكر وبنو تغلب ، ثم اصطلحا عند عمرو بن هند وكتبوا بينهم عهدا . والمهارق ( في البيت ) : جمع « مهرق » وهو نسيج حريري كان يصقل ثم يستخدم في الكتابة ، والكلمة بالفارسية « من كرد » أي الصقل ، ومنها جاء تعبير « مهره بتوقيعه » . ولعل مما يؤكد فارسية الكلمة قول ابن حلزة نفسه :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس (٥)؟

وفي هذا اشارة صريحة الى أن العرب عرفوا « المهارق » من الفرس في وقت مبكر ، كما عرفوا أدوات الكتابة « القرطاس » ، ويبدو أنهم أخذوه عن الروم (٦) ، فقد نسبه طرفة بن العبد في شعره الى بلاد الشام حينما قال يصف ناقته :

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد(٧)

والقرطاس : الصحيفة يكتب فيها ، والسبت : الجلد المدبوغ المعالج بالقرظ لاستخدامه في الكتابة (٨) ، والاحتذاء . والظاهر أن أهل اليمن كانوا مهرة في اعداد الأدم ، حاذقين في صناعة أدوات الكتابة الاخرى كالعسيب الذي ذكر في شعر امرىء القيس ، في قوله :

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان(٩)

والعسيب : جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها بحيث تصبح صالحة للكتابة ، وقوله : كخط زبور : أي كخط الكتاب المزبور ، ومن ذلك أخذ معنى القلم عندهم حين سموه المزبر ( بالزاي وبالذال ) ، وكذا زبور داود عليه السلام ، أي صحفه . وعليه قول عمرو بن أحمر :

أم لا تزال ترجي عيشة أنفاً　　　لم ترج قبل ولم تكتب بها زبر(١٠)

وعرف هذا أيضا في شعر أبي ذؤيب الهذلي حيث قال :

عرفت الديار كرقم الدوا　　　ة يزبرها الكاتب الحميري(١١)

أي يكتبها ، والرقم هنا : الكتابة ، ومنه « المرقم » أي القلم .

وقال امرؤ القيس وذكر الزبور أيضا :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان　　　ورسمٍ عفت آياته منذ أزمان
أتت حجج بعدي عليها فأصبحت　　　كخط زبور في مصاحف رهبان(١٢)

وتجدر الاشارة هنا الى أنه ذكر المصاحف ، أي الكتب المجموعة في صحف . وذلك مما يتصل بالكتابة ويدلل عليها .

وممن ذكروا الزبر والقلم من شعراء الجاهلية لبيد بن ربيعة العامري ، قال :

درس المنا بمتالعٍ فأبان　　　وتقادمت بالحبس فالسوبان
فنعاف صارة فالقنان كأنها　　　زبر يرجعها وليد يمان
متعود فطن يعيد بكفه　　　قلماً على عسب ذبلن وبان (١٣)

والمنا هنا : المنازل ، حذف منها مقطعا صوتيا ( زل ) ، ويسمى هذا الاختصار أو القطع : « القطعة » كما مر في اللهجات قبلا . والحبس والسوبان ونعاف صارة والقنان : اماكن .

والزبر عنده : الكتب أو الصحف .

وقال لبيد أيضا :

وجلا السيول عن الطلول كأنها　　　زُبُر تجد متونها أقلامها(١٤)

أي كأن الاقلام الشبيهة بالسيول تجدد وجه الارض .. ويروى : تخد ، من الاخدود ، وهو الشق الطويل في الارض .

وقال المرار بن منقذ من ذلك :

وترى منها رسوماً قد عفت　　　مثل خط اللام في وحي الزبر(١٥)

والمقصود بالوحي هنا : نقش الكتاب ، والزبـر : جمع زبور . ولا معدى هنا عن الوقوف عند كلمة « الزبر » وقفة قصيرة ، ولا سيما عند ذكر زبور داود ، ومصاحف الرهبان ، لنذكر بأن العرب اخذوا الكتابة او الخط ـ على ما يرى بعض المؤرخين ـ عن « النصارى واليهود ، لانهم كانوا أصحاب كتب ، ولم يكن للعـرب كتاب ..»، وعليه قول أبي حية النميري :

كما خُطّ الكتاب بكف ـيوماً ـ | بهـودي يقـارب أو يزيـل(١٦)

ونقرن هذا القول مع قول الشماخ بن ضرار :

أتعرف رسماً دارساً قد تغيرا | بذروة أقوى بعـد ليلى وأقفرا
كما اختـط عبرانيـة بيمينه | بتيماء حبر ثم عرض أسطرا(١٧)

واذا لم يكن للعرب كتاب ـ كما قيد البطليوسي ـ فانهم كانوا يعرفونه ، أو كان تسمية مألوفة عندهم ، والا لما ذكر في أشعارهم كما في قول بشر بن أبي خازم :

وجدنـا في كتـاب بني تميـمٍ | أحق الخيل بالركض المعار(١٨)

ويروى : قرأنا ، في مكان « وجدنا » ، والمعار : السمين أو المسـمن .

وقد يكون الكتاب في تصورهم بمعنى الكتابة ، أو الكلام المكتوب ، كمـا في قول حاتم الطائي :

أتعرف أطـلالاً ونؤيـاً مهدمـا | كخطك في رق كتاباً منمنماً(١٩)

ويقوي هذا التصور وصفهم لآثـار الديار والمنازل الخاويات تتعاورها الريـاح راسمة عليها خطوطاً وتشكيلات على نحو ما تخلفه الكتابة المتأنية المتقنة ، من شواهد ذلك قول مالك بن جعفر بن كلاب :

فـان لهـا منـازل خاويـاتٍ | على نملـى وقفت بها الركابـا
من الأجزاع أسفل من نميـلٍ | كمـا رجعت بالقلـم الكتابـا
كتـاب محبـرٍ هـاج بصـير | ينمقـه وحـاذر أن يعابـا(٢٠)

والترجيع هنا : التأني في الكتابة كفعل الواشمة أو المخضبة . والمحبر : المكتوب كتابة حسنة، من التحبير الذي يعني التزيين ، لا من الحبر ،كما قد يتبادر الى الذهن. والهاجي : مفصل حروف الهجاء ، والهجاء هنا : تقطيع اللفظ بحروفـه . وينمقه :

يحسنه ايضا في الكتابة ، والظاهر أن الفعل « ينمقه » مشتق من لفظة فارسية الاصل هي « نامـة » اي الكتاب .

ومن ألفـاظ الكتابـة أو أدواتها التـي تتردد في أشـعار الجاهليين : المجلـة ، والصحيفة ، والقلم ، فقد ذكر المجلة الشاعر النابغة الذبياني في قوله :

مجلتهـم ذات الإلـه ودينهـم ... قويم به يرجون خير العواقب(٢١)

والمجلة : صحيفة كانوا يكتبون بها الحكمة . وذكرت الصـحيفة مقرونة باسـم الشاعر المتلمس الضبعي ، كما ذكرها ثعلبة بن عمرو السعدي في قوله :

لمـن دمـن كأنهـن صـحائف ... قفار خلا منها الكثيب فواحف

أكـب عليهـا كاتـب بدواتـه ... يقيم يديـه تارة ويخالف (٢٢)

أي يسوي سطوره مرة ويخالف أخرى ، بجيء بهـا على غير اسـتواء . وأراد بالصحائف هنـا ما فيهـا من النقش والكتابة ، وجـاء في بعض الكتب والمعاجـم أن الصحيفة : الكتاب . .

وممن ذكروا « القلم » الشاعر لبيد في بيته السابق : « وجلا السيول . . البيت » . والمرقش الأكبر في قوله :

الـدار قفـر والرسوم كمـا ... رقش في ظهر الأديم قلـم (٢٣)

وامية بن أبي الصلت في قوله :

قـوم لهـم سـاحة العراق إذا ... ساروا جميعاً والقط والقلم(٢٤)

والقلم عند المحدثين معرب عن اليونانية ، عن لفظ Kalamous ، ويسـمى بالعربية اليراع ، والاسـمر(٢٥) .

ونضيف الى هذه الالفاظ والمسميات ما جاء من الفاظ تتصل بعملية الكتابة ، أو بفن الخط ، كقولهم : الكتاب المنمنم ، أو المرقش ( كما في بيت المرقش الاكبر أعلاه ) وكقول طرفة بن العبد :

أشـجاك الربـع أم قدمـه ... أم رمـاد دارس حممـه

كـسطور الـرق رقشـه ... بالضـحى مرقش يشـمه (٢٦)

والرق : الجلد الرقيق المستخدم في الكتابة . ويتمه : ينقشه ويزينه كالوشم في المعصم أو ينقطه . والمرقش من الرقش ، أي الاستعانة بالتزويق والزخرفة للتحسين في الخط وتقويمه ، أو للتسطير في الصحف . ومنه : ترقشت المرأة إذا تزينت .

وجمع الأخنس شهاب — الى جانب الترقيش — ثلاثة ألفاظ تتصل بفن الكتابة حين قال :

لابنة حطان بن عوف منازل كما رقش العنوان في الرق كاتب(٢٧)

فذكر الرق ، والكاتب والعنوان . والرق مما سلفت الاشارة اليه في بيت طرفة بن العبد : « كسطور الرق رقته .. البيت » .

وفي اختصار وإجمال يمكن القول ان الترقيش ، والتنميق(٢٨) والتزيين والتحبير والتقطيع .. والزخرفة — فيما بعد — مظاهر تطور ومحاولات اتقان واجادة لفن الكتابة ..

والذي يعنينا هنا أن هذه المظاهر والمسميات لا بد أن تنهض أدلة كافية على معرفة العرب بالكتابة ، لأنها لم تأت من فراغ ، ولم تبد غريبة أو هجينة في العربية ، مع ما انطوت عليه من ألفاظ دخلية من لغات مجاورة ، كالقرطاس والمهارق والقلم والتنميق .. أما الورق ، والصحيفة ، والمرقم ، والزبور ، والمجلة ، والسطر ، والكتاب ، والهجاء ، والوحي ، والخط ، والرق ، والقط ، والعسيب والدواة(٢٩) .. فألفاظ عربية أصيلة . وكان معظمها أدوات بدائية ومحلية للكتابة ، أضافوا اليها عند الحاجة الأدم ( الجلود المدبوغة ) والصفاح (٣٠) ، وعظام الاكتاف ، واللخاف(٣١) ، والاقتاب(٣٢) ، والاضلاع ، والخزف ، والقماش .. وأمثال ذلك من الادوات التي ظلوا يستخدمونها حتى القرن الاول الهجري . وفي هذا الصدد يقول الدكتور ناصر الدين الأسد :

« كان العرب .. يكتبون في جاهليتهم ثلاثة قرون على أقل تقدير بهذا الخط الذي عرفه بعد ذلك المسلمون ، وقد أصبحت معرفة الجاهلية بالكتابة معرفة قديمة أمراً يقيناً يقرره البحث العلمي القائم على الدليل المادي المحسوس ، وكل حديث غير هذا لا يستند إلا الى الحدس والافتراض »(٣٣) .

تلك هي المرحلة الاولى من الكتابة والتقييد .

— **اما التدوين** فيعد استمرارا للكتابة وتنمية وتطويرا لها ، وبداية أو منطلقا لتسجيل نتاج العقل والوجدان .

ويرجع الفضل في التدوين الى الحافز الديني الذي كان مَعْقِدَ نشـاط علمـاء الاسلام وواحدا من أعمالهم الجليلة لتثبيت لغة العقيدة ودراستها ، وتسجيل حقائق التاريخ وتأصيلها بنياناً أساسياً لنهضـة لغويـة واسعة لم يكن مـن معدى عنهـا ، ولا سبيل الى بناء الحضارة الاسلامية الفكرية بغيرها .

والحقائق والأدلة المتصلة بالكتابة والتدوين في التراث والعصر الاسلاميين كثـيرة وموثقة باسنادها الى كتاب الله العزيز ، أرفع المصادر واعلاها حجة ومنزلة ، القرآن الكريم نزل منجّماً ، ودُوِّن في البداية مفرقاً ، بأيدي كتّاب الوحـي ، وفي طليعتهم : زيد بن ثابت ، وعلي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ، وطلحة بن الزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وحذيفة بن اليمان ، وعثمان بن عفـان ، وأبي بن كعب ، ومعاوية بن أبـي سـفيان ..

وعلى أيدي نفرٍ من هؤلاء وغيرهم تمت عملية تدوين القرآن كاملة ، وهي أضخم عملية تدوين وأدقها في الصدر الاول للاسلام . والى جانب هذا يذكر أنه عند مجيء الاسلام كان في مكة سبعة عشر كاتبا ، وفي المدينة أحد عشر كاتباً ، وأنـه لمـا حصر القرشيون المشركون محمدا رسول الله وآله في شِعب أبي طالب ، بعد اسلام عمـر بقليل كتبوا بينهم صحيفة وعلقوها في الكعبة ، وتقضي بمقاطعة بني هاشم .. ويذكر عن صحيفة سويد بن الصامت التي كان يحملها وفيها حكمة لقمان ، والتي يقـال انه ذهب بها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فقال له الرسول : « ان هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل منه : قـرآن أنزله اللـه تعالى علي ، هـو نور وهدى »(٢٤) .. ويذكر بعـدُ عسكر معاوية بن أبي سفيان رفعوا في وقعة « صفين » من المصاحف ما يقرب من خمس مئة كما يروى .. الى جانب كل ذلك نذكر كتابـة المعاهدات والرسائل ، كالمعاهدة التي أمر النبي (ص) بكتابتها إثر هجرته الى المدينـة لتنظيم العلاقات بين المهاجرين والانصار واليهود(٢٥) . وكالرسائل التي بعث بها الى القبائل في أمور العقيدة ، أو تقسيم الغنائم ، أو الأمان .. وكتب صلىالله عليه وسلم الى أهل اليمن : « من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم ، له ذمة الله وذمة رسول الله (ص) ، ومن أبى فعليه الجزية(٢٦). كما كتب (ص) الى ذرعة بن ذي يزن(٢٧) ، ولملوك حمير(٢٨) ، ولأكيدر صاحب دومة الجندل(٢٩) ، ولأهل هجر(٤٠) ، ووفد ثقيف(٤١) . ووجه العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي الى البحرين فصالحوه وكتب بينه وبينهم كتاباً(٤٢) .. فضلا عن رسائله الى ملوك الدول المجاورة للعرب ، كالمنذر بن ساوى ، والنجاشي ملك الحبشة ، والمقوقس عظيم مصر .

ونقرأ ــ الى جانب هذه الأخبار ــ من أي الذكر الحكيم قوله تعالى : ( والطور ،

وكتاب مسطور ، في رق منشــور )(٤٣) و ( نون والقلم وما يسطرون )(٤٤) و ( اقرأ باسم ربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم )(٤٥) ، كما نقرأ في سورة ( القرآن) أنه لما سأل الجاهليون النبي عليه السلام معجزات خارقة نزل الوحي بالرد عليهم، ومما جاء في ذلك قوله تعالى : ( ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل : سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا ) (٤٦) . . بل ان القرآن الكريـم حض الناس على ضرورة الاستعانة بالكتابة في بعض المعاملات كقوله تعالى : ( يا أيهــا الذين آمنــوا إذا تداينتم بدين ، الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه اللــه )(٤٧) .

ولكن ، مع الاقرار بوجود هذه الادلة كلها على شيوع الكتابة في العصرين الجاهلي والاسلامي ، تبقى هناك قضية أساسية لا يمكن اغفالها ، وهي أن الكتابة كانت تقتصر في الغالب على مراكز التحضر والعمران ، وكانت محدودة ووقفاً على الشؤون الخاصة جدا في حياة العرب ، ولم تستثمر أو تسخر للتدوين بمعناه الواسع حتى القرن الاول الهجري ومن الشواهد على هذا الامر قوله تعالى : ( وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة )(٤٨) . فالكاتب لم يكن مهيأ في كل حين ، ولم يجاف ابن ســلام الحقيقة حين أشار الى أن الشعر ــ ديوان العرب ــ لم يكن مدوناً ، ومن هنا قال على العلماء : « فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب » .

ولا ريب في أن أول ما اتجه العرب الى تدوينه القرآن الكريم ، وخاصة بعــد أن استشهد باليمامة وحدها في حروب « الردة » نحو سبع مئة رجل من حفظته زمــن الخليفة أبي بكر الصديق ، مما حدا بالخليفة عمر بن الخطاب الى مفاتحة أبي بكر بأمــر تدوين القرآن بعد أن قد دُوّن مفرقاً ( كما سلف القول ) ، وما زال به حتى أقنعــه بانجاز هذه المهمة التي أوكلت الى زيد بن ثابت وأحسن اتمامها على خير وجه بجمــع القرآن في نسخة واحدة ظلت عند أبي بكر حتى وفاته ، ثم انتقلت الى عمر ، فالــى ابنته حفصة حتى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي عهد الى زيد بن ثابت مرة أُخرى ، ومعه عبد اللــه بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمــن بن الحارث ابن هشام بنسخ الصحف التي كانت بحوزة حفصة . وهكذا تمت على أيدي هــؤلاء عملية تدوين القرآن في صورة نهائية ، وفي ست نسخ موحدة .

وكانت الخطوة الثانية في طريق التدوين بعــد القرآن تدوين الحديث بصــفته المصدر الثاني للعقيدة ، ولانه يمثل الجانب التطبيقي لهــا . وفي طليعة من اشــتغل بتدوين الحديث من الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص الذي قال عليه أبو هريرة : « ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني ، الا ما كان

من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب »(٤٩) . ويقول عبد الله بن عمرو نفسه في هذا الامر : « كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليم وسلم اريد حفظه »(٥٠) . كما يروى عن ابن عباس أنه كان أيضا يدوّن الاحاديث .

وثمة روايات اخرى كثيرة تدل على كتابة الصحابة للحديث وجمعه في صحف لحفظها ، على أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابته خشية اختلاطه عند بعضهم بالقرآن ، وتكريما لمنزلة القرآن وحده . ولكن بعض الاحكام الشرعية لم تفصل في القران الكريم ، فوجد اهل الرأي الحصيف من الصحابة وجاهة الاحتكام الى الحديث مخرجا ، وعوناً على الوصول الى سلامة القضاء والحكم في الامور الشرعية والفقهية . وعلى يدي محمد ن مسلم بن شهاب الزهري ( ت ١٢٤هـ ) في كتابه « الموطأ » بالمدينة، وسفيان الثوري ( ت ١٦١ هـ ) بالكوفة ، وحماد بن سلمة بن دينار (ت ١٧٦هـ) في البصرة ، وعبد الرحمن الاوزاعي ( ت ١٨٣ هـ بالشام . ثم يلمع في القرن الثالث الامام أحمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ ) في مسنده ، والبخاري (ت٢٥٦هـ ) ، والنيسابوري ( ٢٠٤هـ ) في كتابيهما « صحيح الحديث »، ثم تظهر كتب السنن ، كسنن ابن ماجة ( ت ٢٧٣هـ )، وسنن ابي داوود السجستاني (ت٢٧٥ هـ ) ، وسنن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ ).

وبمرور الزمن راح التدوين ينمو ويتسع ويشمل أمورا أخرى غير القرآن والحديث ، مثل القصص والاخبار ومغازي الرسول ( ص ) ، وأخبار الفتوح ، وانساب العرب .. ولعل أكبر ما دون في هذا المجال يرجع الى عهد معاوية بن أبي سفيان الذي استحضر من اليمن عبيد الله بن شريه الجرهمي ، الى دمشق وسأله عن أخبار المتقدمين من ملوك العرب والعجم وغير ذلك مما عنّ له ، فكان عبيد الله يجيبه عن كل ما سأل عنه . فأمر معاوية أن تدوّن أخبار عبيد الله في كتاب(٥١) منسوبة الى راويها، وهذا يعني أن التدوين في غير الاطار الديني الصرف يمكن أن يكون قد بدأ منذ منتصف القرن الاول الهجري(٥٢) .

ومنذ زمن ابن عباس ( ت٦٨ هـ ) بدأ التدوين في التفسير يتسع ويحمل عنوانات على غرار ما صنعه ابن عباس في « غريب القرآن »(٥٣) ، من مثل : مجاز القرآن ، معاني القرآن ، إعراب القرآن ، لغات القرآن ، إعجاز القرآن .. وكل ذلك يرمي الى هدف أساسي هو شرح ما غمض من القرآن الكريم ، وتوضيح أسباب النزول . الى غير ذلك مما يتصل بعلوم القرآن عامة .

ومن التابعين ممن دونوا وصنفوا في التفسير : عروة بن الزبير ، وسعد بن جبير،

والحسن البصري ، وقتادة وغيرهم . وقد انتهى هذا التفسير المأثور كله عن الصحابة والتابعين الى تفسير « جامع البيان في تفسير القرآن » لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ( ٢٢٤ ـ ٣١٠هـ ) ، وهو تفسير ضخم يقع في ثلاثين جزءا .

## ثانياً ـ المكتبات :

وكما هو منتظر فقد أفضت حركة التدوين المتنامية الى اقتناء الكتب وانشاء الخزائن الخاصة والمكتبات لحفظها ، وكان ذلك منذ زمن الامويين ، فعلى ما تذكر كتب التاريخ ـ مثلا ـ كانت خزائن كتب الوليد بن يزيد ـ الذي كان مولعاً بالشعر ـ تضم ما استنسخه من كتب حماد الرواية ، وجناد بن واصل ـ وكان أعلم الناس بالشعر ـ الى جانب مصنفات ابن شهاب الزهري على كثرتها(٥٤) ، وغيرها من الكتب حتى ان الوليد بن يزيد هذا حين قتل سنة ١٢٦ هـ حملت هذه الكتب من خزائنه على الدواب(٥٥) .

وكان بحوزة أبي عمرو بن العلاء كتب « ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ، ثم تنسك فأحرقها كلها ، فلما رجع عن تنسكه لم يكن عنده من العلوم الا ما وعاه في قلبه » (٥٦) .

وتذكر في جملة هذا النشاط مكتبة اسحاق بن سليمان العباسي التي كانت تمتلىء بالكتب والاسفاط والرقوق والقماطر والمساطر والمحابر ، على حد قول الجاحظ(٥٧) . ومثلها مكتبة يحيى بن خالد البرمكي ( كان عنده من كل كتاب ثلاث نسخ ) وربما فاقتها مكتبة الواقدي المؤرخ المشهور ( ت ٢٠٧ هـ ) التي كانت تشتمل على ست مئة صندوق مملوءة بالكتب(٥٨) .

ويذكر صاحب « الاغاني » أن هناك من أنشأ مكتبة تشبه النادي أو ما يسمى بالمركز الثقافي اليوم ، ولعلها الاولى من نوعها في المجتمع العربي الاسلامي ، وذلك في أوائل النصف الثاني من القرن الاول الهجري . يقول الاصفهاني : ان « عبد الحكيم ابن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقرات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار أوتادا ، فمن جاء زائرا أو قارئا علق ثيابه على وتد منها ، ثم جرد دفترا فقرأه ، أو نهض الى بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم »(٥٩) .

وانشأ بعض الوراقين لهم دكاكين كبيرة ملؤوها بالكتب للمتاجرة والاكتراء للقراءة ، وثمة أخبار تتحدث عن مكتبة علي بن عيسى المنجم . ومكتبة ابنه يحيى بن

علي .. فهذه الاخبار وامثالها تدل على أن عملية التدوين والتصنيف قد بدأت في حياة العرب منذ وقت مبكر ، وترجح ان هذا الوقت المبكر هو ما بعد منتصف القرن الاول الهجري كما سلف القول ، وان هذه العملية « أخذت تنمو وتتطور حتى اكتمل تدوين المعارف العربية الاسلامية في النصف الاول من القرن الثالث الهجري » (٦٠) ، أو كاد .

وحركة التدوين المبكرة هذه كانت حافزا قويا على اتساع دائرة الحياة العلمية ورواج الكتب والمخطوطات ، كما كان من ثمارها تفتح القرائح والعقول على ألوان شتى من العلوم والثقافات مما شغل النابهين من أهل المعرفة بالقراءة والكتابة فأكبوا على التحصيل والتأليف ولفتوا أنظار الناس واهتمامهم فصاروا موضع اجلال ، ومقصد طلاب العلم ، ومحل اكبار عند ذوي الشأن والسلطان ، وقد قوي هذا التيار العلمي حتى استقل بجانب عظيم من مسؤوليات السلطة الحاكمة وجعل الدولة بمفهومها الديني والاداري تضع في حسبانها مهمة جديدة لم تكن محل التفات من قبل ، الا وهي مهمة رعاية العلم والعلماء ، وهكذا كان الخلفاء والامراء سباقين الى استقدام المؤدبين لتدريس أبنائهم ، وكانوا الساعين الى انشاء المكتبات الضخمة ورصد الاموال لها كجزء من انفاقات الدولة . من ذلك مكتبة « بيت الحكمة » التي أنشأها المأمون ، ومكتبة « البرامكة » التي أنشأها الفضل بن عيسى البرمكي ..

وهكذا تنامى الاهتمام بالكتب حتى أصبح اقتناؤها والاكثار منها رمزا ودليلا على الرفعة والمكانة المرموقة في المجتمع العربي الاسلامي . من ذلك على سبيل المثال ما يروى عن الصاحب بن عباد من أنه كان اذا ترحل اصطحب معه أربعين بعيرا محملة كتباً ، على حين أن ما عنده من الكتب كان يحتاج الى أن يحمل على أربع مئة بعير أو أكثر (٦١) .

ولقد رفد هذا اللون من النشاط العلمي رافد مهم كان له طابعه الخارجي العام، وأسهمت في تعزيزه سلطة الدولة أيضا ، ونعني به « الترجمة »(٦٢) ، ورعاية المترجمين والباحثين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، والتغاضي عن تسرب ألوان من الثقافات المجاورة الى داخل حرم الثقافة العربية الاسلامية ، ان لم نقل اتاحة قدر مقبول من الحرية لها ؛ فكان ذلك كله من دواعي اختبار مقدرة العربية على الاستمرار واستيعاب المعطيات الحضارية المغايرة لما عرفته من قبل ، كما كان برهانا على مرونتها وقابليتها لأخذ مكانهاودورها في الحضارة البشرية ، ودافعا لها على التجدد والنماء والاغتناء .

.. وكانت العربية في كل خطوة في هذا المضمار تزداد مناعة ومَنَعة ، وتبدي

استعدادا واضحا لتقبل مظاهر التغير وهضمها والتعبير عنها في ميادين العلم والفن وسائر أشكال التحضر والرقي العقلي ، من غير تعثر أو تلكؤ ، أو تخل عن الاصالة وعناصر الابداع .

استئناساً بهذه الصورة العامة نستطيع القول ان اللغة العربية أسهمت كالعامل الديني والسياسي ( الفتوحات بوجه خاص ) ، في صنع الحضارة الاسلامية اسهاماً عظيماً ، بل كانت الاداة الاساسية في انجاح ذلك .. ولكن ، ما الذي ساعد اللغة العربية على أن تنهض بمثل هذه المهمة الجسيمة ؟!

القضية من المنظور التاريخي متداخلة يظاهر بعضها بعضا ، فالحاجة أم الاختراع كما يقال ، ولقد كانت الحاجة تقتضي الاستعانة باللغة مشافهة وكتابة لنشر الدين الاسلامي ، ولتدوين هذا التراث الثمين ، وللتفاهم مع الاقوام الداخلين في الاسلام ، او في دائرة السلطة السياسية ، ولصياغة نظم الحياة الاجتماعية والادارية في المجتمع العربي والديار الاسلامية بمن فيها وما فيها ، كما أن اللغة نفسها — من هذا المنطلق — استدعت من واقع الحال أن تسعى الجهات المعنية الى توفير متطلبات الافادة منها ، أي فرضت على هذه المرحلة المبكرة مسؤولية تهيئة وسائل للتدوين والتنظيم والتعليم بما يماشي حركة التطور وسرعتها المتنامية ، ويمثل اعدادا لانجاز خطة عامة متكاملة فى تلك المجالات .. ومن هنا نشأ التفكير بصناعة أدوات الكتابة والوراقة .

* * *

## الحواشي والاحالات :

(١) تاريخ الطبري : ٣٧/٢ ( ط.مصر ) ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الاسد ، ص ١٦٢ ( دار المعارف بمصر ) ١٩٦٥ .

(٢) قال ابن السيد البطليوسي : « .. وأما أول من طبع الكتب فعمرو بن هند ، وكان سبب ذلك أنه كتب كتابا للمتلمس فدفعه الشاعر الى عامله بالبحرين يوهمه فيه بجائزة ، وأمره فيه بضرب عنقه فاستراب به المتلمس ، فدفعه الى من قرأه عليه ، فلما قرئ عليه رمى بالكتاب في النهر ، وفر » ، وفي ذلك يقول :

والقيتها بالثني من جنب كافر
كذلك أجزي كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها
يجول بها التيار في كل محفل

والقط هنا: الصك ، وجمعه قطاط وقطوط. وانظر : « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»: ١٠٤ ( دار الجيل . بيروت ١٩٧٣ ) . وفي كتاب « الحلل في شرح أبيات الجمل » لابن السيد البطليوسي نفسه ( ط. الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٧٩ ) تحقيق د. مصطفى امام يرد الخبر ص ٩١ مع بعض اختلاف . وانظر أمالي المرتضى : ١٨٤/١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ( ط: الاولى ، القاهرة ١٩٥٤ ) ، والخزانة للبغدادي ٤٤٦/١ ، والاغاني ١٢٥/٢ - ١٢٦ .

(٣) مختارات ابن الشجري ، ج١/١ . والنقاد: صغار الغنم .

(٤) انظر : الاغاني ١٢/١٦ ( ط. دار الكتب )و ٢٤/٢٠ ( ط . الساسي ) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١٨٠/١ ( ط. دار المعارف )، شرح المعلقات السبع للزوزني : ٢٢٣ (ط. دار القاموس الحديث - بيروت ).

(٥) المفضليات للمفضل الضبي : ١٣٢ تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ( ط. دار المعارف ) . وعن المهارق انظر : الاقتضاب للبطليوسي : ٩٣.

(٦) هو باليونانية ( خارتس ) وتثلث قافه ، وانظر مثلا : المعجم الوسيط / قرطس .

(٧) ديوان طرفة بن العبد : ٢٧ ( المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت ) ، ومختارات الشعر الجاهلي : ٣١٣/١ . شرح وتحقيق مصطفى السقا ( ط ٤ . البابي الحلبي - القاهرة ) .

(٨) انظر : المعجم الوسيط / قرطس ، والقرظ : شجر عظام لها سوق ، من الفصيلة القرنية، وهي نوع من السفط العربي يستخرج منه صمغ مشهور .

(٩) ويروى البيت : ( ... كخط الزبور في العسيب اليماني ) وانظر الديوان : ٨٥ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ( دار المعارف بمصر ١٩٥٨ ) ، وصنعة الاعلم الشنتمري ص : ٢٠١ بتصحيح الشيخ ابن أبي شنب ( ط . الجزائر ) .

(١٠) جمهرة أشعار العرب لابي زيد القرشي:٨٤٣، تحقيق محمد علي البجاوي ( ط . القاهرة ).

(١١) ديوان الهذليين - القسم الاول : ٦٤ ( مصورة عن طبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٦٥) . وقال أبو ذؤيب نفسه وذكر الرقم :

برقم ووشم كما نمنمت
بميشمها المزدهاة الهدى

وانظر الاقتضاب لابن السيد البطليوسي : ٩٤ ( مرجع سابق ) .

(١٢) ديوانه : ٨٩ وما بعدها . والاقتضاب : ٩٢ ، والزبور هنا : الكاتب ( عن ابن قتيبة ) .

(١٣) شرح ديوان لبيد : ١٣٨ تحقيق د. احسان عباس ( الكويت ١٩٦٢ ) .

(١٤) نفسه : ٢٩٩ . ومثله ذكر المرقش الاكبر القلم و ( الترقيش ) في قوله :

الدار قفر والرسوم كما
رقش في ظهر الاديم قلم

ولعله بهذا سمي المرقش ، والاديم هنا : الجلد يكتب عليه . والقلم معرب .

(١٥) المفضليات : ٨٩ .

(١٦) الحلل في شرح أبيات الجمل : ٣٤٩ (م.س).

(١٧) ديوانه : ١٢٩ حققه وقدم له صلاح الدين الهادي ( ط . دار المعارف بمصر ١٩٦٨ ) .

(١٨) الشعر والشعراء : ١/١٨٠ ، والاغاني ٢٠/٢٤ ( ط. الساسي )، والمفضليات : ٢٤٤

(١٩) ديوانه : ٧٩ ( دار صادر ) ، بيروت ١٩٦٣ ).

(٢٠) غلى : ماء قرب المدينة . والقصيدة في المفضليات : ٢٥٧ ــ ٣٥٨ .

(٢١) ديوان النابغة ( ط. بيروت ١٩٦٠ ) والمجلة صحيفة كانوا يكتبون بها الحكمة . وانظر البيت في « مبادىء اللغة » للاسكافي : ٩٠ ( ط . القاهرة ١٣٢٥هـ ) . وفي « الصاحبي في فقه اللغة » لابن فارس : ١٥٤ « غير العواقب » بدلا من : خير العواقب .

(٢٢) المفضليات : ٢٨١ .

(٢٣) المفضليات : ٢٣٧ .

(٢٤) ديوانه : ٦٠ ( ط . بيروت ١٩٢٤ ) المكتبة الاهلية . ويقول شتيم بن خويلد الفزاري :

تسمع أصوات كدري الفراخ به
مثل الاعاجم تغشي المهرق القلما

وانظر « مصادر الشعر الجاهلي ) : ٥١ ( ط ٣ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ) .

(٢٥) وفيه يقول الشاعر :

وبيت على ظهر المطي بنيته
بأسمر مشقوق الخياشم يرعف

وانظر : الاغاني ٦/٢٧ ، وانظر ١٦/١٣٠ حول ما كتبه المرقش الاكبر على رحله .

(٢٦) ديوانه : ٦٨ وما بعدها ( ط. دار صادر ــ بيروت ) . وانظر : الاقتضاب لابن السيد البطليوسي : ٩٣ .

(٢٧) المفضليات : ٢٠٤ .

(٢٨) وذكر التنميق في شعر سلامة بن جندل حيث قال :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق
خلا عهده بين الصليب فمطرق

وانظر الاصمعيات : ١٣٢ للاصمعي ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ، و عبد السلام هارون ( ط٣ ، دار المعارف بمصر ) ، والاصمعيات : ٢١٣ .

(٢٩) وممن ذكر « الدواة » عبد الله بن عنمة الضبي حيث قال :

فلما رأيت الدار قفرا سألتها
فعي علينا نؤيها ورمادها

فلم يبق الا دمنة ومنازل
كما رد في خط الدواة مدادها

وانظر : المفضليات : ٣٧٩ ، والاصمعيات ٢٢٦ .

(٣٠) الصفاح : حجارة رقيقة عريضة .

(٣١) اللخاف : حجارة عريضة بيضاء .

(٣٢) الاقتاب : مفردها قتب ، وهو الاكاف الصغير على قدر سنام البعير .

(٣٣) مصادر الشعر الجاهلي : ٣٣

(٣٤) السيرة النبوية ٢/٦٨ .

(٣٥) انظر : نهاية الارب للنويري ٣٤٨/١٦ . ويذكر من ذلك أنه لما جاء عمر بن الخطاب ليبطش بأخته فاطمة وبزوجها لانهما كانا أسلما وجد عندهما خباب بن الارت يقرئهما القرآن الكريم في صحيفة مكتوبة ، وذلك قبل الهجرة بنحو سبع سنوات . وانظر : تاريخ ابن الاثير ٣٤/٢ . وقد ذكر المسعودي في « التنبيه والاشراف » أن زيد بن ثابت كان يكتب الى الملوك، ويجيب بحضرة النبي(ص)، وكان يترجم له بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، وكان تعلم ذلك بالمدينة من أهل الالسن . ولا تفوتنا الاشارة الى أسرى معركة « بدر » الذين كان فداء كل واحد منهم تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة . ولا صلح « الحديبية » المكتوب .. وانظر : « طبقات ابن سعد ١/٢ : ١٤ » .

(٣٦) فتوح البلدان للبلاذري : ٨٠ عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٣ .

(٣٧) فتوح البلدان : ٨١ .

(٣٨) نفسه ٨٢ .

(٣٩) نفسه ٧٢ .

(٤٠) نفسه ٩٠ .

(٤١) نفسه ٦٧ .

(٤٢) فتوح البلدان : ٨٩ .

(٤٣) سورة الطور : ٣/٥١ .

(٤٤) سورة القلم : ١/٦٨ .

(٤٥) سورة العلق : ٩٦/٣،٤،٥ .

(٤٦) سورة الاسراء : ٩٣/١٧ .

(٤٧) سورة البقرة : ٢٨٢/٢ .

(٤٨) سورة البقرة : ٢٨٢/٢ – ٢٨٣ . ويرد ذكر الكتابة في القرآن الكريم : ٥١ مرة ، وسطور الكتابة ثلاث مرات ، والكتاب ٢٦١ مرة ، والكتاب مرتين ، والقلم ثلاث مرات، والصحف ثماني مرات : والرق الذي يكتب عليه مرة واحدة ، والالواح أربع مرات . وانظر الايات والسور : الفرقان : ٥ ، النور : ٣٣ ، البقرة : ٢٨١ –٢٨٣، القلم : ١، العلق: ٤ ، الطور : ٣ ، النجم: ٣٦ ، عبس : ١٣ ، التكوير : ١٠ ، الاعلى : ١٨–١٩ ، المدثر : ٥٢ ، البينة : ٢، الاعراف : ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، البروج : ٢٢ .

(٤٩) فتح الباري : ١٨٤/١ – ١٨٥ ، وسنن الدارمي : ١٢٥/١ .

(٥٠) الموضع السابق : ١٨٥/١ ، ١٢٥/١ ، ومسند أحمد بن حنبل ٢١/١٠ .

(٥١) الفهرست لابن النديم : ١٣٨ ، ومروج الذهب للمسعودي : ٢٢٢/٣ ( ط.بيروت)

(٥٢) ينظر الفهرست : ٦٦–٦٧ ، ونشير هنا الى ان بعض الروايات تقول ان كعب الاحبار ( ت٣٤هـ ) ترك كتابا في تاريخ الاسكندر ، وعروة بن الزبير (٢٢–٩٣هـ) كان له فضل عناية بالتاريخ ولعله أول من صنف المغازي واحرق يوم الحرة سنة ٦٣هـ كتب فقه كان ألفها ثم حزن عليها اشد الحزن ، وان وهب بن منبه قد صنف كتابا في تايخ المتوجين من ملوك حمير ، وان خالد بن يزيد بن معاوية كتب أكثر من كتاب في الكيمياء والعلوم .

(٥٣) ويقول محمد ابو الفضل ابراهيم في مقدمة كتاب « الغريبين » ص ٥ انه أورد قدرا كبيرا منه ، وفي « المعجم العربي » : ٣٩/١ يسميها د. حسين نصار «مقتبسات» نقلها السيوطي في الاتقان .. وكتب في هذا الموضوع «غريب القرآن » جملة من القدماء منها : ابو سعيد ابان بن تغلب البكري ( ت ١٤١ هـ ) ، محمد بن السائب الكلبي ( ت ١٤٦ هـ ) ، أبو فيد المؤرج السدوسي ( ت ١٧٤ ) ، علي

بن حمزة الكسائي ( ت ١٨٢ هـ) ، محمد بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢هـ) النضر بن شميل ( ت ٢٠٣ هـ ) ، قطرب ـ محمد بن المستنير ( ت٢٠٦هـ ) ..الخ .

(٥٤) يقال ان ابن شهاب الزهري كان يجلس في بيته ويحيط نفسه بالكتب يضعها حوله، وكان يطوف في البلدان ومعه ألواح وصحف يكتب عليها كل ما يسمع ، وكان حجة في السنة والحديث حتى ان عمر بن عبد العزيز قال في شأنه : عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون احدا أعلم بالسنة الماضية منه . ولقد شغل الزهري بكتبه عما سواها ، حتى عن أهل بيته ، ولهذا قالت له امرأته ذات يوم : والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر . « الفهرست : ١٣٤ ، والبيان والتبيين : ٢/٢٩٠» .

(٥٥) الطبقات الكبرى ٢/١٣٦ .

(٥٦) الاغاني ٤/٥٢ ، وفيات الاعيان ٤/١٧٧ – ١٧٨ ، البيان والتبيين ١/٣٢١ .

(٥٧) الحيوان : ١/٦١ .

(٥٨) معجم الادباء : ١٨/٢٨١ .

(٥٩) وفيات الاعيان : ٣/٤٦٦ .

(٦٠) انظر « المصادر الادبية واللغوية » للدكتور عز الدين اسماعيل : ٢١ ، والفهرست: ٦٦ ـ ٦٧ ، حيث يرسم ابن النديم صورة تفصيلية لما آل اليه امر المكتبات بعد هذا فيقول على مكتبة صاحب له هو محمد بن الحسين ( زمن بني حمدان ) : « أخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمئة رطل من جلود وصكاك وقراطيس وورق صيني وورق تهامي وجلود ادم فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والاخبار والحكايات والاسماء والانساب ، ولكنها كانت خلقة .. وكان على كل ورقة مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدا اثر واحد ثم يقول : ورأيت في جملتها مصحفا بخط خالد بن ابي الهياج وصاحب علي ، ورأيت فيها بخط الامامين الحسن والحسين، ورأيت عنده أمانات وعهودا بخط أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن خطوط علماء النحو واللغة امثال أبي عمرو بن العلاء ، وابي عمرو الشيباني » .

(٦١) معجم الادباء : ٦/٢٥٩ .

(٦٢) سيجيء الحديث عن الترجمة بشيء من التفصيل .

* * *

# اخناتـون وبـلاد الشـــام

## السـلطة والمعارضــة

محمود عبد الحميد احمد

يعد أخناتون شخصية فريدة في تاريخ البشرية . فانـك ما أن تسـمع اسـم اخناتون الا ويتبادر الى ذهنك ذكرى فيلسوف عظيم كـان له السبق بالدعوة الـى الوحدانية في عصور موغلة في القدم . وأنك لتعجب حقا لهذه الدعوة المبكرة ، وتكون بين مصدق ومعـجب بهذهالشخصية الفـذة . ولم يقف أخناتون عنـد الدعوة الى وحدانية ربه ، بل أسبغ عليه من الصفات ما يجعلنا ندهش لهـذا الابداع في صفات الـه كلها رحمة ومحبة وخير للبشر عامة ، في وقت كانت رحمة الـه قوم أو منطقـة لا تتنزل الا عليهم ، وكان أي اله يسوق الاخرين أسرى ويقتلهم وينكل بهم أمام مـن يعبدونـه .

ان شخصية أخناتون ـ كما سنرى ـ متعددة الجوانب ، فهو أول من حاول أن يجدد في عالم الدين والفكر والفن والعلاقات بين الشعوب . وقد كان اخناتون مخلصا لمبادئه ، صادقا في كل ما دعى اليه، على الرغم من قوة التقاليد وجبروتها، واستخدامها من قبل أعدائه ( كهنة أمون ) سلاحا ضده . وهكذا فاني أستطيع القول بناء على كل ما جاء به اخناتون ، ان هذا المفكر العبقري أول ثائر عالمي . لم ترهبـه قوة الكهنـة الاقتصادية ، ولا تغلغل نفوذهم الديني والثقافي في نفوس المصريين . ولا قوة التقاليد التي كانت راسخة رسوخ الجبال في أذهان المصريين القدماء . بل مضى في طريق دعوته غير هياب ، ولسان حاله يقول : لن أترك هذا الدين . وفي السطور التالية سوف أحاول كتابة قصة أخناتون من أولها الى آخرها .

### مصر قبل اخناتـون :

نتج عن تحرر مصر من حكم الهكسوس في مطلع القرن السادس عشر قبل الميلاد ( ١٥٧٥ ق.م ) نتائج عظيمة . من أهم هذه النتائج ، تحقيق الوحدة المصرية للمـرة الثالثة . بعد أن كان حكام الاقاليـم يحكمون أقاليمهم شـبه مستقلين عن سـلطة

الهكسوس ، حيث قبل الهكسوس بهذا الوضع ، طالما كان حاكم الاقليم يعترف بسيادتهم ويدفع لهم الجزية . وعلي ان اشير هنا الى قانون عام في تاريخ الشعوب ، يتلخص في أنه ما من شعب حقق وحدته الا وامتلك قوة كبيرة ــ بالقياس لماضيه القريب ــ تجعله يبحث عن مكان له تحت الشمس، وهذا ما حصل للشعب المصري بعد تخلصه من حكم الهكسوس كما سنرى . والنتيجة الثانية هي تكوين الجيش المصري فقد كان الجيش المصري قبل الان يجمع من الاقاليم ، حين تقتضي الاحوال ، كما فعل الملك بيبي الاول في الدولة القديمة . ولكننا الان ، نرى الوضع قد تغير كثيرا بعد حرب الهكسوس . فالاسطول الحربي المصري أصبح مؤسسة قائمة بذاتها ، يأتمر افراده بأمر الفرعون . وقد بدأ هذا واضحا خلال حرب الهكسوس(١) . وأصبح الجيش البري تحت امرة الفرعون وال ضباط . والمرء يلمس هذا واضحا كل الوضوح في حروب ملوك الاسرة الثامنة عشر(٧). أما النتيجة الثالثة ، فهي وجود ادارة مركزية منظمة ، ذات خبرة عظيمة ، استطاعت هذه الادارة ، أن ترسل الجيوش المصرية الى الفرات في أقصى الشمال ، والى قلب افريقية . كما استطاعت هذه الادارة ، أن تشرف على شؤون البلاد الدينية والادارية والاقتصادية والاجتماعية . فأرسلت البعثات التعدينية والتجارية الى بلاد البونت والى سيناء ، والى بلاد الشام . كما نظمت الزراعة وأشرفت عليها .

سعت الامة المصرية وقد تحررت من الهكسوس ، ورتبت البيت المصري من الداخل الى ايجاد استراتيجية تستطيع من خلالها التعامل مع شعوب المنطقة في مستقبل الايام . وبرز هنا رأيان ، وكل من الرأيين يرى أن على مصر أن تغير من استراتيجيتها السابقة تجاه الشعوب المحيطة بها . فالمناعة الالهية الطبيعية ، حيث لا تسبغ الالهة حمايتها الا على مصر ، قد فشلت بعد غزو الهكسوس . وقال أصحاب الرأي الاول والاقدم ــ الملكة حتشبوت وأنصارها ــ ان عزة مصر وتفوقها لا يتحققان الا من خلال التفوق الثقافي والاقتصادي على شعوب المنطقة . وقال أصحاب الرأي الثاني ــ الملك تحوتمس الثالث وأنصاره ــ ان عزة مصر وتفوقها لا يتحققان الا من خلال قيادة الجيوش العظيمة المدربة ، والانتصار في المعارك الحربية . وبعد صراع قصير بين المبداين ، نجح أصحاب الرأي الثاني ، واستطاع تحوتمس وأنصاره تكوين امبراطورية تمتد من الفرات وجبال طوروس في سورية الى حدود السودان . وحمل الفراعنة الى مصر الكثير من الاسلاب والغنائم خلال حروبهم في بلاد الشام أو النوبة . كما حملت الشعوب التي أصبحت تحت السيطرة المصرية جزاها السنوية الى قصر الفرعون . ومن المؤكد أن عظمة مصر في هذا المجال وصلت الذروة في عهد الملك امنحوتب الثالث حوالي ١٤٠٥ ق.م. فالامبراطوريات الكبيرة في منطقة الشرق القديم من حثية ومتيانية وكاشية وآشورية ، آمنت بأن مصر قوة كبيرة لا يمكن قهرها ، تمتلك جيشا عظيما ،

وتسيطر على بلاد الشام التي تعد من أعظم المناطق ، بسبب مرور الطرق التجارية العالمية خلالها عصرئذ . ولذلك سعت اليها تحمل الهدايا لتكسب صداقتها . وهنا التفت امنحوتب الثالث الى متع الدنيا ، من شراب ، وبناء ، وصيد ، ونساء . وقد نتج عن وجود ملك غير محارب على رأس السلطة المصرية ، غير هياب بأحوال امبراطوريته ، أن تحركت الاطماع للقضاء على الامبراطورية المصرية في بلاد الشام . وكان من أشد الممالك عداوة لمصر ، مملكة خيتا في آسيا الصغرى ، حيث صارت تغير على الامارات السورية الواحدة تلو الاخرى وتنال منها ، والمملكة العمورية التي قامت في وسط سورية بزعامة عبدي عشرتا وابنه عزيرو ،واخذت تتوسع على حساب الممالك السورية الموالية لمصر ، الى أن وصلت الساحل السوري على البحر الابيض المتوسط. وقد كتب أمراء الامارات السورية الموالية لمصر الى الفرعون أمنحوتب (٣) أمثال جبيل ، وقطنا وغيرهما عن الغارات التي قام بها الحثيون ، وعن توسع المملكة العمورية الحليف غير المعلن مع خيتا . ولكن امنحوتب الثالث لم يقم بأي عمل حاسم، يضع النقاط على الحروف(٤) .

توفي امنحوتب الثالث حوالي ١٣٦٧ ق.م ، وخلف ابنه امنحوتب الرابع على عرش المملكة المصرية القديمة . وفي هذا الوقت، كان وجود الامبراطورية في بلاد الشام، يتعرض لرياح حثية قوية،تريد أن تجتثه من جذوره وكانت أحوال مصر وامبراطوريتها في بلاد الشام ، تتطلب قائدا محاربا مثل تحوتمس الثالث(٥) . ولكن الواقع جاء مخالفا تماما . فالحاكم الجديد فيلسوف ، خيالي ، حالم ، لم يعط جل اهتمامه لمجد مصر في بلاد الشام والشرق القديم . بل نراه يولي اهتمامه فكرا خلاقا، لا عهد لمصر والشرق القديم به .

استمر أمنحوتب الرابع خلال الاربع سنوات الاولى من حكمه في تقديس كل الالهة المصرية ، وتقديم العبادات والقرابين لها . ولم يلحظ الباحثون أي تغير في أمور الدين بخاصة . ولكن يبدو أن النار كانت تحت الرماد ــ كما سيتبين لنا فيما بعد ــ اذ أن صراعا مستترا كان يدور بين فراعنة مصر وكهنة الاله أمون ــ أكبر آلهة مصر وقتئذ ــ منذ عهد جده الفرعون تحوتمس الرابع ( جد امنحوتب الرابع ) ، وكان محور هذا الصراع السلطة في مصر القديمة . وقد تفجر هذا الصراع في السنة الرابعة من حكم امنحوتب الرابع . ويستطيع الباحث أن يتلمس مظاهره الدينية ، والادارية ، والاقتصادية ، والفكرية بشكل واضح وجلي(٦) .

## المظاهـر الدينيـة :

قام أمنحوتب الرابع بعدة اجراءات دينية ، الهدف الاســاسي منها القضاء على ديانة أمون ونفوذ كهنة أمون . وفيما يلي يعرض الباحث لهذه الاجراءات :

**أولا ـ تغيير اسمه :** غير امنحوتب اسمه الذي يعني أمون راض أو أمون في سلام الى اخناتون بمعنى المفيد لآتون ـ اسم الهه الجديد ـ أو « آتون راض »(٧) ولهـذا التغيير أهمية كبيرة ، تكمن هذه الاهمية في أن الملك تخلى عن ارتباط اسمه باسم الاله المبجل في كل مصر القديمة ، والذي ساعد الفراعنة على بناء الامبراطورية المصرية في الشام والنوبة . بل وأكثر من ذلك ، فقد كانت ديانة أمون هي الديانة الرسمية للدولة في عصر الاسرة الثامنة عشرة ،لان اسم هذا الاله ارتبط بأسماء معظم ملوك هذه الاسرة، ولانه كان اله طيبة العاصمة الامبراطورية . وهكذا فان التخلي عن اسم أمون ، يعني التخلي عن عبادة هذا الاله ، وعن معابده ، وطقوسه ، وكهنوته ، وامتيازاته . وبالمقابل فان ارتباط اسم الفرعون باسم اله جديد ، يعني الاعلان عن دين الفرعون الرسمي . ويعني الاعلان عن الاله الرسمي للدولة ويعني أن الطقوس سوف توجه اليه وان المعابد سوف تقام له .

**ثانيا :** شنّ اخناتون حملة شعواء على اسم أمون . فامر ان يمحى هذا الاســم أينما وجد ، فمحاه من اسمه ، ومحاه من اسم ابيه أمنحوتب الثالث . كما محاه من كل آثار الامبراطورية التي وجـدت في طيبة . ومن المؤكد ان اخناتون بمحوه هذا ، أراد ان يمحو ديانة أمون من الوجود ومن اذهان الشعب المصري . فمحو الاسم في مفهوم الشرق القديم بشكل عام،يعني حرمان صاحبه من السعادة والخلود ، ويعني القضاء على قوته وتأثيره(٨) .

**ثالثا :** أمر اخناتون ألا يشار الى الالهة بصيغة الجمع ، فكانت تمحى الكلمـة التي تشير الى الالهة بهذه الصيغة .

**رابعا :** اتخذ الملك اخناتون لنفسه لقب الكاهـن الاعظم لاتـون ، حيـث سمى نفسه « الناظر الاعظم » M 33 WT . والناظر الاعظم هو لقب الكاهن الاعظم في مذهب هيلوبولس ( عين شمس ) الشمس . ويعني الكاهن العظيم الذي يراقب الاجرام السماوية ، لتقام الطقوس طبقا لحركاتها .

**خامسا :** لقد بلغ اخناتون ذروة الاجراءات الدينية عندما نادى بعبادة اله واحد، هو الاله آتون . وقد وصفته نصوص العمارنة ، بأنه « الاله الاوحد ، الذي لا مثيل

لــه »(٩) . وهو مصدر الحياة في هذا الوجود سواء للانسان أم للحيوان والنبات ، فأشعته التي رسمت على شكل أيدي منبعثة من قرص الشمس ، هي التي تمنح الحياة والخير والبركة للوجود ، حيث نرى هذه الاشعة في بعض الرسوم وهي تقدم علامــة الحياة عنخ fcnh (٨٠) .

كان آتون قرص الشمس المستدير ، وهو اله قديم معروف لدى المصريين منذ أيام الدولة المصرية القديمة ، حيث ورد اسمه في نصوص الاهرام . كما عثر بالقرب من تمثال « ابو الهول» بالجيزة على لوحة من عهد الملكتحوتمس الرابع ( جد أخناتون)، مرسوم عليها قرص الشمس ، وهو يعطي الحياة . كما أصبح عليه الامر في أيــام اخناتون(١١) .

**المظاهر الاداريــة :**

كانت طائفة الكهنة في مصر القديمة تتمتع بميزات ادارية خاصة ، جعلت منهــا طبقة في المجتمع لا تدانيها طبقة . من هذه الميزات ، الثقافة العالية ، اذ كانت مهنة الكتابة سائدة بينهم ، ويكفى ان نتذكر ان خطا رئيسا في الكتابة المصرية سمي باسمهم « الخط الهيراطيقي ــ الخط الكهنوتي » ، لندرك كم كان حظهم من الكتابة بخاصة ومن الثقافة بعامة عظيما . وتمتعت طبقة الكهنة بميزة التنظيم ، حيث كانت للكهنة مراتب أعلاها الكاهن الاكبر في معبد الالــه الذي يعبده(١٢) . وكذلك تمتعت طبقــة الكهنة بميزة الادارة ، وقد اكتسب الكهنة خبرتهم الادارية من واقعهم ، حيث امتلك المعبد آلاف العبيــد وقطعان الماشية ، والحقول ، والذهب وغــير ذلك . ولا بد أن مصروفات عديدة ، كانت تلقى علىعاتق المعبد. ولهذا برعالكهنة في حساب الصادر والوارد،والحفظ(١٢). وعندما قاماخناتون بالدعوة الى عبادةالالة أتن، تبعه دون شك بعض رجال البلاط . وبعض عامة الناس . أما كهنة أمون ، فقد أخذوا يحقدون عــلى أخناتون ودينه . ويخلقون المصاعب لادارته . بسبب الاذى الــذي أصاب مصالحهم. فكان على الملك والحالة هذه ، ان يحدث تغييرا في ادارة الدولة . فأبعد عــن الادارة انصار كهنةالاله أمون ، وجعل بطانته من الذين نصروه وأيدوه وامنوا بدينه الجديد. ولا يشك أي باحث ان هذا الامر قد اربك الادارة المصرية الاخناتوتية ، التي اصبحت تديرها فئة من الناس حديثة العهد بفن الحكم والاضطــلاع بالمسؤوليــــات واتخاذ القرارات ، وقد عمق هذا الاجراء الملكي الهوة بين السلطة التي رأسها اخناتون . وبين المعارضة التي كان على راسها كهنة أمون .

## نقل العاصمـــة :

ومن الاجراءات الادارية التي قام بها اخناتـون للحد من سلطة الكهنة ، نقـل العاصمة من طيبة الى موقع العمارنة الحالي ، في مصر الوسطى بالقرب من اسـيوط الحالية ، وقد اطلق على عاصمته الجديدة « آخت اتن » ، أي أفق اتن . وذلـك ليصرف أنظار المصريين عن أمون وكهنته ، وليوجههـا الى الهـه أتون والى فكـره وعاصمته(١٤) .

## المظاهر الاقتصاديـة :

يستطيع الباحث من خلال دراسة المصالح الاقتصادية لطرفي الصـراع ( الملك اخناتون ــ السلطة وكهنة امون ــ المعارضة ــ ) ، تلمس أهم أسباب الصراع الـذي ساد كل عهد اخناتون ( ١٣٦٧ ــ ١٣٤٧ ق.م ) .

منذ مطلع القرن السادس عشر قبل الميلاد خاضت مصر حروبا عديدة في الداخل والخارج . ففي الداخل حارب المصريون الهكسوس . وغنموا منهم الكثير (١٥) . وفي خارج مصر ، قام ملوك مصر من بداية حكم الاسرة الثامنـة عشرة ــ أي بعـد طـرد الهكسوس ــ بالحرب في بلاد الشام والنوبة . ومن خلال الآثار والنصوص المصريـة نستنتج ، أن المصريين انتصروا في كل حروبهم ، وحصلوا على مكاسب مادية كبيرة ، حيث الغنائم والاسلاب وجزى الشعوب التي حملتها ( وهي صاغرة ) الى مصر ، نذكر من هذه الحروب على سبيل المثال ، حروب احمسـس الاول ( ١٥٧٥ ــ ١٥٢٥ ق.م ) مؤسس الاسرة الثامنة عشرة في فلسطين ، وحروب تحوتمس الاول ( ١٥٢٨ ــ ١٥١٠ ق.م ) في سورية ، حيث وصل الى نهر الفرات (١٦) ، أما تحوتمس الثالث ( ١٤٦٨ـ ١٤٤٧ ق.م ) فقدقضى عمره يحارب في بلاد الشام ، اذ شن سبع عشرة حملة عسكرية عليها ، وبذلك استطاع ان يكون امبراطورية تمتد من الفرات الى حدود السودان . كما حارب في بلاد الشام كل مـن امنحوتب الثاني بن تحوتمس الثالث ، وتحوتمس الرابع بن امنحوتب الثاني (١٧) .

نتج عن حروب المصريين الآنفة الذكر ثلاث نتائج هامة :

**اولا :** ارتفاع شأن الاله أمون : ارتفع شأن الاله أمون عند المصريين كثيرا ،وذلك لانه كان اله العاصمة التي انطلقت منها الجيوش المصريـه ، وحققـت الانتصارات العظيمة ، ليس بسبب قوتها ، وحسن تنظيمها ، وتدريبها ، وامتلاكها لافضل أسلحة العصر ، بل لان أمون ــ حسب العقيدة المصرية الدينية ــ أراد ذلك .

**ثانيا غنى كهنة معبد الاله امون :**

كان على الملك المصري ــ وقد نصره الاله امون حسب العقيدة المصرية القديمةــ أن يقابل احسان الاله باحسان ، وذلك بأن يخصص جزءا من الغنائم والاسلاب والجزى وأرباح الحملات التجارية والتعدينية الى معبد الاله أمون ، يضاف الى هذا الانعامات الملكية والنذور وتقدمات عباد أمون. ولذلك أصبح كهنة أمون من أغنى الاغنياء في مصر.

**ثالثا تدخل الكهنة في شؤون الدولة السياسية :**

غني عن القول ان القوة الاقتصادية والسياسية عنصران متلازمان في حياة البشر لا يفترق الواحد منهما عن الاخر ، بل يلازمه ويحميه ، وعندما يسقط احد العنصرين، يتبعه الاخر حتما . وينطبق هذا القول على وضع كهنة أمون ( المعارضة ) والملك اخناتون ( السلطة ) . فقد أراد كهنة امون ، وقد امتلكوا المقدرة الاقتصادية ، ان يحموا مصالحهم الاقتصادية هذه عن طريق الهيمنة السياسية . ومن المؤكد ان طائفة الكهنة حاولت التدخل في الشؤون السياسية منذ ايام الملك تحوتمس الرابع ( جد اخناتون ) ، ولذلك لاحظ الباحثون اتجاه هذا الملك نحو تقوية العبادة الشمسية العريقة في مصر ، والتي كان مركزها في مدينة « ايون » أو « أون » ( هليو بولس ) في شمال القاهرة الحالية ، وكذلك فعل ابنه الملك امنحوتب الثالث(١٨) .

لقد قامت حرب اقتصادية حقيقية بين الملك والمعارضة ، وقد استخدم الطرفان أشد اسلحتهما مضاءً . لاضعاف الخصم اقتصاديا ، ثم القضاء عليه . فقد أدرك اخناتون ان قوة الكهنة الحقيقية نابعة من قوتهم الاقتصادية . وان النجاح في الحرب يعني امتلاك الاقتصاد الاقوى بالدرجة الاولى . ولذلك حاول منذ بداية هذه الحرب، أن يحطمهم اقتصاديا ، ويقضي على الاسباب التي جعلت منهم قوة اقتصادية . وفيما يلي يلقي الباحث الاضواء على تلك المعارك الاقتصادية :

**اولا :** امر اخناتون بعبادة اله واحد هو الاله آتن ، وحرّم عبادة الاله أمون ، ومحى اسمه أينما وجد ، ولو كان في اسم أبيه . فقد جاء في النشيد لآتن ما يلي :

**ما أكثر تعدد أعمالك**

**انها على الناس خافية**

**يا ايها الاله الأحد**

الذي لا يوجد بجانبه إله آخر

لقد خلقت الارض حسب رغبتك

وحينما كنت وحيدا ( لا شيء غيرك ):

خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان(١٩) .

كما قام اخناتون بمصادرة أملاك معبد أمون ، وأمر باغلاق هذا المعبد . وغني عن القول ، ان اخناتون بعمله هذا ، قد أضعف الكهنة اقتصاديا ، حيث منع عنهم الموارد من النذور ، والقرابين ، وغلال الحقول، و والماشية ومنتجاتها ، والعبيد ، والذهب ....الخ(٢٠) .

**ثانيا نقل العاصمة :** كانت طيبة عاصمة مصر الامبراطورية منذ أيام الدولة الوسطى ( ٢٠٥٠ ق.م ) . وقد بلغت هذه العاصمة الذروة أيام ملوك الاسرة الثامنة عشرة ، حيث كانت تقصدها الشعوب حاملة الجزية الى الفرعون ، وحيث استقطبت التجارة العالمية عصرئذ . وبسبب هذا الازدهار السياسي والاقتصادي ، علا شأن الهها أمون . لانه الاله الذي نصر الفرعون ، وهيأ الاسباب لنجاح الحملات التجارية والتعدينية . ومن أجل أن يبتعد أخناتون عن كهنة أمون ومكائدهم ، وليضع الههم في الظل ، نقل العاصمة الى موقع العمارنة في مصر الوسطى . وقد اطلق على عاصمته الجديدة اسم « أخت أتن » أي أفق أتن . وقد يظن البعض ان نقل العاصمة اجراء ادراي فحسب ،ولكنني استطيع القول ، ان العاصمة كان حربا اقتصادية قام بها اخناتون لاضعاف كهنة امون ( المعارضة ) اقتصاديا ، والقضاء عليهم . ونتساءل كيف ..؟

كان المصري القديم يعتقد ، ان الاله هو الذي ينصر الفرعون ، وان النصر لا يتحقق الا لان الاله راض عن الفرعون ، ولأنه منحه القوة ، وحقق له النصر على الاعداء . ولذلك على الفرعون الذي يعترف بفضل الاله، ان يقابل الاحسان بالاحسان، وذلك بأن يخصص جزءا من الغنائم والاسلاب لمعبده . وجزء من أرباح الحملات التجارية والحملات التعدينية(٢١) .

غني عن القول أن علينا أن نولي اهتمامنا في دراستنا هذه الى أمون وكهنته ، وتأثير نقل العاصمة الاقتصادي ، لقد بلغت مكانة أمون الذروة ، عندما استطاع ملوك الاسرة الثامنة عشرة وعلى رأسهم تحوتمس الثالث، تكوين امبراطورية تمتد من الفرات الى حدود السودان ، ولذلك قصد ممثلو شعوب هذه الامبراطورية العاصمة طيبة ،

وهم يحملون جزاهم السنوية من ذهب ، وفضة ، وعبيد ، وتحف ، لتقديمها للفرعون. كما كانت وفود الدول الصديقة تقصد العاصمة المصرية تحمل الهدايا للفرعون ، عربون مودة وصداقة . وكانت نشوة التدين والاعتزاز ، ومحبة الاله الذي نصر الفرعون ، وجعل هذه الشعوب تأتي طائعة صاغرة الى مصر ، تجعل الفرعون يهب جزءا من هذه الجزى الى معبد كهنة الاله مون في العاصمة طيبة . وكذلك يفعل الفرعون عندما يوفق في حملاته التعدينية أو التجارية(٢٢) .

اما الان وقد نقل اخناتون العاصمة الى « آخت أتن » ، فقد صارت وفود الشعوب الخاضعة لمصر ، تذهب الى العاصمة الجديدة . وبذلك أصبحت التبرعات الملكية من الجزى ، والغنائم، والارباح التجارية والتعدينية تجد طريقها الى معبد إله اخناتون ( الاله أتن ) . ومما زاد في خسارة كهنة امون الاقتصادية ، أن قادة الجيش ، وكبار الضباط ، وكبار الموظفين ، والتجار قد التحقوا بالعاصمة الجديدة الى جانب الفرعون ، وهكذا فان نذورهم ، وتبرعاتهم نتيجة لنجاح يصيبونه ، أصبحت تذهب الى معبد أتن . يضاف الى ما سبق الانعامات الملكية سواء من الملك أم من افراد اسرته . وهكذا استطاع اخناتون بهذا العمل البارع ( تغيير العاصمة )، أن يحرم المعارضة من اكبر مورد اقتصادي ، تسبب أصلا في نشوء قوتهم .

**المظهر الاجتماعي :**

لا شك في أن اخناتون كان جبارا ، حين وقف بوجه طائفة الكهنة المنظمة القوية الغنية ، لتكون له الكلمة الاولى في سياسة الدولة الداخلية والخارجية . ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام اخناتون بحربه الدينية والادارية والاقتصادية ضد الكهنة. ولكن لئن حملت خطواته تلك أسباب النجاح ، لكنها حملت في ثناياها أسباب الفشل. وفيما يلي يقدم الباحث دراسة عن انعكاس خطوات اخناتون الجريئة على فئات الشعب المصري من كهنة وعمال وجنود وصناع ومفكرين وغيرهم . والتي كانت سلبية في نتائجها . وقد استغلت المعارضة هذه السلبيات بشكل جيد ، واستخدمتها سلاحا بيدها ، أدى الى سقوط اخناتون .

**١ ــ الوحدانية واغلاق المعابد والبطالة** : دعا اخناتون الى عبادة اله واحد ( الاله أتن ) ، ولذلك أمر باغلاق معابد الاله أمون ــ العدو الرئيسي ــ ومعابد الالهة الاخرى وكان على رأسهم الاله أوزير(٢٣) . وقد أشار الى هذا الاجراء خليفته الملك « توت عنخ أمون » حيث جاء في نصوصه : « وأغلقت معابد الالهة من الفنتين ــ عند الشلال الاول ــ الى مستنقعات الدلتا »(٢٤) وقد نتج عن هذا تسريح الكهنة والموظفين

وكثير من العمال والفنانين الذين كانوا في ادارة وخدمة المعابد ، وبذلك أصبحوا جزءا اساسيا في حزب المعارضة ، خلقوا الكثير من المشاكل للسلطة التي يمثلها الملك اخناتون(٢٥) .

٢ ــ **استراتيجية اخناتون السلمية** : حارب الجنود المصريون منذ مطلع القرن السادس عشر قبل الميلاد في مصر حيث طردوا الهكسوس ، وفي فلسطين وسورية وبلاد النوبة ، وقد حققوا نجاحا عظيما في حروبهم هذه ، اذ أصبحت مصر تسيطر على امبراطورية تمتد من الفرات شمالا الى حدود السودان جنوبا . وقد أفاد الجند من هذه الحروب . حيث الاسلاب والغنائم ، وهبات القادة والملوك تقديرا لشجاعتهم، اي أن الحرب كانت تعود عليهم بالفوائد المادية والمعنوية ، وكل تغيير يطرأ على استراتيجية مصر القائمة على التفوق العسكري على شعوب المنطقة ، سوف يغضب الجند ويضر بمصالحهم . وقد حدث هذا التغيير فعلا في عهد الملك اخناتون ، الذي اخذ بسياسة مبنية على التسامح والسلام مع شعوب الامبراطورية المصرية(٢٦) وقد نتج عن سياسة اخناتون هذه نيتجتان رئيستان ، الاولى سخط الجنود المصريين الذين أضيروا بسبب انتهاج اخناتون للسياسة السلمية ، حيث حرموا من ترقيات الملوك والقادة لهم ، كما حرموا من مورد رزق كبير ، بالاضافة انهم حرموا أيضا من تحقيق أمجاد شخصية ، نتيجة لبطولاتهم في ساح المعارك . والنتيجة الثانية ،ضياع الامبراطورية ، اذا كانت المملكة الحثية في آسيا الصغرى ، تتطلع دوما بجشع كبير الى احتلال بلاد الشام ، للسيطرة على أهم الطرق التجارية العالمية(٢٧) . ولم يحل دون تحقيق هدفها إلا المملكة الحورية ــ الميتانية التي كانت تقوم في الجزيرةالسورية الحالية ، وتتخذ من واشوكاني ( تل الفخيرية بالقرب من رأس العين الحالية ) عاصمة لها ، وتهيمن على شمال سورية حتى المتوسط(٢٨) . واضيف الى المملكة الحورية ــ الميتانية الامبراطورية المصرية في بلاد الشام . ولكن باعتلاء اخناتون عرش مصر وقيامه باصلاحه الديني وما نجم عنه من نتائج ذكرناها آنفا ، حانت الفرص لشوبيلوليوما(٢٩) كي يحقق حلم الحثيين . فبدأ بالمملكة الحورية الميتانية حليفة مصر من أيام الملك تحوتمس الرابع ، حيث شن عليها هجوما كبيرا أيام الملك امنحوتب الثالث ، لكنه لم يفلح في هذا الهجوم الذي شنه من جهة الغرب حيث الدفاعات العظيمة لملكة ميتاني وقد استفاد الملكالحثي من هجومه الاول ، فشن هجومه الثاني في عهد الملك اخناتون ــ من جهة الشرق ، ونجح في هزيمة الميتانيين ، وقضى على دولتهم ، هذه الدولة التي كانت تجبره دوماً على البقاء خلف جبال طوروس(٣٠) .ولم يقف شوبيلوليوما عند هذا الحد ، بل قام بالغارة على الممالك السورية الحليفة لمصر . وكتبت هذه الممالك الى اخناتون تصف له شراسة الغارات الحثية ، وتطلب المساعدة والنصرة . لكن ما من مجيب . واستمر الحثيون لذلك في توسعهم ، لدرجة ان

النصوص الحثية،تدعي ان نفوذ الحثيين امتد الى جبال لبنان(٢١). ولم تكن الدولة الحثية الطامعة الوحيدة بالامبراطورية المصرية في بلاد الشام . بل وجدت مملكة اخرى في وسط سورية ، هذه المملكة هي المملكة العمورية بزعامةعبدي عشرتا وابنه عزيرو . وبسبب ظروف مصر الداخلية ، استطاعت هذه المملكة ان تسيطر على وسط سورية وتمد نفوذها الى الساحل السوري ، حيث سيطرت على منطقة تمتد من سميرا جنوب طرطوس ( ميناء تحوتمس الثالث المفضل ) الى مدينة جبيل ، التي كان ملكها رب عدي مخلصا لمصر حتى الموت(٢٢) . وكتب رب عدي وحكام الممالك السورية التي تضررت من الاحتلال العموري الى اخناتون ، حيث أرسلوا عشرات الرسائل يستنصرونه ، ولكن اخناتون لامر ما لم يجبهم الى مطالبهم(٢٣) .

وهكذا نستنتج من دراستنا السابقة ، ان الملك اخناتون اهمل ادارةالامبراطورية المصرية في آسيا ، وانه لم يستخدم الجيش في الحفاظ على هذه الامبراطورية ، على الرغم من استغاثات الحكام السوريين ، مما جعل الجيش ينحاز الى صف المعارضة ، فقائده حورم حب ( قائدالجيش في عهد اخناتون ) ، كان من أشد المتحمسين للقضاء على ثورة العمارنة وما خلفته من اثار ، بعد وفاة اخناتون .

## تعاليم الاتونية وأثرها على الصناع والكتاب والفنانين :

أصاب الكساد كثيرا من المهن التي كانت مرتبطة بديانة أمون بخاصة والديانات المصرية بعامة ، وذلك بسبب تعارض التعاليم الاتونية مع غيرها من الديانات المصرية القديمة ، وفيما يلي يعرض الباحث لاهم المهن والطقوس المصرية التي ابطلت وأصاب أصحابها العوز ، وبذلك ازداد عدد المعارضين لديانة اخناتون :

١ ـ النذور : كانت الطقوس الدينية المصريه تقضي وضع نذور من فطائر خاصة خلال أيام الاعياد ، لكن هذه النذور توقفت بحلول ديانة أتون . وبذلك لم يعد الخبازون يصنعون تلك الفطائر ،وحرموا الارباح التي كانوا يجنونها ، وأصابتهم لعنة البطالة(٢٤) .

٢ ـ التمائم : لم يعد بمقدور صناع التمائم بيع تعاويذهم الالهية القديمة عند ابواب المعابد . أصاب هذا الكساد صناع الجعارين والتماثيل الصغيرة « أوشابتي »، فقد كان الكهنة يوصون للناس ، أنه عن طريق تعاويذ هذه الجعارين والاوشابتي يمكن ضمان براءة المتوفى . وبحلول الاتونية أقصيت هذه التعاليم ، وصار الصناع لا ينقشون فوق الجعارين التعاويذ السحرية لاخماد وحي « الضمير » عند المتهم ،

بل صاروا ينقشون فوقها أدعية بسيطة موجهة الى أتون طلبا للحياة المديدةوللعطف والطعام . وفي هذا الصدد ، علينا ان نذكر صانعي شواهد القبور المزخرفة بالنقوش الزاهية المستوحاة من كتاب الموتى ، فقد استبعدت شواهدهم لانها أخذت من تراث الديانة المصرية غير الاتونية(٣٥) .

٣ ــ لفائف البردي المكتوبة : والكتاب أيضا أصابتهم لعنة البطالة ، فقد كان هؤلاء يكتبون على لفائف من البردي النصوص الدينية الطويلة المنقولة من كتاب الموتى ، يصبون اللعنة من خلال كتاباتهم على كل من يسيء الى قبر المتوفىومحتوياته. وقد ابطلت الان هذه الكتابات ، لانها ضمت اسماء الالهة المصريين القدامى ، أو أنها كانت تضم كلمة الالهة بصيغة الجمع(٣٦) .

٤ ــ التمثيليات الدينية : كان كهنة مصر يمثلون أحداثا خاصة بالالهة قبل حلول عهد اخناتون . أما في عهد أخناتون فقد صاروا يطردون من الاماكن المقدسة في مواسم التمثيليات ، نذكر من هذه التمثيليات على سبيل المثال « تمثيلية مأساة أوزير »، وتمثيلية انتقال الاله امون من معبد الكرنك الى زوجته الالهة « موت » في معبد الاقصر(٣٧) . ونضيف الى ما سبق طوائف الحجاج الذين كانوا يحجون الى أبيدوس ــ حيث الاعتقاد يوجد قبر أوزير ــ ويمثلون هنا « حياة أوزير وموته وبعثه بعد الموت »(٣٨) .

٥ ــ نحت التماثيل : حرّم اخناتونتجسيد الاله أتون بشكلانساني أو حيواني، كما حرم عبادة الاله اوزير والالهة المصرية . لذلك أصيب نحاتو تماثيل الالهة بضربة موجعة ، وتكدست تماثيلهم في معاملهم دون أن يشتريها احد(٣٩) .

**المظاهر الفكرية :**

تتجلى الحرب الفكرية بين اخناتون والمعارضة في تعاليم دينه ، فالدراس لهذه التعاليم ، يستنتج ، أنها كانت تهدف الى تنزيه الدين الجديد عن كل نقيضه ،والسمو به ليكون رحمة لكل البشر ، والابتعاد عن السحر والشعوذة والدجل ، وبهذا كانت تعاليم الدين الجديد ، تسمو على ما كان قائماً ، وتتنزه عن كل كذب وسحر وشعوذة يمارسها كهنة أمون . وفي كل هذا حرب لا هوادة فيها على ديانة أمون ، وكسب مؤيدين جدد في داخل وخارج مصر . وفيما يلي يورد الباحث مزيدا من مبادىءهذه الديانة ، التي قطعت الطريق على سحر وشعوذة ودجل الكهنة .

**أولا التوحيد :** سبق وأن قمنا ببحث هذا الموضوع مفصلا .

**ثانيا الماعت(٤٠)** : مارس كهنة أمون كثيرا من السحر والشعوذة لضمان براءة المتوفى ، عن طريق وزن قلبه ، والاوشابتي ، والتعاويذ كما سعى الكهنة الى تجديد وتعميق الورع الديني عند الناس عن طريق تمثيل مأساة أوزير ، وانتقال الاله أمون الى معبد الاقصر ، وغير ذلك . كما كانت العقيدة الدينية المصرية تأمر المصريين ، بأن يكون تمثال الشخص خال من المرض والعيوب ، ويجسد صاحبه وهو في شرخ الشباب ، لتستطيع الروح التعرف اليه والعودة . لكن تعاليم الديانة الجديدةنسخت كل ما تقدم وأبطلته كما رأينا في التمثيليات والسحر ، وأنكرته في النقش والنحت أيضا ، وقد كان اخناتون مخلصا لهذا المبدأ ، ولو كان الامر يتعلق بالفرعون نفسه، حيث نرى الفرعون وقد رسم برأس غير متناسق ، ورقبة رفيعة ، وشفتين غليظتين، وبطن متدل ، وأفخاذ كبيرة غير متناسقة ، وذراعين رفيعتين أيضا .

**ثالثا : الديانة العالمية** : ارتفع شأن الاله أمون ، منذ أيام الاسرة الثانية عشرة ، حيث ارتبط اسمه مع اسم مؤسس هذه الاسرة الملك أمنمحات الاول ( ١٩٩١ق.م ). وزادت قدسية الاله أمون ، عندما استطاعت طيبة أن تطرد الهكسوس وتكون امبراطورية مترامية الاطراف تمتد من الفرات الى حدود السودان الشمالية ، لأن أمون إله طيبة ، هو الذي حقق كل هذه الانتصارات والانجازات . وكما رأينا سابقا بقي أمون مقدسا الى أيام الملك أمنحوتب الرابع ( ١٣٦٧ ق.م ) . وبذلك يكون قد مر على عبادة أمون قرون طويلة ، تغيرت خلالها ظروف مصر كثيرا . فمنذ تكوين الامبراطورية المصرية ( ١٤٦٧ ق.م ) ، انفتحت مصر على بلاد الشام بخاصة وعلى البلاد المجاورة لها بعامة ، فأخذت من حضارات هذه البلاد وأعطت ، سواء في مجال اللغة أم الديانة أم التجارة أم الصناعة أم الفن . ووفدت الى مصر جماعات الاسرى بأعداد كبيرة جدا ، جعلت بعضهم يقول أن خلقة المصريين تحسنت نتيجة لذلك(٤١) .

وهكذا نستنتج مما سبق أن أجيالا نشأت في مصر ، قد اطلعت على ثقافات الامم الاخرى ، فأصبحت لها ثقافتها الخاصة ، وأصبحت لها نظريتها الخاصة في معالجة شؤون الحياة . وكان الى جانب هذه الطبقة المستنيرة ، الطبقات الشعبية وعامة الناس وكهنة أمون . هذه الطبقات المحافظة، التي ترى دوما أن صلاح الامة وازدهارها يتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد القديمة ، والتمسك بحرفية تعاليم الديانات التي أوصلت مصر الى بناءامبراطورية عظيمة . وقد ساعد واقع مصر هذا الملك أخناتون، الذي كان على رأس الفئة المستنيرة ، والتي كانتعلى درجة من التثقيفوالتعليم(٤٢)، على ابداع ديانة جديدة لا تسود مصر وحدها ، ولكن تسود كافة أرجاء الامبراطورية المصرية . وربما كان هدفه سياسيا ، وهو السيطرة على أرواح شعوب الامبراطورية ، وربطهم ثقافيا وروحيا بمصر ، وبذلك يسهل على مصر ادارة امبراطوريتها المرتبطة

روحيا بمصر ، وبمبدعها الروحي أخناتون(٤٣) . وشاهدنا فيما نقول أناشيد اخناتون التي تتضمن توجها عالميا ، ما وجد في اي عصر من عصور تاريخ مصر .

« ان آتون » خلقهم ( لنفسه هو ) .
فجميع الاراضي وأهل بحر ايجة يحملون
ضرائبهم وجزيتهم فوق ظهورهم الى الذي
أوجد حياتهم والذي بأشعته تحيا البشر
وتستنشق الهواء(٤٤) .

استطيع أن أضيف الى ما سبق ، ان أناشيد اخناتون لربه يستطيع أن يتغنى بها السوري والنوبي. الخ. حيث ذكرت في هذه الاناشيد الشعوب التي كانت تحت السيطرة المصرية ، كما وان نظرة الكبرياءوالتعالي ، التي كان ينظر بها المصريون نحو تلك الشعوب أصبحت كأنها لم تكن(٤٥) . فالناس كلهم أبناء الله ، هو الذي خلق الوانهم ولغاتهم ، ووضعهم في أقاليمهم المختلفة ، والله رحيم بهم جميعا يعطيهم حسب ظروفهم الاقليمبة ، فهو يخلق لمصر نيلاً في الارض ، ولكنه يخلق لاهل الشام نيلا في السماء :

ما اكثر تعدد اعمالك
انها على الناس خافية
يا أيها الاله الأحد
الذي لا يوجد بجانبه اله آخر
لقد خلقت الارض حسب رغبتك
وحينما كنت وحيداً ( لا شيء غيرك )
خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان
وجميع ما على الارض
مما يمشي على رجليه
وما في عليين مما يطير بأجنحته
وفي الاقطار العالمية سورية
وكوش وأرض مصر
فانك تضع كل انسان في موضعه

..............................................................................................

وتمدهم بحاجاتهم
وكل انسان لديه قوتـه
وأيامه معدودات
والألسنة في الكلام مختلفة
وكذلك تختلف أشكالهم وجلودهم
لأنك تخلق الاجانب مختلفين .
أنت تخلق النيل في العالم السفلي
وانت تأتي به كما تشاء
ليحفظ أهل مصر أحياء
لانك خلقتهم لنفسك
وانت سيدهم جميعاً
وانت الذي تنهك نفسك من أجلهم
وانت رب كل قطر
وانت الذي تشرق من أجلهم
وانت شمس النهار عظيم الافتخار
وجميع الاقطار العالمية القاصية
أنت تخلق حياتها أيضا
لقد وضعت نيلا في السماء
وحينما ينزل لهم يصنع أمواجا فوق الجبال
مثل ( أمواج ) البحر
فيروي حقولهم في قراهم .
ما أكرم مقاصدك يا رب الابدية
ويوجد نيل في السماء للاجانب
ولأجل غزلان كل الهضاب التي تتجول على أقدامها
اما النيل فانه يأتي من العالم السفلي لمصر(٤٦) .

وهكذا كما رأينا ، فان حماية ورحمة ورعاية الاله المصري ، لم تعد مقتصرة على مصر فقط ، بل امتدت لتشمل سورية ومصر وكوش والنوبة والصحراء والعالم كله . ولم تعد مهمة الاله قهر الشعوب غير المصرية لصالح الفرعون المصري ، وربط تلك الشعوب الى مركبة الفرعون لتجرها وراءها بشكل مهين ، بل صار الاله ينزل لها نيلا من السماء ليروي حقولها في قراها ، ويجعلها تعيش في سعادة ورخاء . باختصار ان الاله أتون أصبح إلهاً للجميع لا يفضل شعبا على شعب . ولا يختار شعبا ويخصه برحمته ورضاه ، وفي هذا سبق حضاري وانساني يرجع الى حوالي ١٣٦٧ ق.م أي قبل حوالي ثلاثة آلاف وثلاثمائة وواحد وستين عاما . وهنا يكمن سر عظمة أخناتون .

### موقف المعارضة من عالمية أخناتون :

من المؤكد أن المعارضة ، وقفت ضد هذا الاتجاه ( عالمية دين أخناتون ) . طالما أن التعاليم السامية لهذا الدين ، سوف تؤدي الى نجاحه وانتشاره في مصر وكافة أقطار الامبراطورية المصرية . وهذا يعني القضاء على ديانة أمون الى الابد .

### ايام أخناتون الاخيرة :

واجهت دعوة أخناتون صعوبات جمة في انتشارها ، حيث كان كهنة أمون ( المعارضة ) وراء هذه الصعوبات . وما أن وافت السنة الثانية عشرة من حكم أخناتون حتى ساءت أحوال مصر الداخلية والخارجية ، لارتباط الواحد منهما بالآخر ارتباطا وثيقا . ففي الداخل تفرقت الامة الى شيع وأحزاب متناحرة ، وقد كرس أخناتون كل اهتمامه لهذا الصراع ، ولم يول الامبراطورية في سورية أي اهتمام ، مما شجع الحثيين والعموريين على اقتسام النفوذ المصري في سورية ، حيث نتج عن هذا الاقتسام انقطاع جزى الممالك الشامية عن مصر ، وانقطاع تجارة مصر مع بلاد الشام، وهكذا أصبحت مصر تعاني من الضعف السياسي والاقتصادي .

أحست الملكة « تي » أم أخناتون بوضع ابنها ووضع البلاد الذي لا يسر صديق، وأدركت المصير السيء الذي ينتظر ابنها والبلاد المصرية ، فزارته في عاصمته في عام حكمه الثاني عشر . وبسطت أمامه أمور البلاد الداخلية والخارجية ، وطلبت منه أن يهادن كهنة أمون .

فتحت هذه الزيارة عيني الملك على حقيقة حال البلاد المصرية والامبراطورية المصرية . وتدل تصرفات أخناتون بعد هذه الزيارة ، أنه اقتنع بآراء أمه ، فسعى الى التخفيف من غلواء دعوته تجاه كهنة أمون . بل والى الصلح معهم . ولذلك أرسل

شريكه في الحكم سمنخ كارع زوج ابنته الكبرى الى طيبة ليجس نبض كهنة أمون ، وليجد أفكارا تصلح لأن تكون أساسا للصلح. لكن قرائن الاحوال تدل على أن المعارضة، أدركت ان وضع اخناتون أصبح ضعيفا في الداخل والخارج . ولذلك لم يقبل كهنة أمون بأقل من اجتثاث جذور الثورة الاتونية . وقد ساعدهم القدر على هذا ، وكان لهم ما أرادوا . فاخناتون ملهم هذه الثورة وسمنخ كارع شريكه في الحكم توفيا . وصعد الى سدة الحكم في « آخت أتن » « توت عنخ أتن » زوج ابنة اخناتون الثانية ( غنخى ــ ان ــ با ــ أتن) . وقد قبلت المعارضة بهذا الطفل ملكا على مصر ، لانه سيكون العوبة بأيدي كهنة أمون . فلا الخبرة متوفرة ، ولا الارادة حرة ، ولا القوة لديه موجودة . والادلة على هذا كثيرة ، نشير الى بعضها على سبيل المثال ، لقد أجبر الملك بعد فتر وجيزة على هجر العمارنة والعودة الى طيبة ، يضاف الى هذا أن الملك غيّر اسمه من توت عنخ أتن الى توت عنخ أمون ، وفي هذا اعلان رسمي عن عودة الديانة الامونية لتكون ديانة الملك الرسمية . وبهذا تكون ثورة العمارنة قد وصلت الى النهاية . واستطاعت المعارضة ( الكهنة ) أن تقضي عليها القضاء المبرم . وتعود ديانة أمون الى مكانتها المميزة ، ونفوذها في المجتمع المصري القديم(٤٧) .

وهكذا فشل حكم اخناتون ، وفشلت معه ديانته الاتونية . ومن دراستنا السابقة يتضح لنا بجلاء أن أسباب هذا الفشل يعود الى ثلاثة محاور رئيسة . المحور الاول يتضمن مقاومة كهنة امون وأنصارهم من كهنة الآلهة الاخرى . والمحور الثاني يتضمن النتائج التي نتجت عن اجراءات اخناتون ، حيث أصبح الجيش غير راض عن سياسة اخناتون السلمية . وزاد عدد العاطلين نتيجة لاغلاق المعابد . وانقطعت التجارة المصرية مع غيرها من البلدان المجاورة ، كما انقطعت عن مصر جزى الشعوب التي كانت خاضعة لمصر ، مما زاد في ضعف مصر الاقتصادي . أما المحور الثالث فيتضمن تعليم الديانة الاتونية نفسها . فقد كانت تعاليم محصورة بشخص الملك ، الذي يتلقى التعاليم من الاله أتن ، وعنه يأخذ البشر ، وبذلك لم تصل هذه الديانة الى قلوب المصريين ، ولم يعايشوها . فقد جاء في النشيد لأتن ما يلي:

ليس هناك واحد آخر يعرفك إلاّ ابنك اخناتون

لقد جعلته عليماً بمقاصدك وبقوتك .

يضاف الى ما سبق أن الديانة الأتونية كانت ديانة غير شعبية ــ كما بينا سابقاً ــ فمبدع هذه الديانة كان ملكا ينتمي الى أعلى الطبقات المثقفة المتعلمة ، ولم يكن من الفقراء الضعاف الاقرب الى الطبقات الشعبية العريضة . كما ان الديانة كانت ديانة أكثر تجريدا مما سبقها من الديانة المصرية ، التي عاشت في ضمير ووجدان المصري

لمئات عديدة من السنين ، والذي تعوّد على عبادة الهة متجسدة بشكل حيواني او انساني . وشدته عاطفته الدينية الى موروثه الايماني ، ومنعته من ان يرقى بفكره الى ادراك الأفكار الوجدانية المجردة . ولذلك كان من الصعب على المصري ، أن يترك العادات والتقاليد والايمان الموروث بمدة وجيزة لا تتجاوز مدة حكم اخناتون ( ١٧ سنة ) ، بل ربما أحس المصري القديم بشيء من تأنيب الضمير ، عندما كان يرى معابده المقدسة وقد أصابها الخراب والاهمال والعبث واوصدت ابوابها . وربما كان ينظر الى اماكن الاحتفالات الدينية فيجدها صامتة لا حركة فيها — كما مر معنا سابقا — فتملأ الحسرة قلبه . ومن المؤكد أن الآلهة كانت أثيرة لدى الشعب المصري وخاصة الاله أوزير ، الذي كان مسؤولا عن سعادة المتوفى في الحياة الاخرة ، حيث كان المحامي عن الاموات امام كل خطر ، اصبح منفيا من مصر ، ولا يستطيع انسان ان يذكر اسمه في عهد الملك اخناتون ، نتيجة لكل ما ذكرنا ، ابتعد الانسان المصري عن اخناتون وعن ديانته ، وأدى هذا الابتعاد الى فشل الديانة الاتونية .

## المعارضة في السلطة :

عادت المعارضةالى سابق عهدها بعد فشل ثورة العمارنة . واحتلت مكانتها المميزة في المجتمع المصري القديم ، وتمتعت بكل الامتيازات السابقة(٤٩) . وقد واجهت المعارضة مشكلتين رئيستين ، الاولى اعادة ترتيب البيت المصري من الداخل ، والقضاء على كل ما خلفته ثورة العمارنة من آثار . والثانية اعادة الامبراطورية المصرية الضائعة في بلاد الشام ولو جزئيا .

أما فيما يتعلق بالمشكلة الاولى ( ترتيب البيت المصري من الداخل ) ، فقد بذلت المعارضة جهودا جبارة للتشهير بأختاتون ، فنسبت اليه كل مظاهر الضعف والخراب التي سادت مصر . فقد جاء في نص يعود الى عهد الملك توت عنج امون ما يلي :

« انه الحاكم الطيب(٤٩)

الذي قام بأعمال عظيمة لوالد كل الآلهة(٥٠)

والذي أصلح كل ما كان مخربا حتى صار آثارا خالدة

ومحيت من أجله الخطيئة في الارضين ( مصر ) وبذلك دامت العدالة وجعل الظلم شيئا تمقتهالبلاد كما كان الحال في البداية(٥١) .

لم تكتف المعارضة بالتشهير بأخناتون ، ووصمه بالكذب والدنس ، بل سعت

جاهزة لان تحرمه الراحة الابدية ، وذلك عن طريق عدم ذكر اسمه ضمن اسماءملوك مصر الغابرين ( القوائم الملكية ) ، التي كانت تسجل على الاثار ، كحجرة الاجداد في معبد الكرنك من عهد تحوتمس الثالث وغيرها . وعندما كانت الاشارة الى اسمه ضرورية في الوثائق الرسمية في عهد الفراعنة الذين اتوا بعده كان يسمى « مجرم اختياتون ». ولابراز مدى حقد الكهنة على اخناتون نورد القصيدة التالية :

انك تصل الى من يبغي عليك
والويل لمن يهاجمك
مدينتك تبقى
ولكن من يهاجمك يهوي
وشمس من لا يعرفك تغيب .. يا أمون !
وأما من يعرفك فانه يضيء
ومعبد من هاجمك في ظلمه
بينما جميع الارض في نور(٥٢)

وأخيرا حاولت المعارض ان تنحي باللائحة على اخناتون في سقوط الامبراطورية المصرية في بلاد الشام « واذا أرسل قوم الى سورية لمد حدود مصر لم يكن الفوز حليفهم قط »(٥٣) . ولكن مهما ربطت المعارض بين أخناتون وضياع الامبراطورية المصرية في بلاد الشام فان هذه الادعاءات تبقى للدعاية ضد اخناتون . قام بها اعداء اخناتون أنفسهم ، فقد قامت امبراطوريات في التاريخ مثل الامبراطورية الاكدية ، والبابلية ، والميتانية ، والحثية ، والكاشية ، والاشورية ، والكلدانية ، والفارسية والرومانية ، الاسلامية ، والبريطانية ، وسقطت كلها دون أن يظهر فيها أخناتون واحد. انها سنة الحياة ، طفولة وشباب وكهولة وسقوط .

أما فيما يتعلق بمحاولة اعادة الامبراطورية الضائعة في بلاد الشام(٥٤) ، فقد أدركت المعارضة ، عنف الهزة التي أصابت مصر ، جراء ثورة اخناتون الدينية ، كما أدركت مدى التغيير الدولي الكبير ، فقد بلغت الدولة الحثية ذروة مجدها ، وأقصى توسع لها في بلاد الشام . ولذلك آثر قائد الجيش حورم حب ، الرجل الذي كانت له السلطة الفعلية في مصر ، الاهتمام بشؤون مصر الداخلية قبل السعي لاعادة الامبراطورية ، فسن التشريع ، الذي نظم الادارة والقضاء وشؤون الجيش (٥٥).

وهكذا فقد ملأ اخناتون الدنيا وشغل الناس ، لا في القديم فحسب ، بل فيعالمنا

الحديث أيضا ، فقد كان اخناتون فيلسوفا ملتمسا ومفكرا مبدعا ، هدته ثقافته وفلسفته الى ابداع فكر عظيم . لقد كان فكر اخناتون ظاهرة مبكرة جدا في تاريخ الفكر الانساني ، أساسه الوجدانية ، والسلام بين الشعوب ، والصدق في سلوك البشر ، وحب الطبيعة ، وحب الانسان ، لقد كانت النزعة الانسانية في فكر اخناتون مميزة وواضحة ، فرحمة الله – حسب دينه – لا تخص شعبا بعينه ،أو أن الله يختار قوما ليخصهم بامتيازات على سائر البشر ، جاء كل هذا منذ ثلاثة الاف وثلاثمائة سنة . لكل ما سبق سيبقى أخناتون وفكره في ذاكرة البشرية ، ما دامت الحياة ، تكبره وتعجب به الاجيال .

## المراجع :


١ – أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

٢ – ارمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة .

٣ – برستد ، فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ١٩٥٩ .

٤ – جاردنر ، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ .

٥ – عبد المنعم عبد الحليم سيد ، حضاره مصر الفرعونية ، الجزء الاول ، ١٩٧٨ .

٦ – محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، القاهرة .

٧ – محمود عبد الحميد أحمد ، سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التاريخ ، الجزء الاول ، دمشق ١٩٨٥ .

٨ – ويلسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري ، القاهرة ١٩٥٥ .

٩ – الموسوعة المصرية ، نخبة من الاساتذة .

١٠ — Baeasted, H., Ancient Records of Egypt , Chicago 1906 .

١١ — Gardiner, A., Egyptian Grammar, London 1959.

١٢ — Geotze, A., Shoppiliumash Destroys the Kingdom of Mitanni , A. N. E. T.

١٣ — Wihson, J., Yut - ankh - amon- Restoration after the amarna Revolu tion, A. N. E. T.

## الحواشـــي :

(١) Breasted, J, H.,Ancient Records of Egypt- Chicago, 1906 .

(٢) حارب احمس الاول في فلسطين ، كما حارب تحوتمس الاول في بلادالشام ووصل الى الفرات ( منطقة نهارين ) . كما حارب الملك تحوتمس الثالث في بلاد الشام حيث شن عليها سبع عشرة حملة عسكرية ، وقد كانت جيوشهم برية. ـ محمود عبد الحميد أحمد، سلسلةالعلاقات السورية المصرية عبر التاريخ، الجزء الاول ، دمشق ١٩٨٥ ، ص ٤١ـ٨٦ .

(٣) حصل هذا في أواخر أيام الملك امنحوتب III

(٤) للاطلاع على أحوال مصر القديمة قبل أخناتون انظر : محمود عبد الحميد أحمد ، سلسلة العلاقات السورية المصرية عبر التايخ ، الجزء الاول ، دمشق ١٩٨٥ ، وسيشار اليه فيما بعد هكذا ، محمود عبد الحميد أحمد ، سلسلة العلاقات .

(٥) تحوتمس الثالث ( ١٤٦٨ ـ ١٤٤٧ ) ق.م. من أعظم فراعنة الاسرة الثامنة عشرة ، حيث يعد مؤسس الامبراطورية المصرية في بلاد الشام . انظر :

محمود عبد الحميد أحمد ،سلسلة العلاقات، ( مرجع سابق ) ، ص ٦٩ـ١٠١ .

(٦) يرى بعض الباحثين أن اخناتون لم يبدأ العداوة ضد كهنة أمون ، بدليل انه أعلن اثر اعتلائه العرش ، أن الهه أتن ما هو الا « رع حور أختي » ( اله الشمس ) الذي يتجلى في الافق باعتباره النور الذي في الكوكب أتن . وبهذا قدم اخناتون الاله أتن على أنه اله شمسي ربط الى اله شمسي آخر عظيم ، وهذا شائع في الديانة المصرية مثل ( أمون ـ رع ) . لكن الكهنة وقد أحسوا بتوجيه ملوك هذه الاسرة الى العبادة الشمسية ، بمحاولتهم تمجيد أتن رأوا في توجه أخناتون نحو الاله أتن خطرا يهدد مصالحهم الاقتصادية ، ويقضي على نفوذهم.

ـ عبد المنعم عبد الحليم سيد ، حضارة مصر الفرعونية ، جـ ١ ، الاسكندرية ١٩٧٨ ، ص ١٩٢ .

(٧) برستد ، فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٢٩٩ .

(٨) عمد موظفو الملك الى الارشيف الملكي ، فمحوا أسم أمون . وكذلك عمدوا الى محو أسماء سائر الالهة الاخرى .

ـ محمود عبد المجيد ، سلسلة العلاقات ، ص ١٧٤ .

ـ برستد ، فجر الضمير ، مرجع سابق ، ص ٣٠٠ .

كان أمون اله الهواء ، وكان يعني اسمه « الخفي » وهو في هذا عكس أتن الاله الذي يتجلى للناس يوميا وبوضوح تام .

(٩) ويلسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٦٢ .

— Gardiner , A., Egyptian Grammar, London, 1959, p. 625.

(١٠) الموسوعة المصرية ، نخبة من الباحثين ، الصورة ٣١٨ .

(١١) سمى امنحوتب الثالث الزورق الذي كان يستخدمه في النزهة مع الملكة في بحيرة قصره بطيبة « اتون يشع » . وبناء على كل ما سبق يرى بعض الباحثين أن نوعا من التعبد كان يقام لأتن في طيبة فعلا ، انظر :

ـ جارونر ، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

ـ أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٠٧ .

(١٢) ارمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، القاهرة ، ص ٢٠٨ ـ ٢١٦ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(١٣) كان قضاة مصر على الاغلب من الكهان ، وكانت الدعاوى تحفظ وتعد مع مكان حفظها من المقدسات .

(١٤) ان نقل العاصمة يدخل أيضا ضمن اجراءات الحرب الاقتصادية التي شنها اخناتون على كهنة أمون ـ كما سنرى ـ .

(١٥) محمود عبد الحميد أحمد ، سلسلة العلاقات ( مرجع سابق ) ، ص ٤٥ .

(١٦) أطلق جنود تحوتمس على نهر الفرات اسم « النهر ذي المياه المقدسة » وذلك قياسا على اتجاه مجرى النيل .

— B. A. R., vol, II

(١٧) فيما يتعلق بحروب ملوك مصر . انظر : محمود عبد الحميد أحمد، سلسلة العلاقات، ص ٤١ ـ ١١٥ .

(١٨) انظر المظاهر الدينية في هذا البحث .

(١٩) برستد ، فجر الضمير ( مرجع سابق ) ، ص٣٠٤ .

(٢٠) جاء في نص مصري يعود الى عهد « تون عنخ أمون » ( الملك الذي حكم مصر بعد أخناتون وارتد عن الاتونية ) ، وصف لحالة المعابد في عهد أخناتون كما يلي : « واغلقت معابد الالهة من ـ الفنتين » ( أي الشلال الاول ) الى الدلتا ...

وهجرت اماكنهم المقدسة ، ونبت فوق دمنها المرعى . وصارت معابدهم كأن لم تغن بالامس وبيوتهم صارت طرقا معبدة ، والبلاد كانت في مأزق سيء . وأما الالهة فقد هجرت هذه الارض .

ـ برستد ، فجر الضمير ( مرجع سابق ) ، ص ٣٣٠ .

(٢١) من أجل حصول الكهنة على حصتهم من الاسلاب والغنائم ، كان يرافق الجيش المصري في غزواته كاتب ـ كان في أغلب الاحيان كاهن تسميه النصوص S'sms'c ( كاتب الجيش ) . وكانت مهمة هذا الكاتب تسجيل الاسلاب والغنائم ، ولذلك لاحظ الباحثون أن هذا الكاتب ، كان يهتم بتسجيل الاسلاب والغنائم أكثر مما يهتم بأحداث المعركة .

(٢٢) عندما شاهدت الملكة حتشبوت أرباح حملتها التجارية الى بونت ، تبرعت فورا بجزء منها الى الاله أمون . انظر :

— Breasted J., Ancient Records of Egypt. Vol II, Chicago, pp270 ff.

(٢٣) الغى اخناتون عبادة الاله أوزير ، وكان لهذا الالغاء أثر سلبي بعيد المدى في نفوس الطبقات الشعبية المصرية بخاصة . وذلك بسبب المكانة المظيمة التي يحتلها هذا الاله في نفوس الناس كاله شعبي وكاله رمز لعقيدة المصريين في حياتهم الدنيا ، وفي بعثهم بعد الموت . وقد غزت عقيدة أوزير نفوس المصريين منذ أواخر الاسرة الخامسة ، حيث جعلت هذه العقيدة نصيبا للطبقات الشعبية بنعيم الخلد في دولة أوزير رب الابدية ، بل اعتقد المصريون في عصر الدولة الوسطى ، ان كل متوف سيصبح أوزير في الحياة الاخرة ـ وهنا سوف يتمتع الجميع بنعيم الحياة لا فرق بين غني وفقير أو بين حاكم ومحكوم ، وكان أوزير على راس اثنين وأربعين الها يحاكمون المتوفي في قاعة كبيرة .

ـ الموسوعة المصرية ، ( مرجع سابق ) ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ٣٦١ ـ ٣٦٢ . عبدالمنعم عبد الحليم سيد ، حضارة مصر الفرعونية، ( مرجع سابق ) ، ص ١٣٧ ـ ١٤٦ ، ١٩٣.

(٢٤) برستد ،فجر الضمير ،مرجع سابق، ص٣٣٠.

(٢٥) ويلسون ، الحضارة المصرية (مرجع سابق)، ص ٣٧٢ .

(٢٦) ربما كانت هذه السياسة نابعة من ثقافة وطبع وفلسفة اخناتون الدينية ، فقد جاء في رسالة بعث بها الى عزيرو الزعيم العموري ما يلي : « أنت تعرف أنني أكره الحرب ولا أريد ان اذهب لاقتل الناس في آسيا ». أو ربما بسبب حربه مع المعارضة ، هذه الحرب التي فرقت الامة الى حزبين كبيرين ( حزب الملك ، وحزب الكهنة ) ، او ربما بسبب تضليل اخناتون من قبل حاشيته ، اذ يعتقد ان هذه لم تكن مخلصة لاخناتون، وبالتالي فلم تطلعه على حقيقة الوضع في سورية بشكل خاص .

– محمود عبد الحميد احمد ، سلسلة العلاقات . ( مرجع سابق ).

(٢٧) الحثيون من الشعوب الهندو – اوربية . هاجروا الى اسيا الصغرى في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد وتغلبوا على الشعب الذي سبقهم اليها واحتلوا عاصمتها خاتي في منعطف نهر الهالس الذي يصب في البحر الاسود ونسبوا اليها.– محمود عبد الحميد ،سلسلة العلاقات، (مرجع سابق) ، ص١٣٠ – ١٣٣ .

(٢٨) الشعب الحوري – الميتاني ، شعب هندو- أوربي ، وصل الى منطقة الجزيرة السورية في مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، حيث اسس دولته ، واتخذ من واشوكاني ( تل الفخيرية بالقرب من راس العين الحالية ) عاصمة له .

– محمود عبد الحميد احمد ، سلسلة العلاقات ( مرجع سابق) ، ص١٢٣–١٢٧ .

(٢٩) يعد شوبيلوليوما Suppilumas من أعظم ملوك الامبراطورية الحثية الحديثة. وقد امتدت فترة حكمه من حوالي ١٣٩٠ق.م الى ١٣٥٤ ق.م .

— Pritchard, A.N.E.T., P. XVIII .

(٣٠) Goetze, A., Shoppiliumash Destroys The Kingdom of Mitanni, A. N. E. T, P. 318 .

(٣١) محمود عبد الحميد احمد ، سلسلة العلاقات ، مرجع سابق ) ، ص ١٦٢–١٦٣ .

(٣٢) تقع جبيل على الساحل السوري الى الشمال من بيروت الحالية ، وتعد من أهم الموانى الفينيقية التي كان لها صلات تجارية كبيرة مع مصر منذ عصور مبكرة جدا .

أما سميرا « Symura » فتقع على الساحل السوري أيضا الى الجنوب من مدينة طرطوس الحالية ، وربما تل الكزل الحالي.

(٣٣) محمود عبد الحميد احمد ، سلسلة العلاقات، ( مرجع سابق ) ، ص ١٦٤ – ١٧٠ .

– استطاع عزيرو أن يسيطر على بيروت بعد جبيل وبذلك امتد حكمه على الساحل من سميرا الى بيروت .

(٣٤) تماثيل الاوشابتي ، تماثيل صغيرة ، توضع مع الميت في غرفة دفنه ، كانت تقوم باجابة الالهة بدلا من الميت عندما يتطلب الموقف، وتسميتها قريبة من المصدر العربي «اجابة» .

– برستد ، فجر الضمير ،(مرجع سابق)ص٣٣٠

(٣٥) برستد ، فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٢٨ .

– برستد ، فجر الضمير ، ( مرجع سابق)، ص ٣٣٠ .

(٣٦) برستد ،فجر الضمير،( مرجع سابق)،ص٣٣٠

(٣٧) محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، القاهرة ، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

(٣٨) احمد فخري واخرون ،الموسوعة المصرية ، المجلد الاول ، الجزء الاول ، القاهرة ص٧٧ – ٧٨ .

(٣٩) برستد ، فجر الضمير ، ( مرجع سابق )، ص ٣٣٠ .

(٤٠) الماعت في اللغة المصرية القديمة تعني الصدق أو الحقيقة

— Gardiner , op. eil , P. 567 .

(٤١) محمود عبد الحميد احمد ، سلسلة العلاقات ( مرجع سابق )، ص ١٩٧-٢١٣.

(٤٢) يرى بعض الباحثين ان اخناتون كان فيلسوفا ملهما ، وقد هدته ثقافته الى ابداع ديانته . وهكذا فان هذا الابداع لم يكن وحيا الهيا يتنزل على الفقراء الضعفاء كما في الديانات السماوية بل هو اجتهاد بشري، لا يبدعه الا من كان مثقفا ومتعلما .

(٤٣) يقول برستد أن أخناتون اسس في النوبة مدينة لاتون مشابهة لـ « آخت آتن » في موقع العمارنة بمصر ، ومن المحتمل جدا، انه أقام مدينة اخرى لذلك الاله في اسيا ، وبذلك صار لكل من الثلاثة الاجزاء العظيمة التي تتألف منها الدولة وهي مصر وسورية والنوبة مقر لمذهب « أتون ».

— برستد ، فجر الضمير ، (مرجع سابق) ص ٣٠٠

(٤٤) برستد ، فجر الضمير ( مرجع سابق )، ص ٣١٢ .

أي الناس ، البشر .

(٤٥) اطلق المصريون على انفسهم تسمية « rmt »

— Gardiner, A. . Op. cit, P.578.

(٤٦) برستد ، فجر الضمير ( مرجع سابق ) ، ص ٣٠٥ — ٣٠٦ .

— احمد فخري ، مصر الفرعونية ( مرجع سابق ) ، ص ٣١٣ .

(٤٧) محمود عبد الحميد احمد ، سلسلة العلاقات ( مرجع سابق ) ص ١٧٦ .

— من فحص مومياء الملك توت عنخ أمون تبين انه في التاسعة من عمره حين تسلم عرش مصر القديم .

— محمود عبد الحميد احمد ( المرجع السابق ) ص ١٧٦ .

(٤٨) تكونت المعارضة ضد اخناتون من كهنة أمون والجيش ، والعاطلين عن العمل ، وكانت السلطة محور الصراع . وعلى الرغم من عنف معارضة كهنة امون لثورة العمارنة ، فقد استطاعت المعارضة العسكرية الوصول الى الحكم قبل الكهنة ، — كما رأينا — اذ كان قائد الجيش حورم حب حاكم مصر الفعلي بعد اخناتون ، الى أن اصبح ملك مصر رسميا . لكن المعارضة الكهنوتية لم تفقد الامل واستمرت تسعى الى الحكم سعيا حثيثا ، الى أن وصلت الى عرش مصر حوالي ١٠٨٧ ق.م ، حيث تولى الكاهن حريحور الحكم ، وبذلك عد مؤسسا للاسرة الحادية والعشرين .

(٤٩) « تحوت عنخ أمون ».

(٥٠) الاله أمون .

(٥١) برستد ، فجر الضمير ، (مرجع سابق) ص ٣٢١.
ص ٣٣١ .

(٥٢) القصيدة تخاطب أمون وتشفى من اخناتون والله ومعبده ، ( برستد المرجع السابق ص ٣٣١ ) .

(٥٣) برستد ، فجر الضمير ( مرجع سابق )، ص ٣٣٠ . ( النص من عهد الملك توت عنخ

(٥٤) تعد بلاد الشام مقدمة لمصر ، كما تعد مصر عمقا لبلاد الشام ، وكل حدث عظيم يقع في احدهما ، فان آثاره تنعكس على البلد الاخر. وقد أدرك المصريون هذه الحقيقة ، لذلك وجدنا المعارضة في أول ايام توت عنخ امون خليفة اخناتون ، تسعى الى انقاذ ما يمكن انقاذه من بلاد الشام ، فبعثت حورم حب قائد الجيش الى فلسطين الحالية وقد حقق بعض النجاح هناك .

(٥٥) احمد فخري ، مصر الفرعونية ، ( مرجع سابق ) ، ص ٢٣٦ — ٢٣٨ .

# حول زيارة امين الريحاني لليمن
# وهل كان متنكرا ؟!

د. محمد ثنيان الثنيان

## مقدمـــة :

سافر الريحاني الى امريكا صبيا ، وهناك تأمرك ، تجنسا وثقافة . لكنه بفطرته العربية السليمة حن الى ثقافة أبائه وأجداده ، فنهل من ينبوعها العذب ، وعـرف شيئا من أخبار الرحالة الغربيين، المتنكرين غالبا، الذين جابوا أرجاء الجزيرة العربية، فشعر وهو ابن العرب الاقرب والاجدر بجوب ديارهم ، بالغبن والمرارة وغـدا طموح الرحلة حلم يراوده ، حتى تحقق وقام برحلته العربية الكبرى ، والتـي زار فيهـا العراق ، وبعض مناطق الخليج العربي كالكويت والبحرين ، وزار قلب الجزيرة نجد ، وكذلك الحجاز ثم اليمن المعنية بهذا البحث .

الحجاز كتاب مفتوح قراه الريحاني في الصحف العربية والاجنبية قبل قدومه . والعراق ودول الخليج هذه كانت تحت الاستعمار البريطاني، فأخبارها قريبة متناولة، لا جديد ولا غريب فيها . أما اليمن ، فشد الرحال اليها له بريق وتميز لا يعد له الا المسير الى نجد .

اليمن كانت منغلقة ، منعزلة ، وكانت بغية الريحاني التوغل في المجهول .واليمن، جل بقاعها وعرة موحشة ، يكمن فيها الخطر ،وفي هذا اثبات للجسارة والتحدي لديه.

اليمن ، يمن التراث وعبق التاريخ ، كانت وجهة لرحالة غربيين سبقوه اليها ، أكبرهم الريحاني بل غبطهم ، وبذا ، ففي زيارته لها تحقيق لذاته وارضاء لطموحاته في رحلة يطاله منهاصيتا ، وتبقى له ذكرا .

وكانت اليمن أكثر بقاع الجزيرة تخلفا ، وكان حافزه الشخصي مـن رحلتـه العربية تطوير وتنوير اخوته العرب .

ونظرا لارتباطه الوثيق بأمريكا فقد وقفت بريطانيا ـ خوفا من منافستها ـ ضد زيارته ووضعوا الكثير من العراقيل والعقبات أمامه ، حصوصا في اليمن حيث كانت تربض متحفزة على بوابته في عدن .

ولعل إثارة قضية تنكر الريحاني القوي الصلة بهذا التناقض والتنافس لعله يلقي ضوءا عليه ، حيث ستكون مسألة التنكر مطية لهذا البحث ، ليس لاهميتها بحد ذاتها فقط ، ـ وان كان المتنكرون هم جيوش الليل الذين مهدوا للاستعمار ـ وانما لانها ستوصل الى غايات ومآرب اخرى اكبر وأهم . سيقتفي البحث هذه القضية ويتابعها ، ويدرس جذورها ، وحقيقتها وصولا الى أسبابها ومسبباتها ، كل ذلك في سياق سيفضي الى حقائق تساعد في وضع رحلة امين الريحاني لليمن في نصابها ومسارها التي كانت من أجله .

في رحلة أمين الريحاني للجزيرة العربية(١) ، والتي جاب فيها صحاريها وفيافيها ، وجبالها وسهولها ، في هذه الرحلة ، مكانان أو منطقتان كانتا بالنسبة لفيلسوف الفريكة صعبة المنال او بالاحرى الوصول اليهما كان من المشقة بمكان جعل هذا الرحالة ، وهو الفيلسوف المفكر ، يحار في أمره بل يخشى ويرتاع .

احتار في أمر الوصول الى نجد ، بعد ان حاول من يسيطر على البحار منعه ، ووصلها بعد أن دعاه حاكمها وسلطانها ، وسهل له ما توعر وتعسر من الدرب اليها(٢) .

أما اليمن وجبالها وسهولها فكان له معها قصة اخرى ، قصة حفت بها المخاطر في جل جوانبها ، غير أنها لم تخل من مسرات مفرحات في جوانب اخرى . واجه الريحاني في رحلته لليمن معظم الصعاب والعقبات التي يتوقع أن يواجهها رحالة غريب عن البلاد مثله . وواجه من الاجواء وأحوال الطقس وتقلباته : من برد وحر ما كان متناقضا تماما ، جمع بين حر الاستواء وبرد شتاء لبنان ، كما قال ، في ساعة واحدة ، ومن الدروب ماكان أشد تناقضا في علوه وهبوطه ، صعد الى سطح اليمن على جبال كبوعان وحراز ووسل ، جبال لا يسمع فيها الا صفير الرياح الباردة التي لا تنبىء الا بزمهرير الشتاء وبرده القارس . وهبط الى أسفل اليمن بل الى قبوه وجحيمه ، حيث سار في شعاب ووديان كمفحق وحجام ، حيث أشعة الشمس الحارقة يعاونها هواء الاستواء الحار(٣) .

من سمات رحلته الى اليمن ايضا ، الغموض والمجهول ، وبالتالي الخوف والرعب . أجل لقد كان للريحاني مواقف في هذا الشأن تذكر لتكتب ، ان رحلته في

.................................................................................

اليمن لقصة طريفة فيها من المدهشات الكثير ، ومن المفزعات اكثر ، جلها ومعظمها معروف رواه الريحاني في كتبه ومؤلفاته ، وطرفا آخر منها لا يزال طي الكتمان ستترويه الوثائق الامريكية .

## التنكر :

يقول القنصل الامريكي ، في عدن ( ريموند ديفز ) في تقرير رفعه الى الخارجية الامريكية بواشنطن بتاريخ ١٩٢٢/١١/٢١ ما يلي :

« الان أصبح من الممكن أن أعطي وصفا لزيارة أمين الريحاني لامام اليمن ، كما رواها الشخص الذي رافقه في الرحلة .

« مباشرة بعد مغادرة،ماوية، النقطة الاولى في حدود الامامعلى تخومالحواشب، تقمص الريحاني أجواء الدين متنكرا بشخصية سيد ، لقب تحمله سلالة النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ، وطلب من صديقه قسطنطين بأن يدعي أنه تركي ، ومع أنه قد نصح منقبل ابن الوزير حاكم الامام على ماويه ، والذي يعرف كل شيء عن الريحاني والفرض من زيارته ، أن يترك عنه الخدع ويظهر ويسافر كمسيحي . لكنه مع ذلك ، سافر كسيد ، حتى وصل صنعاء ، حيث كشف الامام ، حالا شخصيته الحقيقية »(٤) .

ويبدو أن هذه الرواية ــ ضمن غيرها ــ أتت مكتوبة للقنصل اما بواسطة هذا المرافق نفسه أو بواسطة شخص آخر ولعله احد الموظفين في القنصلية حيث ان سياق هذا التقرير بعد ذلك يوحي بهذا .. « ويظهر ان التقرير أيضا يؤكد الشائعات السابقة والتي تقول بأنه .. » .

فالقنصل الامريكي اذن تلقى تقريرا مكتوبا يفيد بأن الريحاني قد تلبس بالدين منتحلا شخصية سيد من السادة مخفيا بذلك شخصيته ودينه الحقيقي ، وبالرغم من نصح أحد المسؤولين اليمنيين له بعدم التنكر فقد استمر على هذه الحال حتى وصل صنعاء حيث كشف امام اليمن يحيى حميد الدين أمره .

فنحن اذن أمام وثيقة رسمية تفيد بأن الرحالة أمينالريحاني قد اخفىشخصيته ولبس قناع شخصية أخرى وعليه،فقد تنكر مثله مثل اكثير منالرحالة الغربيينالذين سبقوه الىالجزيرةالعربية(٥) . ولا شك في ان مثل هذا القول ، أو الرواية التي تبديها

هذه الوثيقة ليعد امرا جديدا ، بل ومستغربا . ويقينا ، ان القارىء ، وخصوصا ، القارىء العربي سيقف مشدوها أمام رواية كهذه ، لان ما عرف وما اشتهر عن أمين الريحاني ، حتى الان ، سواء في مؤلفاته وكتبه هو نفسه ، أو في المؤلفات الاخرى، انه خلال رحلته في الجزيرة العربية كلها ما تنكر ولا استبدل شخصيته بغيرها ولكن ، ايضا ، ومن ناحية اخرى ، فالوثيقة تقول بالحرف الواحد كما تقدم : « .. كما رويت من قبل شخص رافقه في الرحلة « فناقل خبر تنكره ، طبقا لهذه الوثيقة ، شاهد عيان بل وأكثر من ذلك ، مرافق له في الرحلة » .

— فهل يا ترى فعل الريحاني هذا ؟

— هل تنكر ؟. وهل كان هناك ضرورة لان يخفي شخصيته الحقيقية ؟..

للاجابة عن هذه الاسئلة لعل الامر يقتضي متابعة فيلسوف الفريكة في رحلته اليمانية هذه ، واقتفاء أثره ، خصوصا من النقطة التي ذكرت فيها الوثيقة بداية تنكره ، وهي بلدة ماويه أو بلد في حدود الامام يحيى حميد الدين .

**التحذير والتصميم :**

قدم الريحاني من مصر ، ووجته الجزيرة العربية ، ميمماً مدينة جدة ، حيث هناك صديقه قسطنطين يني(٦) . ومع رفيق رحلته قسطنطين هذا ابحر جنوبا الى عدن . عدن !؟ لله انت يا عدن! كانت على الريحاني جحيما لا يطاق . في نيويورك ، حذره يماني ونهاه عن زيارة اليمن ، وهول له الاخطار ، وبالغ فيها(٧) ، وفي مصر كان قول الاديب نعوم شقير ، ضغثا على اباله ، زيادة في الفزع والخوف(٨) أما عدن فقد كان فيها التهويل لا الهول نفسه ، حيث كان لاهل الحول والطول في عدن ، الانجليز مع الريحاني التخويف والتحذير قصة طويلة يقول القنصل الامريكي في أحد تقاريره : « بعد زيارة مصر مر الريحاني على جدة وقابل الشريف . بعدئذ ، قدم هو و يني الى عدن ، حيث أعطيا أذنا ، على مضض ، بزيارة اليمن ، واحلت الحكومة ( حكومة عدن البريطانية) نفسها من تبعات كل المسؤوليات عن أي شيء قد يحدث لهما في الرحلة»(٩).

الانجليز لم يكتفوا باخلاء مسؤوليتهم عن أي خطر قد يداهم الريحاني ورفيقه في رحلتهما لليمن ولكنهم تعدوا ذلك الى تحذيره .

هو ذا أمين الريحاني في دار المفوضية البريطانية في عدن ـ عندما أتى اليها طالبا الاذن بزيارة اليمن ـ في حوار مع الجنرال سكوت ، الوكيل البريطاني والحاكم المدني والعسكري في عدن . وبعد مقدمة في حديث من الشعر والادب قال « فجهرت

بقصدي فقال : أو لا تهمك الاخطار ؟ فقلت : هي لذة الاسفار . فقال : ولكن في السفر الى اليمن خطرا أكيدا ، خطرا كبيرا على المسيحيين ونحن لا نستطيع ان نحميك في ما تجاوز حدودنا .

فقلت : يا حضرة الجنرال . . . فاذا كنت لا اطلب الحماية من حكومتي ايجوز لي أن أطلبها منكم ؟ . . اني مسافر الى صنعاء يا حضرة الجنرال وليس لي مهمة سياسية . لا علاقة لي بأي حكومة من حكومات العالم . . . وأني أجهر امامك وأمام قنصل اميركا بذلك لعلمي أننا كحكومة وكأمة لا يهمنا اليمن ولا مطامع لنا في البلاد العربية . .

فقال الجنرال ، . . . أما السفر الى صنعاء فهو كما قلت محفوف بالاخطار وخصوصا اذا كان المسافرون مسيحيين . فاذا أذنا لكم باجتياز حدودنا لا نكون مسؤولين قطعا عن حياتكم وسلامتكم دون تلك الحدود »(١٠) .

سكوت العارف ببواطن الامور يؤكد له وجود خطر في اليمن لا مفر منه ، ان هو صمم على السفر اليه . ولكن لا تلين قناة من كانت الاخطار هي لذة الاسفار لديه ؛ كانت اجابة الريحاني ، كمن باع نفسه لهذا الخطر . . . « فقلت وهل تريد أن أكتب لكم صكا أتنازل فيه عن حقوقي بل عن حياتي ؟ فضحك ، ثم سكت ، ثم وقف قائلا : سأنظر في الامر وأكتب اليكم قريبا «(١١) .

وبالفعل فقد نظر سكوت في الامر ، ولكن مليا ، وبكل تؤدة واحتياط . فبعد استقصاء واستفسار عن الريحاني وهويته والغرض من رحلته، خصوصا من واشنطن، كما نصت على ذلك وثائق الخارجية الامريكية ، وأقوال الريحاني أيضا(١٢) ، أرسل اليه الانكليز خطابا أو بالاحرى صكا . نعم اذا كان الريحاني قد وعد الانكليز بكتابة صك يتنازل فيه عن حياته ، فما بخلوا عليه هم ، بدورهم ، بصك يعلنون فيه البراءة التامة من هذا الذي يريد أن يزج بنفسه في أتون خطر محدق . تسلم بعد طول انتظار خطابا من ريلي المعاون الاول للحاكم البريطاني بعدن هذا نصه : « قد كتب الحاكم الى سلطان لحج يسأله أن يرفقكم انت وقسطنطين يني بالحرس الى حدود حمايتنا عندما تزمعون الرحيل . ولكنه رغب الي أن أعلمكم بأن البلاد في اضطراب ، وأن السفر فيها خطرا على المسيحيين، وانه وان كان قد سأل السلطان أن يرفقكم بالحرس الى الحدود فلا هو ولا السلطان يضمنان لكم السلامة . وليكن معلوما لديكم بأن الحاكم غير مسؤول البتة عما يحدث لكم . . . »(١٣) هذا هو خطاب الموافقة أو الاذن على مضض الذي اشارت اليه الوثائق الامريكية . حيث غسل الانجليز أيديهم من الريحاني ورفيقه وتبرؤا منهما ، ونتيجة لهذا فقد داخل الريحاني ، ولا شك ، شيء من الفزع والرعب

من المصير المجهول ، وهو ، الى حد ما ، محق في هذا ، كيف لا ، وهو مقبل على بلد أهله كلهم مسلحون ويتحاربون أولا ثم يستفسرون بعد ذلك عن سبب القتال ! هكذا حدث الريحاني سيد من سادات اليمن(١٤) وللريحاني ، في التاريخ ، سابقة وعبرة. الم يبتلع اليمن قبله بعضا من الرحالة ؟ وما قصة هلاك الالماني ( سيتيزن )(١٥) عن مخيلة رحالة العرب وفيلسوفها ببعيدة . ولكن هذا لم يجد سوى رحالة جسور . سافر بعد أن ترك وراءه عنوانين،في بيروت وفي نيويورك لينعى على الاقل الى أهله(١٦). واذا كان هذا قدر الريحاني ، فمن ذا يرد القدر ؟ قال : « لست أدري وأنا أعيد ذكرى تلك الايام ما الذي تغلب فيّ على ذلك الترويع اذا لم يكن ثباتي على أحد أمرين وهما ثقتي التامة بأخواني العرب وعزمي على انجاز ما باشرته من السياحة الدراسية »(١٧).

ما خاب ظنه باخوانه العرب، ولا خذلوه ،في ثقته التامة بهم . . .» ولكن كلمة قالها القاضي عبد الله العرشي بصفته الرسمية ـ اذا لم يكن الامن موجودا فنحن نوجده من أجلكم ـ وكلمة كتبها تطردان كل ما تهافت على آذاننا وتزاحم في قلوبنا من كلمات الترويع والتهويل »(١٨) . فالكلمة التي قالها العرشي هي تأمين الامن والحماية ، حيث أحاطه اليمنيون بحراسة قوية لحمايته في الطريق الى صنعاء . أما الكلمة التي كتبها العرشي في خطاب التوصية الذي حمله الريحاني معه الى الامام . وكانت تلك الكلمتان بالاضافة الى رسول العرشي الذي ندبه مع الريحاني مرافقا له في رحلته وخطاب التوصية والتعريف الذي كتبه أيضا الى أمير ماويه ، وحمله الريحاني أيضا معه ، كانت كلها معا المصباح المنير والنبراس الهادي لفيلسوف الفريكة في رحلته حتى صنعاء(١٩). وكان العرشي أيضا قد أخبر الريحاني كتابيا بموافقة الامام على الزيارة(٢٠) .

## المسير الى صنعاء :

استقل الريحاني من عدن قطارا بخاريا قديما ، متجها الى لحج(٢١) ، حيث مكث فيها اسبوعا(٢٢) في ضيافة سلطانها عبد الكريم فضل(٢٣) ينتظر موافقة الانكليز على امداده بالحرس اللازم حتى نهاية محمياتهم وبعد مماطلة شديدة ، تم له ما أراد(٢٤) . فغادرها في سيارة صغيرة الى الدكيم ، آخر نقطة في حدود سلطنة لحج من الشمال حيث كانت القافلة ، ومعها الحرس ، تنتظر الريحاني فتحركوا نحو المسيمير ، قاعدة بلاد الحواشب واستقبل فيها من قبل سلطانها الذي أكرم وفادته وزوده بحرس حتى ماوية . وكان الريحاني قبلا ، قد توقع الخطر كل الخطر في هذه المنطقة لكثرة ما حذر منها. وما وقع فيها من أحداث دموية قبيل مروره بها ، ولكن على عكس ما توقع فقد كان له مع الحواشب قصة في الكرم عجيبة غريبة ، نسيها بعد أن استجد عليه أغرب منها(٢٥). قال فيلسوف الفريكة ، مخاطبا زوجة السلطان :« أكثر الله أيتها السلطانة من فخارك،

وجعلنا السنة فخارك ... كيف لا وأنت السيف في اكرام الضيف ... تروعين أيتها الحوشبية الالمعية ولا تجوعين . قد كنت حديثنا وموضع اعجابنا حتى في بلاد الزيود ، ... وقد تنسى الغريبة الجديدة ، غرائب عديدة ، كما حدثت في ماويه أول بلد من بلدان الزيود ... دخلناها في أصيل ذلك النهار ...(٢٦) .

ماويه ، النقطة الاولى في حدود امام اليمن ، وهي بالتأكيد العتبة الاولى في سلم ضيق صاعد متعرج موحش لكن في النهاية يفضي الى بيت القصيد ؛ الى صنعاء .

**مسألة ايقاف الريحاني :**

ولكن يا ترى ما هي غريبةماويه الجديدة تلك التي أنسته غرائب الحواشب . أهي تلك التي أشارت اليها احدى الوثائق الامريكية ؟

القنصل الامريكي ( ريموند ديفيز ) في تقريره السري :

وبعد أن أورد الشق الاول منه ، وهو عبارة عن حديث للقنصل مع الريحاني نفسه وما قاله عن رحلته لليمن قال القنصل :

« والحكاية ، طبقا للرأي العام المحلي في عدن مختلفة تماما ... بعد المكوث اسبوعا كضيوف لدى سلطان لحج ، واصلا الى ماوية ، والتي هي النقطة الاولى في حدود الامام . هنا ، أوقفا حتى أتى الامر من الامام ـ والذي استلم أخيرا ، عن هذه الرحلة المرتقبة ، رسالة من العرشي ـ بأن يتركا ليتابعا »(٢٧) .

طبقا لهذا التقرير ، اذاً فالريحاني ورفيقه قسطنطين يني ، هنا ، في ماوية قد أوقفا . والعبارة الانكليزية التي استخدمتها هذه الوثيقة لـ « أوقفا » هي : They Were Held والتي تتفاوت فيما تعنيه من مجرد الاعاقة ، والتوقيف،الى الحبس والاعتقال، فهل تعرض فيلسوف الفريكةلواحد من معانيها المرة؟هل حبس حقيقة أو سجن في ماوية ؟ أو اذا أحسن الظن بأخوته العرب ، هل على الاقل ، أوقف أو سئل؟

**ماوية مجلس ابن الوزير :**

وقبل مناقشة ما جاء في هذه الوثيقة والتي قبلها ، حري بنا ان نرافق الريحاني في ماية ، لنطلع أولا على ما جرى له فيها .

قال وهو على مشارفها ، بأنه سمع صوتا جميلا شنف أذنيه ، وكان لشدوه وقعا في طريق موحش وعر ، ولما شد ورفاقه في الصعود وبلغوا العقبة من الجبل ، تبينوا جنديا على سطح ، ومعه البوق ينفخ فيه،ترحيبا بقدومهم باسم امير الجيش في ماوية: ابن الوزير . قال الريحاني : « وكانت فاتحة الالطاف »(٢٨) وكان لفاتحة الالطاف هذه ألطاف أخرى تبعتها .

أقول قبل سرد هذه الالطاف، انه قد أجري له في ماوية استقبالان، أو على وجه الدقة استقبال ذا وجهين أحدهما جرى خارج القصر وكان مفرحا مبهجا ، كان متمم الالطاف . اجل لما دنا الريحاني من القصر سمع فرقة الموسيقى العسكرية تصدح بالنشيد الوطني اليمني . كما رأى فرقة اخرى من جنود النظام مصطفة خارج السور للاستقبال ، وكان في مقدمتها ضابط تركي ، ممن تبقى من عسكر الدولة العثمانية من اولئك الذين غدر بهم الزمان وسفى عليهم التراب فترجل الريحاني ورفاقه من على ظهور بغالهم ليردوا التحية بمثلها . ودخلوا فناء القصر ومشوا بين صفوف من عساكر اليمن المسترسلي الشعور ، واللابسين القمصان والعمائم المصبوغة بالنيل ، وكانوا مسلحين بالبنادق والجنبيات. وكان يتقدم الريحاني ورفاقه، كاتب سر الامير واثنان من رجاله حتى وصلوا باب القصر حيث أوقفهم الحارس الذي نادى بكلمة ، حارسا آخر داخل القصر فجاء الجواب بالدخول(٢٩) .

دخل القصر ، فبدات مراسم استقبال من نوع اخر ، الوجه الثاني للاستقبال ، يبدع وصفه من أجري له وعاينه وعاناه، قال فيلسوف الفريكة : « دخلنا وكانت بداءة الرعب والكرب ، صعدنا في درج لولبي ، مظلم ، ذكرتني درجاته بدرجات الهرم الكبير ، كل واحدة منها دكة ، وعلى كل دكة واحد او اثنان من ذوي الشعور الطويلة ، والثياب المنيلة ، التي تفوح منها رائحة النيل الطري السائل كذلك في أجسامهم كنت وانا اتلمس طريقا اتمثل القلعة بل السجن في ذاك القصر واتصور نفسي اسيرا فيه ، فجاء الاضطراب مع التقزز يفسد علينا بهجة الاستقبال العسكري »(٣٠) .

عندما دخل هذا القصر أو على الاصح هذه القلعة ، قال بأنها كانت بداية الرعب والكرب والامر لا شك كذلك ، فقد أفضى به المدخل الى درج لولبي ملتو مظلم ذا ردهات بها عسكر مسلح . منظر بالتأكيد لا يسلم الا الى التوجس والترقب خوفا . وكان مضطربا ولا لوم . وتخيل نفسه اسيرا في هذه القلعة أو السجن . فهل كان في غير الخيال كذلك ؟ هل اوقف أو سجن في ماوية ، كما روت الوثيقة ؟ وتكون هذه القلعة الحصينة المنيعة المظلمة المكان المشئوم ؟!

ولكن ليكمل الريحاني قصته مع هذه القلعة أو القصر فما سيأتي كان أدهى وأمر ، وكما كان هناك فاتحة الطاف فهنا فاتحة على نقيضها : « وما هي الا فاتحة الكروب ، فعندما وصلنا الى الطابق الاخير أوقفنا الحارس ثانية أمام باب صغير ، ثم دخلنا فاذا نحن في غرفة صغيرة نوافذها مقفلة الا واحدة منها ، وهواؤها وقد امتزج بالدخان الكثيف الفاسد ، وأرضها مفروشة بالقش والحشيش ، والى جانب الاربعة حيطان عمائم بيضاء كبيرة ، أصحابها جالسون على الارض صفوفا ملزوزة ، وكلهم في تلك الساعة يمضغون القات بل يخزنون وفي الزاوية عند منضدة صغيرة ، الى جانبها مداعة ، بين أكمة من الاوراق ورزمة من القات ، رجل صغير المنكب والعمامة حاد النظر واللسان ، ناصع الجبين والبيان ، قدمنا اليه كاتب الاسرار ، فعرفنا انهالسيد الامجد علي بن الوزير(٢١) أمير جيش الامام في لواء تعز .

صافحناه وهو جالس كأنه احد ملوك اليمن في الزمن الغابر السعيد ، فأشار الى فتر من السجادة حشرنا فيه بين شيخين هائلين ، وكان كل من أولئك الاجلاء المحترمين ينظر الينا شزرا كأنه يلتمس لنفسه عذرا من مجرد النظر ، وما أظن أننا ظفرنا بشعاع من العطف في تلك العيون ولا فزنا بنظرة واحدة فيها شيء من الارتياح أو التساهل(٢٢) .

ان الداخل على مجلس كهذا ، سيصاب ولا شك بالانقباض والتوتر ، خصوصا اذا سلك طريقا لا يقل هيبة عن هيبة ورزانة هذا المجلس الموقر ! واذا قوبل الضيف القادم بشيء من عدم الاكتراث وحرم بعضا من حقه لياقة الاستقبال والتوديع ، ومن أبسطها النهوض له والبشاشة في وجهه عند المصافحة ، وما حظى الريحاني الا بالاخيرة منها ، فانه ولا شك سيزداد وحشة على وحشته ، ولكن كما قال الريحاني: « في مجالس القات تقل الترهات »(٢٣) .

ولكن عدم الاكتراث يهون عند الاحراج ، ذلك الاحراج الذي ضاهى الاستجواب. وأين ؟ في غياهب قلعة موحشة كالسجون . ففيلسوف الفريكة بدل أن كان الضيف المحتفى به غدا الغريب المجهول المشكوك في أمره أو بالاحرى قد فهم خطأ وفي الحالتين هو الريب الذي لا يقين فيه ، « هل أنت حسني أو حسيني ؟ » .

لندعه يتولى زمام الحديث عن موقفه هذا العصيب وما لاقاه فيه من مباغته ومفاجأة ، قال : « بعد ان سلمنا على الامير قدمنا له كتابا من القاضي عبد الله العرشي وفيه يعرفه اما خطأ واما تلطفا ، الى السيد أمين الريحاني ، فظنني حضرته من أشراف المسلمين واراد ان يعرف الى أي الفرعين أنتسب ، فسألني قائلا : هل انت حسني أو حسيني ؟.

وقع السؤال عليّ كالصاعقة ، فبلبل الخاطر مني لاول وهلة وعقل اللسان ، فجالت في ذهني بل جرت كمجرى البرق وصور كلها سود تنذر بابتلاء ، أفلم ينذرنا الانجليز بالخطر على المسيحيين ؟ افلم يحذرنا عرب عدن ولحج من الزيود المتعصبين ؟ وها نحن في مجلس اميرهم وعلمائهم ، وفي قلعة ظلماتها كظلمات السجن او اشد ، وروائحها مثل نظرات اصحاب العمائم بل أحد ، ولا تزال والحمد لله في بداية الرحلة ، وهل أنت حسني أو حسيني ؟ »(٢٤) .

من عظم الصدمة صار فيلسوف الفريكة يحادث نفسه وكأنه يهذي حاشا ماكان يهذي ، بل كان يحاول ان يهدي نفسه الى مخرج سليم منج من هذا المأزق . وهو يحاور نفسه ،كان كغريق يبحث عن قشة لينجو بها ،وهذا طرف منه :«جاوب يافتى. هل تكذب على الامير فتنتسب ، اذكر اني في خمس لحظات غيرت ديني خمس مرات ، فكنت انتقل كالبرق من الحسن ، الى مارون ، الى الحسين ، الى دروين . اما اذا اكتشف الامير بعدئذ حقيقة دينك ــ اصدقه بالخبر يا رجل ولكن ــ هل تعلن امام الجمع الزيدي الرهيب مارونيتك او مسيحيتك أو درزيتك ، قد يوقفونك فيأسرونك ..

جالت هذه الصور والسؤالات في نفسي ، جرت مجرى الكهرباء ، وانا اثناءذلك اسير خوف اشد من خوفي ساعة اطلق الحواشب الرصاص ليوقفونا للفطور»(٢٥) .

جرت هذه الصدمة في أعماق فيلسوف الفريكة ، مجرى الكهرباء حتى قبل ان عرف اليمن عصر الكهرباء ! ولكن يظل السؤال هو السؤال كيف تخلص من هذا الموقف الحرج ؟ هل كذب وانتسب ؟ أم صدق واحتسب ؟ والصدق منجاة . أم انه وهو بين جمع ربما ضم بين صفوفه غلاة متعصبين ، لاذ بالمدارة فوارى ؟ أجل دارهم ما دمت في دارهم . هل فعل هذا وحدثهم من الامر ما يعقلون ؟ راغ الفيلسوف الى عمله ، الى فكره ، فما وجد سوى ذاكرته وبديهته منجدتان مسعفتان . قال كلمة ، وان كانت ليست كل الحقيقة ، الا أنها كانت صافية صادقة وأمينة ، واردفها ببيت من الشعر كان فيه التأييد والتعضيد . قال الريحاني ، وهو يتوق الى الخلاص : « ولكنه سبحانه ، بعد أن غيرت فكري خمس مرات في خمس لحظات ، فتح علي فقلت مجيبا : انا عربي يا حضرة الامير ، احترم كل المذاهب الاسلامية ، واحب كل العرب ، واتمثل دائما في مثل هذا الموقف بقول الشاعر :

ولكل ربع من ربوعك حرمة      وهوى تغلغل في صميم فؤادي(٢٦)

هل اقتنع ابن الوزير بهذا الجواب أو فهم مغزاه ؟

يقول الريحاني في هذا الصدد : « اظن ان الامير استحسن الجواب او انه احسن امام العلماء المداراة »(٣٧) .

« استحسن الجواب » الاستحسان ، ولا شك ، درجة من درجات القبول ، وليس القبول كله . و « احسن المداراة » فكما كان الريحاني لبقا مداريا في اجابته ، فعل ابن الوزير كان أيضا كذلك ، ولكن القبول التام لم يحن بعد . ويقيض الله له رجلا مال اليه قلبه مذ رآه أول وهلة، فكان له في هذا المجلس ، نعم النصير وخير المعين . قال الريحاني : « وكان من رجاله الذين استقبلونا خارج القصر رجل بش لقدومنا بشاشة الصديق فلمسنا القلب منه في سلامة ، وتبادلنا واياه الثقة والولاء . ففال يعقب على جوابي مخاطبا الامير : حضرته من سادات لبنان .

فبدت منه ، بارك الله فيه ، شارة القبول والاقتناع وغير الحديث ..(٣٨) .
أخيرا افتنع الامير ، أو على الاصح تبين له أمر الريحاني وشخصيته الحقيقية . وقد جاء هذا صراحة ، فيما بعد ، على لسان الريحاني حيث قال ذات مرة وهو في صنعاء : « وبينا انا افكر ذات يوم في ما أقول لمولاي الامير في ماوية وقد سألني احسني انت أم حسيني ، وعرف بعدئذ اني مسيحي. »(٣٩) .

أيد هذا وأكده ختام هذه الجلسة ، كان ختامها مسك ، الصلاة ، حان وقت المغرب . فاستأذن ليغادر ورفيقه قسطنطين المجلس ، فما عجب الامير ولا دهش لذلك، وفي هذا اشارة لمعرفته باختلاف الدين ، حيث لم يطلب منهما البقاء لمشاركتهم صلاة الجماعة . قال الريحاني : « ثم قلت وأنا أتوق الى الهواء : قد يريد الامير أن يصلي المغرب . فأذن لنا بالانصراف وأمر كاتب سره ورجاله أن يصحبونا الى المضيف، ويعتنوا بأمرنا . صافحناه مودعين فلم يقف لنا ولا وقف أحد من العلماء »(٤٠) .

غادر المجلس بعد أن أنعم عليه في أول الجلسة بلقب ما برح أن فقده في آخرها ولكنه فاز من الغنيمة بالاياب خلص من المجلس خلاصا عده فوزا مبينا . وغادر الى حيث قصر الضيافة ؛ قلعة أخرى ، شاهقة مظلمة . وناما فيها تلك الليلة .

### هل أوقف الريحاني فعلا في ماوية ؟

هنا وقد أشرف على مغادرة ماوية يجدر مناقشة ما جاء في تقرير القنصل الذي قال فيه بأنه قد أوقف فيها .

بالقاء نظرة عليه في هذه البلدة وخلاصة ما حدث له فيها وانطباعاته عنها ، يلاحظ انه ما كان ابدا مرتاحا ، ولا هدأ منه البال ، بل كان منقبض النفس مضطرب الخاطر ، ولعل ذلك راجع الى سببين :

**الاول ــ** انه عندما أشرف على ماوية ووصلهـا ، كان أصـلا مهيئـا نفسيا لأي اضطراب أو قلق ، كان مهيئا نظريا وواقعيا . نظريا ؛ مـن نيويورك مرورا بالقاهـرة وعدن وحتى لحج ، كلها نذير وتحذير ، عن اليمن وجبال اليمن ، حتى تشرب هـذه الافكار وتسللت الى أعماق نفسـه ، فتوقع أن يد المنون أقرب اليه من حبل الوريد .. واذا كان هذا عن اليمن عموما ، فقد كان يحمل فكرة سيئة سوداء عـن علي بن الوزير نفسه(٤١) . أما واقعيا ، فقد واجه الخطر أو ما اعتقد ، خطأ ، انه الخطر ، في بـلاد الحواشب ، وكان كما تقدم قد حذر كل التحذير منهم ومن ديارهم .

**الثاني ــ** احداث ماوية فبعد انتهاء مراسم الاستقبال خارج القصر ، وبمجرد أن دلف الى داخله ، بدأ الاضطراب والقلق يعود اليه ويزداد كلما توغل في صـعود ذلك الدرج المظلم حتى كانت طامة الختام في ذلك المجلس غـير المريح أبـدا ، والذي بـدا فيـه متوتـرا .

لا شـك أن هـذا المجلس المريـر ولد وحشة بينه وبين الامـير بل بينـه وبين البلـدة عموما .

بيد أن ما قالته الوثيقة عن أنه قـد أوقف أو حبس فيها أمر لا أساس له مـن الصحة ولا تؤيده أحداث اقامته التي بدأت وانتهت بشكل عادي وان شابها ، كمـا تقدم ، بعض المواقف المحرجة والالتباس ، فهناك عدة عوامل سـتذكر لاحقا ، تنقض ما جاء في هذه الوثيقة .

## الريحاني . لماذا حسني أو حسيني ؟!

وبعد أن غادر تلك القلاع والحصون ، واصل الريحاني السير والتصعيد في جبال اليمن السعيد ميمما شطر مدينة قديمة عريقة ؛ مدينة اب .

ولكن قبل أن يوغل في السير والسرى يقتضي الامر التريث للنظر في الوثيقة التي قالت بتنكره بشخصية سيد ، هنا عند مغادرته ماوية .

وقبل هذا ، ولما يبدو بينهما من ارتباط وصلة ، قد يسأل المرء نفسـه لماذا سأل ابن الوزير ، الريحاني ذلك السؤال المحرج ، هل أنت حسني أم حسيني ؟ مع علمـه ومعرفته التامة به وبرحلته ؟

هل بدر منه ، مثلا ، قول أو عمل أوجب مثل هذا السؤال ؟ الريحاني ، كما تقدم ، أجاب بأن الامر التبس على ابن الوزير ، بعد أن قرأ خطاب توصية العرشي به والذي لقبه فيه ، اما خطأ أو تلطفا ، بـ « السيد » فظنه من أشراف المسلمين وأراد أن يعرف الى أي الفرعين ينتسب الى الحسن أم الحسين ، وهكذا كان . وهذا كلام معقول مقبول الى حد ما ، فالمرء أحيانا ، مهما كان عنده من معرفة واطلاع مسبق ، يتجاوب مع حاضره ، مع ما قد يباغته ، فلعله سؤال كان عفو الخاطر واللحظة عابرا ، معبرا عما تبادر الى ذهنه عندما قرأ هذه العبارة ، « السيد أمين الريحاني » فجاء سؤالا تلقائيا ما أعطاه عمقا لا في التفكير ولا التذكر ضاربا صفحا عما لديه من معلومات لعلها تشوشت بهذه المفاجأة ، ولعل كلمة « سيد » تفاعلت مع ما كان متخمرا ومترسخا في فكرة من عرف وتقليد .

نعم ألم يكن آنذاك ، جل كبار أهل اليمن ، بل وكل زعيم ، في أغلب الحالات ، سيد من السادات ؟ .

ثم ألم يكن أمين الريحاني ، في تلك المناسبة ، له شأن ومقام رفيع ، كيف لا . وهو الضيف والزائر لكبير السادات هناك ، لامام اليمن . ثم ها هو ذا سفيره وممثله في عدن يلقبه فوق بالسيد . فلعل ابن الوزير فهمه وأخذه مأخذا قريبا من تصوره وما اعتاد عليه ، سيد من السادات . ويزيد في هذا الالتباس غموضا كون الريحاني عربيا ، فما الفرق ؟ هذا ، بالاضافة الى احتمال آخر ، فلعل المعلومات التي وصلت الى ابن الوزير ، عن الريحاني ، لم تشر الى دينه ، وهو أمر عادي ، بل اشارت فقط الى فضله وريادته في حب العرب ووحدتهم ، وما جاء في خطاب توصية العرشي به الى الامام مثال على ذلك(٤٢) .

فهل يا ترى هذه الامور جميعا ، متداخلة ، حامت على رأس الامير في ساعة من مجلس القات ، فجادت قريحته بهذا السؤال ؟ وأنت سيد من السادات فالى أي منها يا فتى تنتسب ؟ وعادة الانتساب ، في الجزيرة العربية ، أمر معروف ومألوف ، فعادة ما يسأل المضيف ضيفه الى أي قبيلة أو فخذ ينتسب وأحيانا ينتسب الضيف من تلقاء نفسه ولا غضاضة في كلتا الحالتين . واعل ابن الوزير في سؤاله ذهب هذا المذهب، فبعد أن تصور خطأ أنه سيد أراد أن يعرف ، فقط ، الى أي فرع يرجع . والريحاني، وهو بعد حديث عهد بالجزيرة العربية وطباع أهلها ، حيث كانت رحلته الاولى اليها ، ربما جهل هذه العادة فكبر عليه السؤال وضاق به ذرعا . فأتت برقية ابن الوزير ، التي قال الريحاني أنه تلقاها منه وهو في اب(٤٣) والتي أعلن فيها أسفه لفراقه ، مشيرة من طرف خفي الى أسفه أيضا عما بدر منه تجاه الريحاني في مجلس القات ذاك ، وسؤاله الذي كان في غير محله .

والخلاصة ، أن الريحاني خلص من ذلك المجلس ، بل من ماوية كلها بشخصيته الحقيقية ، التي لا لبس فيها ولا تنكر . أما ظن ابن الوزير ، وفهمه الخاطىء ، في أول المجلس ، أياً كان ، فهذا شأنه ، ولا دخل للريحاني فيه ، حيث لم يدعِ ، ولم ينتحل اي شخصية اخرى حتى الان .

**في الدرب بعـد ماوية**

أما حاله وهو يغادر ماوية حيث بدا بالتنكر طبقا للوثيقة ، فقـد كانت ، والحق يقال ، حال لا تسر الخاطر ، جللتها الكآبة ، وحف بها التعب والسأم من كل جانب، وهاكه يصف طرفا منها : « سافرنا في اليوم التالي عند الغروب راكبين البغال . . . مصحوبين بحرس مـن جنود الامير . . فتهنا في ضوء القمر سـاعة عادت فيهـا الي الاحلام ، وأناعلى ظهر الدابة شطران ، شطر نائم وشطر يقظان ، فكانت تدور الارض تحتي بما فيها وتمر بي الاشجار كأنها عرائس من الجن . وكنت اسمع القسطنطين يناديني فأظنه في قارة وانا في اخرى ، ثم رئيس القافلة : هده هي الطريق ، ثم احد الجنود : هداك الله يامقدم ،فيخيل الي اني في أرض غريبة الظل والسراب ، فيهـا اشباح تتكلم العربية »(٤٤) .

واصل فيلسوف الفريكة على حالـه البئيسة هذه ، السـير ، بل السرى حتى وصل الى قرية « الشيخ صلاح » في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وقد أخذ منه التعب والجوع كل مأخذ،فنام ورفاقه ساعتين لاغير ثم أدلج ثانية حتى شروق الشمس. أشرق يوم جديد ، وكان يوم مشـرق على الريحاني وقافلته . أجل مـع اشراقة ذلك اليوم سار وربعه في اراض خضراء تفوح من أدغالها روائح النباتات العطرة ، ومر بواد من أجمل الاودية وأخصبها ، يجري الماء النمير فيه سلسبيلا ، كيف لا ، وهو وادي الذهب . وعندما صعد من هذا الوادي في نقيل المحرس زاد الحسن والجمال ، فبعـد أن كانت ، بالامس مكفهرة عابسة ، أشرقت الدنيا في وجهه واخضرت ، وتموجت ربيعا طلقا ضـاحكا ، داعب مشاعر وأحاسيس فيلسوف الفريكـة فذكره بوادي الفريكـة ونسيمها ، ذكره بلبنان وجبالها الخضر . فقال ، بعد ان وعي ما قال : « . . . فأشرفنا منه على مشهد بهيج من السهول المزروعة،ومن القمم الخضر والجرد دون تلك السهول. ثم دخلنا في ما يدعى « نجد الاحمر » . . . وتعددت حولنا النباتات والرياحين التـي ذكرني بعضها بلبنان فهو ذا البيلسان وذاك اليانسون ، وفي تلك الادغال شجيرات من البطم والغار »(٤٥) .

**على مشـارف اب**

واجمل من هذا رأي من على قنـة هذا النقيل ، « أب » تلك المدينـة الاصلية

الكريمة التي سعد فيها الريحاني وتنفس الصعداء . واذا كان يومه هذا مشرقا ، فقد كانت أيامه في أب كلها سعد واشراق ، أجل فقد استقبله اميرها في ساحة الاستقبال وأكرم وفادته .

أقام الريحاني في ضيافته يومين اثنين ، قضاها ورفاقه في بحبوحة من العيش ويسر الامر ، وبعدها كان الوداع والرحيل . وكما كان لأب ساحة استقبال ، كان لها ساحة مغادرة ووداع . سار الريحاني وصحبه صوبها يصحبهم أمير البلدة اسماعيل باسلامه، حيث ودعهم وزودهم بما يؤمنهم ويطمئنهم من وحشة الطريق، قال الريحاني مغتبطا : « ... وأرفقنا الى ذمار بثلاثين من الجنود النظامية على راسهم ضابط تركي فسرنا بعد استراحة يومين في نعيم ضيافته ونحن نخشى أن يزداد عدد الحرس كلما دنونا من صنعاء ».(٤٦) .

## ايـن التـنكر ؟!

والآن وقد غادر اب ، قد يسأل المرء نفسه أين التنكر ؟ ونجيل النظر فيما مضى من الدرب ويرتد الطرف بالنفي المطلق .

ولكن بالرغم من هذا ، فالقنصل ، يصر على تنكره ، واستمراره بهذه الهيئة التنكرية « .. ومع ذلك ، سافر كسيد ، حتى وصل صنعاء ، حيث كشف الامام حالا شخصيته الحقيقية » .

وبين عوامل النفي والاثبات ، لا يجد المرء بدا من الاستمرار في متابعة المشوار، وسبر غور هذا الامر حتى منتهاه :

## يـريـم

واصل الريحاني رحلته في الجبال ، ميمما مدينة يريم مارا بوادي المرفد ،الذي يفوق وادي الذهب جمالا وخصبا ، أجل فقد شاهد فيه لاول مرة شجرة البن . تلك الشجرة التي تغوص جدورها في أعماق يمن الماضي السعيد . ان شجرة البن هذه أو شجيرتها ، لا تذكر الا باليمن ، ومخا اليمن ، وغابرها التليد . ثم صعد الى أعلى نقيل ، نقيل جبل سمارة ، حيث شاهد تحته لوحة ربانية من الاودية والقيعان الجميلة الخضراء والجرداء منها على السواء ، ومن بينها تبين يريم والتي فيها ، وعلى مشارفها ، كان له من التشريف فوق ما كان ، قال وقد وصل المدينة : « اما استقبالنا في يريم التي كانت تدعى مريمة في عهد حمير فقد كان مثل استقبالنا في اب ، وذا مظهر ، فوق ذلك ، فريد . فقد خرج لملاقاتنا أولاد المدرسة مع شيخهم الفقيه فاصطفوا الى جانب الطريق ينشدون ويهللون مرحبين »(٤٧) .

## ذمـــــار

وفي اليوم التالي ، قبل الفجر ، غادر الى ذمار(٤٨) . حيث وصلها عنـد الظهر ، وكان يوم جمعة ، فلم يتمكن من مقابلة عبد الله بن الوزير(٤٩) أمير الجيش على لـواء صنعاء ، والذي ندب لاستقباله ، على مشارف المدينة ثلة من الجنود ، وبعض الاعيان، والفرسان الذين كانوا يمتطون صهوات جيادهم،وكان استقبالا فخما ، شعر الريحاني، وهو على بغله المتعب الواهن ، بالهون والصغار(٥٠) . دخل المدينة وقصد قصر الضيافة حيث استراح ، وفي المساء ذهب لمقابلة عبد الله بن الوزير في مجلسه ، وكما فعل ابـن عمه علي بن الوزير ، في ماوية فعل هو نفس الشيء اذ ظن الريحاني مسلماً ، ولكن هذه المرة ، دونما احراجات(٥١) .

وعلى كل فاقامته في ذمار ، لم تطل . فبعد هذا المجلس لم يذكر أي شيء آخر يتعلق باقامته فيها ، حيث غادر في صبيحة اليوم التالي .

## واخيرا ... هاهي ذي صنعاء

واصل الريحاني رحلته ، منطلقا ، هذه المرة ، لا يلوي على شيء ولا يثنيه شيء ، صوب ربيبة الجبال ، وناطحة السحاب ؛ صنعاء .

في هذه المرحلة الاخيرة من الطريق ، لم يتوقف الا مرتين مرة في وعلان ، وهـي قرية صغيرة تبعد عن صنعاء خمسة عشر ميلا، بات فيها(٥٢) ، وغادر في الصباح الباكر، حيث وصل حزيز ، وقت الضحى فاستراح فيها ورفاقه ، وتناولوا طعـام الفطور ، وحزيز هي المحطة الاخيرة على الطريق قبل صنعاء . وقد وصلها في الثامن عشر مـن شهر نيسان عام ١٩٢٢ ، وكان قد غادر عدن في الاول منه . ثمانية عشر يوما أمضاها في السفر ، ستة منها قضاها منعما ، مع الهم والكرب ، في لحج ، وما تبقى صحبته في شد وضعن ، وسير في بطون أودية متشعبة ، وتصعيد في جبال عالية وعرة ، للـه أنت يا فيلسوف الفريكة ! لا بد من صنعاء وان طال السفر(٥٣) .

اجل اثنا عشر يوما قضاها في رحلة ، كما قال : « مشقاتها تنسي المسافر مافيها من الحسنات والمستغربات»(٥٤) ولكن الامور كلها ، معقودة ومرهونة ، في النهاية ، بخواتمها ، ونتائجها . فبعد جهد ، وطول عناء ، ها هي ذي ، في الافق البعيد ، تتلألأ عاصمة اليمن كله قديمهوجديده مدينة صنعاء . فهل تنسى المشقات بهجة الظفر بما كان السبب فيها ؟ الظفر ببلوغ صـنعاء . وهل يذكر غمرة الفرح برؤيتها ما كـاد أن

ينساه فيلسوف الفريكة من الحسنات والمستغربات ؟ نعم ان تلك النفيسة الجديدة ، صنعاء قد أنسته جل غرائب الطريق ، كما أنسته كل وعثاء السفر وشدائده ... « اثنا عشر يوما في المشقات . وهذه صنعاء تنسيك اضعافها »(٥٥) .

وصل امين الريحاني ، ومن في معيته صنعاء ، في رائعة النهار ، وقت الظهر قال : « وصلنا الى صنعاء الظهر فلاقانا على مسافة ميل خارج السور رجال الامام وثلة من جنوده »(٥٦) .

وقد جرى له في صنعاء ، استقبال رسمي لائق ، في الابهة والفخامة يماثل ما سبقه من استقبالات أو يزيد عليها . كما أعد له نزلا كريما يناسب مقامه . وقد كان الامام عند وصول الريحاني الى صنعاء متغيبا عنها ، حيث ظل في نزله بضعة أيام ينتظر عودته(٥٧) .

## الريحاني في مجلس الامام

وبعد أن عاد الامام هيأ الريحاني نفسه للقاء المرتقب المهيب . فعلى أي صورة ياترى تهيأ ليمثل بين يدي هذا الامام ؟ أعلى صورة سيد مفضال ، كما قال القنصل الامريكي ؟ ان كان كذلك فسيكون يومه يوما عصيبا وحسابه فيه سيكون جدا عسيرا ، فسيكشفه الامام ، ويضيق به المكان ، ويكون حقا حديث الوثائق والركبان !.

أمين الريحاني أو قل في هذا المقام فيلسوف الفريكة ، وهو يخطو الخطوات الاخيرة نحو مواجهة الامر الذي كان من أجله ولاجله ، كل ما مضى من جهد وما تكبد من مشقات ، وهو يصعد العتبات الموصلة الى مجلس الامام ، واصل هذه الطريق القصير ، حيث كان نزله جناحا في نفس القصر(٥٨) ، قائلا أنه لم يشاهد أيا من تلك الابهة العسكرية التي شاهدها في طريقه الى صنعاء(٥٩) حاجب واحد فقط ، فتح له الباب فاذا هو وجها لوجه أمام إمام اليمن وحاكمها المتوكل على الله يحيى حميد الدين(٦٠) . قال يصف الامام ، وقد راه لاول مرة : « دخلنا فاذا نحن امام رجل ربع القامة ، صغير الرجل واليد ،اسمر اللون ، عالي الجبين ، مستدير الوجه قاتمه ، له فم كفم الطفل صغير بارز ، الا ان في مرونته وهو يتكلم اشارة تقربه طورا منك وتارة تبعده »(٦١) .

اما عن المصافحة والسلام ، فقد كان ، رحم الله الامام ، دون قدر الضيف والمقام .. « صافحناه مسلمين فرد السلام مرحبا بنا دون ان يقف . جلسنا امامه على سجادة تحتها فراش .. »(٦٢) .

وهكذا كان قدر فيلسوف الفريكة لا قدره ، أن يعامل ضمن فئة الدرجة الثالثة في سلم الاستقبال ، كما سيأتي ، ولا فخر ولا تثريب عليه .

هو ذا اذن أمين الريحاني ، والامام يحيى حميد الدين وثالثهما قسـطنطين ، في ايوان ، بل ديوان صنعاء جلوسا ، متقابلين . كـان في نيـة فيلسوف الفريكة ، عنـد المثول أمام الحضرة الشريفة ، كما قال ، أن يصـول ويجول في خطبـة حماسية تليق بحرارة الاستقبال ، ولكنه ، وقد وجده بردا وسلاما ، عدل عن هذا ، فحدثه بهـا جالسا(٦٢) ، ومما قاله فيها : « فاني ، وان كان لبنان وطني الصغير ، وسوريا وطني الكبير ، انتسب الى البلاد العربية ، وطني الاكبر .. وأني ، وان كانت المسيحية ديني ودين أجدادي ، أدين بدين كل من أقام حقا وأزهق باطلا .. ولا غرو اذا جئت بـلاد اليمن حاجا .. وقد منعت عني تلك المقدسة كعبة الاسلام الاولى »(٦٤) .

ثم واصل خطبته أو كلمتهمبينا شيئا من أغراض رحلته وذاكرا بعض الشيء، عن رفيق هذه الرحلة ، صديقه قسطنطين ، وختمها بشكر الامام على ما لاقاه مـن حفاوة واكرام ، وهو في الطريق الى صنعاء ، فبادله الامام الشكر بالشكر ، ثم قـام قسطنطين ، والقى قصيدة عصماء قابلها الامام بالاستحسـان والثناء (٦٥) ثم .. ثم ماذا ؟ ثم كانت فاتحة الكرب والصعاب ، حان دور تقديم الكتاب ، كتاب التوصيـة والتعريف بالريحاني من الملك حسين ، كتاب تعريف لله دره ! خلا من أهم ركن فيه.! قال الريحاني متحدثا عن سبب من أسباب نكبته ومحنته في صنعاء : « ثم قدمنـا نحضرته كتابا من جلالة الملك حسين ففضه وقرأه ثم قال : ولكن الكاتب أهمل الاسم فيه . فقلت : وقد يكون ذلك عرضا أو ذهولا . أما الحقيقة فان ناظر الخارجية في جدة كان قد كتب كتاب تعريف أحمله الى حضرة الامام ، فلم يستحسنه جلالة الملك، فأمر كاتبه الخاص ان يكتب كتابا أخر ؟ يعرف فيه الحضرة الامامية الشريفة بالاستاذ الفاضل والعربي الصميم الخ وأغفل عمدا اسمي لاسباب لا يدركها الا من كان يدرك شيئا من غوامض السياسة الهاشمية .

لذلك ظل الامام على شيء من الريب والتحفظ ، ونحن ، لخاطر جال في ذهـن الملك فلم يذكر في كتاب توصية اسم الموصى به ، نقاسي ما سيجيء ذكره »(٦٦) .

وكتاب تعريف وتوصية كهذا ، لا شك سيكون من كتب من أجله لا محالـة ، مدعاة للشك والريب ، وهو الامر الذي حدث بالفعل ، كما سيأتي في نهاية المجلس. ولكن بالرغم من هذا فقد اتصـل الحديث بين الامام والريحاني ، وكأن شيئا لم يكن .

واصل حديثه عن العروبة والعرب قائلا : « واننا نحن المسيحيين في سوريا مثل العرب المسلمين تجمعنا القومية ، وهي التي حملتنا على التشرف بزيارتكم ، ولا يجمعنا الدين »(٦٧).

واستمر الحديث بينهما على هذا المنوال ، ثم بدأ الريحاني في الانتقال من البديهيات في القول ، الى الجوهر وبيت القصيد منه ،.. « ثم انتقلنا من التعميم الى التخصيص – من مجمل القضية الى اجزائها – فكان الامام أكثر اهتماما لذلك ... واني اذكر كلمته عندما اشرنا الى المهمة التي انتدبنا انفسنا لها فسألنا قائلا : هل عندكم كلام مضبوط ؟ »(٦٨) غير أن دخول الزائرين ، حيث كان الامام في مجلس عام ، قطع حبل الحديث ، كله المضبوط منه وغير المضبوط منه وذلك بعد مرور الامام يده على فمه ، مشيرا بالسكوت ، فتحول الريحاني الى المجلس ومن دخل المجلس متأملا الزائرين وهيئاتهم ، كما بين كيفية استقبال الامام لهؤلاء حيث كانت متفاوتة متباينة ، حسب الدرجة والمقام ، أجل فالناس مقامات ! فأحد فز الامام لمقدمه ، واستقبله ، استقبال الند للند واقفا ، وآخر كان استقباله بنصف وقفه ، وآخرون استقبلهم ، وهو مستوٍ على الطنافس بأرض الله قاعدا ، وآخرون بعد ذلك شرفوا ما أبه الامام لمقدمهم ولا التفت اليهم(٦٩) .

قال الريحاني ، وهو بصدد الزائرين الداخلين : « ... ثم ذلك الافرنجي اي النمساوي الموكل بمعمل الخرطوش ، أي ( جرجي ) المشهور في اليمن ، فقدمه الامام الينا قائلا : هذا منكم . »(٧٠) يعني مسيحي مثلهم ، حيث لم يكن عربيا . وهو الوحيد الذي قدمه الامام اليهم .

كان اليوم الاول من وصول الامام الى عاصمته ، وكان الوجهاء والاعيان يتوافدون عليه للتشرف بالسلام والتهنئة بالسلامة . وكان الامام ، وهو الممسك بزمام الحديث في المجلس ، يعرف الزوار بالغريبين فيه ، الريحاني ورفيقه قسطنطين قال : « غصت القاعة بالمهنئين ، وكان حضرته يعرفهم الينا فيقول : هذا امين ، وهذا قسطنطين ، مسيحيان من لبنان »(٧١) .

وان غص المجلس بالزوار والمهنئين ، وانقطع الحديث الخاص بين الامام وضيفه، فما انقطع العام منه .

تجاذب الامام والريحاني أطراف الحديث ، وكان ذا شجون ، تطرق الى اليمن وحدوده ، وسكانه ، ثم تدرج الى السياسة العربية ، وتطور أكثر ، فطال أوربا ، وعبر

المحيط الى السياسة الامريكية ، مستقرا في البيت الابيض ، حول رئيس أمريكا الاول جورج واشنطن . كل هذا والامام يحيى حميد الدين مطرق منصت ، لفيلسوف الفريكة ، وهو يجيب على أسئلته في حديث شيق رائع ، أو على رأي أهل اليمن « باهي ناهي » أبرق له جبين الامام وأشرق(٧٢) وما توقف أثناء ذلك ، كما قال الريحاني ، عن تخزين القات ، وشرب الماء والنظر في الكتب والعرائض التي تقدم اليه، تلك التي كان من بينها واحدة كان انشؤم طالعها! ما استبشر الريحاني بها ولا بعرضها. قال ، وقد أوجس منها خيفة : « ومنها عريضة طويلة مسحت اللطف والبشاشة من وجهه . وكنت وهو ينعم النظر فيها أنظر اليه وأراقب عينيه ، وفيهما يبدأ الانفجار أو ما يشير اليه . انما الغريب أن قد تشهر العين الحرب عليك في حين أن الفم ، مثل رسول السلم ، يبسم لك مطمئنا . كثيرا ما شاهدت هذه السيماء المتناقضة فيه . ولكنه في ذلك الحين تغير تماما فساد الغضب في ناظريه ، وقلص العنف شفتيه فأستأذنا بعد أن فرغ من قراءة تلك العريضة ، وكانت قد طالت الزيارة ، فأشار بيده اشارة سريعة جافية أن اذهبوا اذهبوا ، ولم يفه بكلمة سلام واحدة . خرجنا كالمطرودين ، وبقينا في أمر هذا الامام حائرين(٧٣) .

ختام المجلس كان مسكا ، ولا تنافس فيه ، بل كان أشد وقعا على فيلسوف الفريكة من برودة الاستقبال في أوله . أجل غادره بحال لا تليق بمن طوى الليالي والايام في السير والسرى ، مصعدا في جبال اليمن من أجل الوصول اليه ؛ الى هذا المجلس ، وصاحب المجلس . ومرد هذه المغادرة غير السارة ، كما هو واضح ، أمران آخران لا علاقة لهما بالتنكر ولا المتنكرين ، فما كان هناك متنكرا ليكتشفه الامام ويكشفه كما ادعت الوثيقة .

### الرد والتنفيذ :

تابع القارىء أمين الريحاني حتى خروجه من هذا المجلس فما وقف على أثر لتنكر على الاطلاق . وبذا تكون هذه الرواية مجرد تهمة لا تثبت أبدا أمام الشواهد التالية التي تدحضها :

١ ــ بادىء ذي بدىء ما أبطن الريحاني التنكر ولا نواة أصلا ، والا فبأي صفة أرسل من بور سودان برقيته التعريفية الى العرشي ؟!(٧٤) .

٢ ــ الهيئة والمظهر : اتجه من مدينة جدة ، هو في لبسه الافرنجي المعرب ؛ بدلة افرنجية وعلى رأسه غترة وعقال ، ورفيقه قسطنطين في زي ضابط رسمي . واستمر

على هذه الهيئة حتى صنعاء ، وبعدها في الجزيرة كلها(٧٥) . ويثبت هذا صوره العديدة ، ومن أهمها صورة له ، بهذا الهندام ، في مدينة اب مع أميرها باسلامه(٧٦). وهذه المدينة كما مر ، تقع في قلب المنطقة التي زعم تنكره فيها . وما لفت انتباه أطفال صنعاء الذين تجمهروا عليه في السوق الا هذه البدلة ، ولو كان مندسا بجلباب سيد فماذا سيشد انتباههم ، وهم كل يوم يشاهدون السادة في كل حي وزقاق(٧٧) .

٣ ــ التصرف قولا أو فعلا : مجلسا ابن الوزير والامام دخل وخرج منهما بشخصيته المعروفة لا تلبس فيها ولا انتحال ، لا قولا ولا عملا . وهكذا كان على طول الطريق .

٤ ــ رحلته ، عبر جبال اليمن وحتى صنعاء ، كانت بكل مقاييس ذلك العصر ، رحلة يسودها النظام والترتيب ، والاعداد المسبق والتنسيق فهناك المراسيل التي تسبق القافلة لاشعار أمراء وحكام البلدان على الطريق بقرب قدومها ، ثم هناك كانوا معه منذ بداية الرحلة ، كمرسول العرشي ، وبعض السادة اليمنيين الاخرين . الاستقبالات الرسمية التي لا تجرى الا لمعرف معروف(٧٨) .

٥ ــ يصعب التنكر بل ربما يستحيل مع وجود مرافقين رسميين وشبه رسميين بالاضافة الى هذا فقد كان بين حرسه بعض الجنود النابهين الذين لا يتوقع المرء لأي تنكر أن يمرّ بينهم بسلام . كما كان الريحاني ، في الطريق من ماوية الى صنعاء في قافلة تشبه الموكب هو كبيره ،وكل الانظار متجهة اليه فانى له التنكر أو حتى التفكير فيه(٧٩).

٦ ــ عند استعراض بعض مؤلفات المؤرخين اليمنيين الهامين نجد مؤرخا مشهورا كالواسعي ، بالرغم من معاصرته لرحلة الريحاني ، وتطرقه لأخبارها خصوصا تلك المتعلقة بالامام يحيى ،الا أنه لم يأت على أي ذكر لقصة التنكر المزعومة(٨٠) .

وحكاية غريبة عجيبة كهذه لا يتوقع أن يجهلها أو يتجاهلها مؤرخ كالواسعي ولكن كيف يتأتى لمؤرخ صادق تدوين خبر حادثة ما حدثت قط ؟!

٧ ــ هناك نقاط ضعف تقبع في ثنايا الوثيقة نفسها ، فهي تتهم الريحاني بالتنكر مباشرة بعد مغادرته لماوية ، ولكنها أيضا تقول بأن ابن الوزير ، حاكم ماوية ، نصحه بأن لا يفعل ذلك ، وأن يسافر مظهرا شخصيته الحقيقية ، وهنا تناقض فكيف علم ابن الوزير بتنكر الريحاني الذي لم يقدم عليه الا بعد مغادرته البلدة ؟ وبالتالي كيف تمكن من نصحه ؟ وهذا يعني عدة افتراضات فأما أن يكون الريحاني ، وهو بعد في ماوية ،

تصرف قولا أو عملا أمام ابن الوزير أو علم به أو بدر منه ما ينبيء على التنكر مستقبلا، الامر الذي لم يحصل قط . او أن يكون ، قبل مغادرته أيضا ، أسر الى ابن الوزير بنية التنكر ، وهذا الى الاستحالة أقرب ، فكيف يثق به ، وما كان بينهما الا النفور والوحشة ؟! أما الاحتمال الاخير فلعل ابن الوزير رافق الريحاني الى خارج البلدة مسافة لوداعه ، وبذا يكون شاهد هذا الامر بنفسه وبالتالي نصحه ، ولكن المصادر لا تذكر انه ودعه ولا حتى داخل البلدة . وبذا تنتفي معرفة الامير لا بالتنكر المزعوم ، ولا بنية الاقدام عليه . والنتيجة تظهر نقطة ضعف وتناقض في الوثيقة .

ولكن هل كان الريحاني بحاجة الى أن يتنكر ؟ ومظهره وجوهره عربي يمني صميم لا يحتاج الى تغيير ولا استبدال ؟ والامن ، قطع العرشي على نفسه عهدا بايصاله الى صنعاء آمنا سالما ، وبر الرجل بوعده فزوده بالحرس الكافي ، الذي جلب اليه الامن والاطمئنان . ولا يمكن أن يفكر في التنكر أبدا من أمن مخاطر الطريق . فما من متنكر الا وكان الخوف يحدوه ، وعدم الامان .

أما منشأ التهمة ، فان المنطقة التي زعم تنكره فيها امتدت بين مجلسي ابن الوزير والامام ، وبذا فقد حامت اطيافها حولهما . ولعل أحداث مجلس ابن الوزير كانت الشرارة الاولى في التهمة وتلبيسه لقب سيد . وما جرى في مجلس الامام ، وخروجه غير السار كان سببا في القول بكشف تنكره ، خصوصا عند العامة وبسطاء الناس ، والذين ظنوه بالفعل « سيداً »(٨١) ، حيث كانت شخصيته وظروف زيارته ملائمة لظنهم وتصورهم هذا ، فقد كان عربيا والسادة عرب خلص ؛ وكان كبير القافلة والموكب ، وضيفا لكبير السادات عندهم ؛ فما عسى أن يتبادر الى اذهانهم ، وقد اعتادوا بأن لا يكون كل زعيم وكل كبير لديهم الا سيد من السادات . فلعل تهمة التنكر نمت بهذا الجو المهيأ لها ، بالاضافة الى دور بعض المناوئين للريحاني، والذين تربطهم علاقة مع البريطانيين ، الراغبين في النيل منه وتلطيخ سمعته .

أما مسألة ايقافه أو حجزه في ماويه ، فأمر ، كما تقدم ، غير صحيح وذلك للأسباب التالية :

١ ــ الوثيقة تروي بأن الريحاني ورفيقه احتجزا أو أوقفا في ماوية حتى أمر الامام ــ بعد أن تلقى خطابا من العرشي بشأن الريحاني ورحلته ــ بأطلاق سراحهما . وردا على هذا فان الريحاني لم يغادر لحج الا بعد أن تمت جميع ترتيبات الرحلة ، ومن بينها تسلمه ، عن طريق العرشي ، خطاب موافقة صريحة ، من الامام ، على زيارته له في صنعاء ، وما ذلك الا بعد أن زوده العرشي بالكافي من المعلومات المسبقة عنه

ورحلته(٨٣) . وبذا يكون قدم ماوية ليس كمسافر عادي ، وانما كأحد ضيوف الامام البارزين ، ولهذا أعد له استقبالا رسميا ، كما مر ، والذي يوضح معرفة ابن الوزير بأمر الرحالة ورحلته قبل وصوله اليه ، والا لما أعد له استقبالا رسميا على مشارف ماوية . والقنصل الامريكي ، القائل بايقافه ، يثبت معرفة ابن الوزير التامة به وبرحلته « يعرف كل شيء عن الريحاني ورحلته » وبذا يناقض نفسه فطالما انه يعرف كل شيء فلا شك انه يعرف أهم شيء ، وهو ان الريحاني كان ضيف الامام ووجهته اليه ، فهل يعقل ،مع هذا ، ان يوقفه أو يعرقل مسعاه ؟!.

٢ ــ ولو سلمنا جدلا ، بايقاف أو حجز كهذا ، فان الريحاني ، بالاضافة الى معرفة ابن الوزير السابقة ، كان يحمل خطابين زوده بهما العرشي ، الاول خطاب تعريف الى ابن الوزير نفسه ، والثاني خطاب توصية الى الامام ، فلو حس بمحاولة عرقلة أو ايقاف لابرزهما حالا ، لاسيما وأنه كان يعرف مضمونهما حيث تسلمها في لحج مفتوحين(٨٣) . بالاضافة الى مرسول العرشي المرافق له ، والذي لا شك ، سيكون له أثر وتأثير في موقف كهذا لو حصل فعلا(٨٤) .

٣ ــ وخير دليل يبرهن على أن اقامته في ماوية كانت عادية اختيارية ، لم يشبها شيء من الاجبار ، انه غادرها في الوقت الذي حدده هو لا قبلا ولا بعدا(٨٥) .

والآن وقد انتهينا من الرد على تهمة تنكره ، وزعم ايقافه نعود الى أمر قوي الصلة بهما ، وهو غضب الامام وخروج الريحاني من مجلسه كالمطرود . ولعل قضايا كهذه تكمن خلفها قضايا اكبر فعسى ان يكون حل هذه الالغاز أو بعضها باستكمال قصة الريحاني مع الانجليز في عدن . فعندما خوفوه من اليمن وجبالها ، هل كانت فعلا سلامته وحياته هما فقط ما أهم ما قلق هؤلاء . وعنوه بتحذيرهم اياه ؟ ان الخطر ، وان كان حقيقة موجودا ، الا انه حق أريد به باطل . فلا سلامة الريحاني ، ولا حياته بأمر ذي بال لدى الانجليز ، وبالتالي فلا الخطر كان معنيا لذاته ، ولا التحذير منه كان خالصا . ان الخطر كل الخطر عند الانجليز ، وعليهم ، هو تمكن هذا العربي المتأمرك من اتمام مهمته في زيارة صنعاء ، ولذا صوروا له الاخطار الجسام ، والموت الزؤام ان هو يمم شطرها . وهكذا مر الريحاني بتجربة عصبية معهم ، بدأت بالتخويف والتحذير ، وتدرجت الى المماطلة والتسويف ، وكاد أن يكون الرفض ختامها .

أما لماذا كان كل هذا الرفض لزيارة الريحاني لليمن ، فانه طبقا لما اثبتته الوثائق الامريكية فقد كان له ، عندما قام برحلته العربية ، علاقة وارتباط مع الخارجية

الامريكية . وكان من ضمن أهدافه الرئيسـية الترويج والدعوة للامتيازات والشركات الامريكية ، وايجاد فرص لها في بلاد العرب(٨٦) ، وأمريكا ، تجاريا كان يربطها علاقات قديمة باليمن متمثلة بتجارة البن في مخا ، حيث أن بعض التجار الامريكيين النشطين من :«مساتشوستس» فيمطلع النصف الاول من القرن التاسععشر استطاعوا أن يصلوا بسفنهم الى جنوب البحر الاحمر ، وحتى ميناء مخا ، وتمكنوا من احتكار تجارة البن اليمني ، واستطاع الامريكيون بهذا منافسة البريطانيين ، تجاريا ، في اليمن . ولكن البريطانيين وقفوا ضد هذه المنافسة ، وتمكنوا في نهايـة المطاف من انهاء الاحتكـار الامريكي : وذلك باحتلالهم لعدن سنة ١٨٣٩م ، وتشجيعهم لنقل تجارة البن من ميناء مخا الى عدن ، لتكون تحت سيطرتهم واحتكارهم المباشر(٨٧) .

وفترة مجيء الريحاني لليمن ، وما بعدها ، تمثل خروج أمريكا التدريجي مـن عزلتها التقليدية ، وبناء علاقات تجارية وسياسية مع بلدان المشرق العربي ، ومن بينها اليمـن . وكان الامـام يحيى حميـد الدين يعتمد على دول المحـور في صراعه مـع البريطانيين ، وبعد هزيمتها واختفائها في الحرب العالمية الثانية وجد في أمريكا البديل. وبريطانيا ، بالطبع ، لا يسرها أبدا هذا التقارب اليمني ـ الامريكي ، حيث يتناقض ، تماما ، مع مصالحها في مدّ واحكام طوقهـا الاحتكاري للمنطقة ، تجاريـا وسياسيا . خصوصا أن أمريكا ، بعد خروجها من عزلتها تلك ، حاولت جاهدة كسر هذا الطوق ، والمشاركة في الغرف من خيرات العرب(٨٨) . ومن هنا تفهم حقيقة معارضة بريطانيا في المنطقة لزيارة الريحاني لليمن .

وصل عدن فجبهته أولى بوادر الرفض البريطاني قـال : « وصلنا الى عـدن فاستقبلنا على الرصيف ضابط انكليزي وبعد أن اطلع على جوازاتنا احتفظ بها قائلا : بأمر من الحاكم فقلت : وهل هو أمر عام أو انه يختص بنا فقط ؟ فأجاب : هو عـام يا سيدي. ثم أخذ عنواننا ووعدنا بأن يعيد الجوازات الينا في ذاك اليوم ولكن ذاك اليوم والايام الثلاثة التالية شهدت على الانكليزي فتيقنا أنه لا يبر دائما بوعده »(٨٩) . ولم يعد البريطانيون الجوازات الا بعد تدخل القنصل الامريكي . وتجسسوا عليه في عدن ووضعوه تحت مراقبة الشرطة(٩٠) . وعندما تبينوا حتمية سفره الى صنعاء ، رضوا أم أبوا ، حاولوا ثنيه عن ذلك باقناعه ـ عن طريق بعض العرب الذين يتحدثون اللغـة الانجليزية ـ بأن السفر عن طريق الحديدة أسلم وأسهل وذلك حتى يزور الادريسي صديقهم أولا ، ويرى من تهامة اليمن ما قد يغنيه عن زيارة صنعاء(٩١) . ولكن الريحاني قطع عليهم حبل هذه الخطة ، بطلبه زيارة لحج ، حيث سافر الى هذه المحمية يرافقه القنصل الامريكي ، وحلوا ضيوفا على سلطانها عبد الكريم فضل ومكث الريحاني فيها

اسبوعا ، جرت خلاله ، بينه وتين الانجليز مراسلات ومكاتبات بشأن الاذن له بزيارة صنعاء ، وذلك بأرفاقه بالحرس اللازم حتى آخر حدود محمياتهم(٩٢) .

وقد قيد الانجليز اقامة الريحاني في لحج ، حيث حظروا عليه تجاوز حدودها قال : « واطلعني السلطان ذات ليلة على كتاب من الحاكم ( البريطاني ) : لا تأذنوا لفلان وفلان أن يتجاوزا الحدود قبل أن يجيئهم الاذن منا . . . وقد بقينا أسراء في القصر بلحج »(٩٣). بل وصل الانجليز في التعنت مع الريحاني الى الدرجة التي منعوه حتى من التجول خارج هذه المحمية ، اذ ذكر بأنه تسلم ، عن طريق القنصل الامريكي ، كتابا من الحاكم البريطاني جاء فيه : « أن التجول خارج حدود لحج محظور وممنوع »(٩٤) والذي يريده الريحاني ، بالتحديد ، من الانجليز ، هو ارفاقه بحرس من نهاية حدود لحج وحتى بلدة ماوية ، أي على امتداد بلاد الحواشب ، وهي منطقة خطرة لا يجرؤ الريحاني على اجتيازها بدون حرس(٩٥) ، لذا ماطله الانجليز ، وسوفوا عليه علهم يفتون في عضده،ويثنونه عن التوجه الى صنعاء . وقد بالغ الانجليز في التشدد والعناد ، مع أنهم ، كما قال الريحاني ، لا يملكون الا خمس الامر(٩٦) وهو ارفاقه بالحرس عند عبوره بلاد الحواشب فقط ـ فما بالك لو ملكوا الامر كله ؟! ـ حتى هذا الخمس ، يبدو أنه ما كان ليحظى به لولا تدخل القنصل الامريكي بكل ثقله ونفوذه .

القنصل الامريكي ، على ما ظهر ، وطبقا لمجريات الوقائع والحوادث ، لعب دورا هاماً وبارزا في تمكين فيلسوف الفريكة من بلوغ صنعاء ، فجميع الاتصالات والمكاتبات بين الريحاني ولانجليز تمت عن طريق القنصلية الامريكية في عدن . ليس هذا فحسب، بل قام القنصل شخصيا بعدة زيارات للمفوضية البريطانية ، حيث اجتمع مع الحاكم العام ونائبه ، وذلك من أجل رحلة الريحاني . وهو الذي استعاد الجوازات من الانجليز ، كما مر . وأهم من هذا وذاك ، سافر هذا القنصل بنفسه مع الريحاني الى لحج ، وما ذلك الا زيادة في التأكد والحرص على تسهيل أموره وانجازها(٩٧) .

ولعل البريطانيين ، وهو أمر ربما كان مؤكدا ، لم يرضخوا ، وينصاعوا أخيرا لرغبة الريحاني ، لولا هذا القنصل والدولة التي تقف وراءه . قال الريحاني ملمحا الى ذلك : « . . . وأنهم ، أي الانكليز اذا شاؤوا أن يمنعوني عن السفر فلا يفعلون مباشرة اكراما لقنصل أميركا ، ولكنهم يوعزون الى القاضي عبد الله ( العرشي ) بأن يقول لي ان الطريق الى صنعاء محفوفة بالاخطار ، فلا يستطيع أن يرفقني بالحرس اللازم ، . . . »(٩٨) وقد ثبت بالفعل زيارة العرشي للمفوضية البريطانية في عدن ، وشك الريحاني أنها من أجل هذا الامر(٩٩) .

مما ذكر يتضح مدى الدور والغرض الامريكي في زيارة الريحاني لليمن ، ورد الفعل البريطاني عليه ومعارضتها . ولعل من نافلة القول ، التأكيد بأنه لولا خشية « الجون بول » من « العم سام » لظلت زيارة فيلسوف الفريكة لصنعاء حلم بعيد المنال !! . .

ولما فشل البريطانيون في منعه اتجهوا ، كعادتهم ، الى حبك الدسائس في الخفاء . تابعوه بالعيون والجواسيس ، واحد منهم ، على حد تعبير الريحاني ، تاب الى الله : « عندما صدر الاذن بسفرنا استخدمتالوكالة البريطانيةرجلا عربيا ليرافقنا سراً في رحلتنا الى صنعاء فيتجسس اخبارنا ، ويدون أحاديثنا كلها . . ولكن الرجل تاب في اخر ساعة الى ربه وأبى القيام بتلك المهمة »(١٠٠). ولعلها ما كانت توبة نصوحا بل كانت مصطنعة بظلها على اخرين وتخفيفهم . وما يدري الريحاني بأن ناقل أو ملفق تهمة تنكره كان واحدا من هؤلاء .

أما ماحدث في مجلس الامام فبالاضافة الى عزلة اليمن آنذاك ، وطبيعة الشك والحذر التي تميز بها الامام حتى قيل بأنه كان « أحذر من غراب »(١٠١) ، فان كتاب الشريف حسين كان بداية الشك ، والعريضة الطويلة كانت ذروته وقاصمة الظهر فيه ، بل كانت على الريحاني ، في مجلسه المتفائل كأم قشعم ، ويقول بأنها كتبت من قبل أحد المداهنين أو المتواطئين مع المفوضية البريطانية في عدن ، والذي أرسلها من هناك الى صنعاء ، ليشوه سمعته لدى الامام(١٠٢) . وقوله هذا معقول ومقبول ، فقد وقف البريطانيون ، كما تقدم ، في وجه الريحاني ورحلته الى اليمن ، واتصاله بالأمام ، كما تجسسوا عليه . وموقفهم هذا — لما تقدم من أسباب — ليس بغريب . بالاضافة الى مناوأتهم للريحاني ، لما اتصف به من ريادة ، وسعى لدعوة العرب وقادتهم الى الوحدة والاخذ بمعطيات الحضارة والعلم . والوثائق الامريكية تشير بجلاء الى عداء البريطانيين له ووقوفهم ضده(١٠٣) .

أما كتابالشريف حسين ، فبالاضافة لما تقدم ، يقول الريحاني عنه أيضا : « . . فاذا ، كان كتاب التوصية من صاحب الجلالة المنقذ الاكبر يجلب هذه الظنون والشجون فماذا عسى أن تكون نتيجة كتاب التحذير » (١٠٤). وكأنه أراد أن يقول رمزا أنه كتاب تحذير لا توصية ! ولكن لماذا ؟! ربما لان الشريف حسين — منذ أن كاتب الريحاني ،من أمريكا ، قسطنطين لمرافقته في الرحلة — كانت رغبته حصرها في الحجاز ، ولعله ، وهو في خريف علاقته مع البريطانيين ، اراد أن يستأثر بالريحاني وبمن يمثلهم . ومن ناحية أخرى فالشريف حسين ، وقد وعدته بريطانيا ، خادعة اياه بالطبع ، بالزعامة على العرب ، لازال يحلم بها ، ويخشى من أي تقارب امريكيمع

أي زعيم عربي آخر قد يقوى به ؟ ويبزه فيما تمناه . ولعل طلب الريحاني منه السماح لقسطنطين بمرافقته في الرحلة(١٠٥) ، وافق هوى ورغبة لديه ليكون الريحاني تحت ناظريه أين ماكان .

وهكذا يتضح أن عريضة الانجليز ، وكتاب الشريف حسين يصبان في مصب واحد ، وهدفهما واحد ، وهو افشال رحلة الريحاني لصنعاء ، وقد أديا بعض الغرض حيث شك الامام ، وخرج الريحاني كالمطرود من مجلسه . وظل في صنعاء أياما - شبهها بأدوار الحمى(١٠٦) - تحت طائلة هذا الشك ووطأته ، حتى تبين للامام حقيقة الامر ، قال البرت شقيق الريحاني : « أنزله سمو الامام يحى حميد الدين حاكم اليمن مع صديقه الشيخ قسطنطين يني في بيت حكومي وتركهما أسيري الرقابة لعشرة أيام ، وذلك لريبه وشكه بأغراض الريحاني . وبعد أن تبين عكس ما ظن . . »(١٠٧) وبذا يكون محتوى العريضة والكتاب ، وزعم الايقاف والتنكر كله زور وبهتان ، مصدره الانجليز وحلفائهم . وينجح الريحاني في مهمته ، وتجني ثمارها أمريكا ، فلعل ما قام به كان توطئة لمجيء رجل الاعمال والسياسي الامريكي ( تشارلز كراين ) لليمن فيما بعد(١٠٨) .

* * *

## الحواشــــي :

(١) عن ترجمة حياته انظر : البرت الريحاني ، **اين تجد أمين الريحاني** ( بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩م ) ، ص‌ص ٢١ – ٦٣ ؛ خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ( بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٦م ) ، جـ٢ ، ص‌ص ١٨–١٩ .

(٢) انظر نص الخطاب الذي أرسله الملك عبد العزيز الى امين الريحاني بهذا الخصوص. أمين الريحاني ، **ملوك العرب** ، ( بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٦م ) جـ٢ ، ص ٥١٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٣٨ .

(٤) The National Archives of The United States , Document No 032 . R 44 « Experiences of Amin Rehani in the Yemen » A Report written by Raymond Davis American Consul in Aden, Arabia , Dated November 21, 1922 .

(٥) ومن هؤلاء الرحالة على سبيل المثال : ( دومنجو باديا اي لبلغ ) الذي تسمي بـ علي بك العباسي ، والرحالة ( نيبور )الذي كان يتنكر بلباس تركي ، والرحالة(بوركهارت) الذي ظهر كأحد علماء المسلمين وتسمى بالشيخ ابراهيم بن عبد الله الشامي وغير هؤلاء كثير . انظر :

Richard Trench , **Arabian Travellers : The European Discovery of Arabia ( London :** Macmillan London Limited , 1986 ) pp. 52 - 53 , 59 , 60 - 61, 64,69 ; John Lewis Burckhardt, **Tarvels in Arabia** ( London : Frank Cass and Company Limited , 1968 ) , p. vi ;

جوهان لودفيج بوركهارت ، **مواد لتاريخ الوهابيين** ، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، الطبعة الاولى،الرياض،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ، ص‌ص ٣–٥ ؛ جاكلين بيرين ، **اكتشاف جزيرة العرب « خمسة قرون من المغامرة والعلم »** ترجمة قدري قلعجي ، ( بيروت ، دار الكاتب العربي ، د.ت ) ، ص‌ص ١٥٥ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢١٦ – ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ .

(٦) كاتب وصحفي لبناني ، من أصل يوناني ، وقد كان رفيق الدرب لامين الريحاني في رحلته الى اليمن . عنه انظر :

الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص١٧٣؛

Ameen Rihani , **Arabian Peak and Desert, «Travels in Yemen»,** ( New York : Caravan Books , 1983 ) , pp. 3 , 28 , 40 , 44 ;

أمين الريحاني ، **رسائل أمين الريحاني** ( ١٨٩٦ – ١٩٤٠ ) ، الطبعة الثانية ، ( بيروت : دار الجيل ، ١٩٩١ )، ص‌ص ٤٧ ، ٤٠٣ .

(٧) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص‌ص ٧٧–٧٨ .

(٨) **المرجع نفسه** ، ص ٧٨ . ونعوم شقير هو: نعوم بك بن بشارة نقولا شقير ، ( ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣ م – ١٣٤٠/١٩٢٢م ) وهو مؤرخ لبناني ، وحديثه مع الريحاني عن اليمن لم يكن من فراغ فقد ذكر الزركلي أن له مؤلف عن تاريخ اليمن لم يتمه . الاعلام ،ج٨ ص ٣٩ ..

(٩) The National Archives of the U. S. A., Document No. 032. R 44«Movements of Ameen Rihani and Interior » Areport sent By R. Davis During Visit to Aden the American Consul in Aden, Arabia , July, 19, 1922 .

(١٠) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ص ٨٠ – ٨١ .

(١١) **المرجع نفسه** ، ص ٨١ .

(١٢) **المرجع نفسه** ، ص ٨٣ .

The National Archives of the U S.A. Document No. 532. R44 « a letter sent form the British Embassy in Washington State Department Concering Ameen Rihani, May, 6, 1922».

(١٣) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص٨٧ .

(١٤) **المرجع نفسه** ، ص ١١٦ .

(١٥) هـو :

( Ulrich Jasper Seetzen ) (1768 - 1810)

عنـه انظـر :

Robin Bidwell, **Travellers in Arabia,** ( London: The Hamlyn Publishihg Group Limited , 1976), pp. 120 - 121 ; Trench, **Arabian Travellers,** pp. 55-57 .

(١٦) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ص٨٧ ؛

Rinani , **Arabian Peak and Desert,** p. 16 .

(١٧) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ص ٨٧ – ٨٨ .

(١٨) **المرجع نفسه** ، ص ٨٨ ؛

Rihani, **Arabian Peak and Desert,** p. 17.

والقاضي عبد الله العرشي هو وكيل الامام ومعتمده في المفاوضات مع الانجليز في عدن . عينه عام ١٣٣٨ هـ ، وأعاده الى صنعاء في عام ١٣٤٠ هـ بعد فشل المفاوضات . عبد الواسع الواسعي اليماني ، **تاريخ اليمن فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن،** ( صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ) ، ص ٣٣٢ .

(١٩) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ص ص ٨٥ – ٨٦ ، ٨٩ .

(٢٠) **المرجع نفسه** ، ص ٨٥ .

(٢١) **المرجع نفسه** ، وقد غادر عدن بالتحديد بعد ظهر السبت الاول من نيسان (ابريل )١٩٢٢م؛

Rihani , **Arabian Peak and Desert,** p. 9.

(٢٢) National Archives of the U.S. A., Document No . 032 . R 44 « Ameen Rihani » A despatch Sent by P.Knabenshue, Consul in Charge, Beirut,Syria,August 14, 1922.

(٢٣) هو عبد الكريم بن فضل بن علي بن محسن العبدلي ، أحد سلاطين لحج في فترة الاستعمار البريطاني . عنه انظر الزركلي ، **الاعلام** ، جـ ٤ ، ص ٥٤ .

(٢٤) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ٨٧ ؛

Rihani , **Arabian Peak and Desert,** p, 16.

(٢٥) Ibid, pp. 17, 19 - 20, 26 ;

الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ص ص

٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ . وعن هذه القصة انظر : الصفحات ٩٦ ــ ٩٧ .

(٢٦) **المرجع نفسه** ، ص ٩٧ .

(٢٧) The National Archives of the U. S. A., Document No. 032. R 44 « Movements of Amin Rihani During Visit to Aden and Interior» A Report sent by American Consul in Aden, Arabia, July, 19, 1922 .

(٢٨) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ص ٩٧ .

(٢٩) **المرجع نفسه** ، ص‌ص ٩٧ــ٩٨ .

(٣٠) **المرجع نفسه** ، ص ٩٨ .

(٣١) هو ابن عم عبد الله بن الوزير ، الذي قاد ثورة عام ١٩٤٨ م ضد الامام يحيى حميد الدين، وقد سجن ثم أعدم بعد هذه الثورة . عنه وعن نهايته الاليمة : انظر : أحمد بن محمد الشامي ، **رياح التغيير في اليمن** ، الطبعة الاولى ، ( جدة : المطبعة العربية ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٤ م ) ص ص ٣٥٣ ، ٣٥٧ ــ ٣٥٨ ؛ محمود كامل ، **اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية** ، ( بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م ) ، ص٢٧٣.

(٣٢) الريحاني ، **ملوك العرب )** ، جـ١ ، ص ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

(٣٣) **المرجع نفسه** ، ص ١٠٢ .

عن مجالس القات ، انظر : **المرجع نفسه** ، ص ٩٩ ــ ١٠٠ ؛ هانز هولفريتز ، **اليمن من الباب الخلفي** ، ترجمة خيري حماد ، الطبعة الثانية ، ( القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ م ) . ص‌ص ١٠٩ ــ ١١٧؛

Rihani , **Arabian Peak and Desert, pp. 35-38** .

(٣٤) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ١٠١ .

(٣٥) **المرجع نفسه** .

(٣٦) **المرجع نفسه** ، ص‌ص ١٠١ــ١٠٢ . والشاعر صاحب هذا البيت هو فؤاد الخطيب، صديق الريحاني ، عن ترجمته انظر : الزركلي ، **الاعلام** ، جـ ٥ ، ص ١٦٠ .

(٣٧) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ، ص١٠٢ .

(٣٨) **المرجع نفسه** .

(٣٩) **المرجع نفسه** ، ص‌ص ٢٣٠ــ٢٣١ .

(٤٠) **المرجع نفسه** ، ص ١٠٢ .

(٤١) Rihani , **Arabian Peak and Desert, pp. 30-31** .

(٤٢) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ، ص٨٩ .

(٤٣) **المرجع نفسه** ، ص ١٠٦ .

(٤٤) **المرجع نفسه** ، ص ١٠٤ ، وعن حاله هذه أيضا انظر :

Rihani , **Aradian Peak and Desert, pp. 43-44** .

(٤٥) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ١٠٥ .

(٤٦) **المرجع نفسه** ، ص ١٠٨ . أيضا انظر :
Rihani , **Aradian Peak and Desert, p. 54** .

(٤٧) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ص ١٠٩ .

(٤٨) Rihani , **Aradian Peak and Desert, p. 58.**

وتقع مدينة ذمار في الجنوب الشرقي من صنعاء على بعد ١٠٠ كم تقريبا . سميت باسم ( ذمار علي ) الملك الحميري . وهي قاعدة محافظة ذمار . أبو العباس أحمد الرازي ، **تاريخ مدينة صنعاء** ، تحقيق حسين العمري، ط ٣ ، ( دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٩ م ) ص ٦٦٩ .

(٤٩) هو عبد الله بن أحمد ابن الوزير ، بعد

واحدا من أكبر رجالات اليمن في السياسة والحكم والعلم أيضا . وقد تزعم ثورة عام ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨ م والتي أودت بحياة الامام يحيى ، وحياته هو أيضا . عن ترجمته . انظر : الزركلي ، **الاعلام** ، جـ ٤ ص ص ٧٠ – ٧١ – وعن نهايته الاليمة انظر : الشامي ، **رياح التغيير في اليمن** ، ص ص ٣٥٣ – ٣٥٤.

(٥٠) انظر : **Rihani , Arabian Peak and Desert, p. 60.**

(٥١) Ibid., p. 62

(٥٢) **Ibid** , pp. 69 - 70 .

(٥٣) لا بد من صنعاء وان طال السفر ## لطيبها والشيخ فيها من دبر

بيت من الشعر تغنى به الحداة . والشيخ المقصود هنا هو ابراهيم ابن عباد الدبري ، كان من بلدة دبر بالقرب من صنعاء . الرازي، **تاريخ مدينة صنعاء** ، ص ٢٣٥ .

(٥٤) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ص١١٨ .

(٥٥) **المرجع نفسه** ، ص ١١٩ .

(٥٦) **المرجع نفسه** ، ص ص ١٢٠–١٢١ أيضا انظر: Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 79.

(٥٧) **Ibid.**, pp. 80-81 , 83 ; الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ، ص ص ١٢١ – ١٢٢ .

(٥٨) Rihani , **Arabian Peak and Desert**, pp. 89 , 92 ; الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص١٢٧ .

(٥٩) **المرجع نفسه** ، ص ١٢٩ ، قارن مع وصف هانز هولفريتنز ، **اليمن من الباب الخلفي** ، ص ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٦٠) عن الامام يحيى حميد الدين انظر : الواسعي، **تاريخ اليمن**، ص ص ٣٠٠–٣٠١ ، ٤٢٨–٤٣٤.

(٦١) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ص ١٣٠ ، أيضا انظر : Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 93 .

(٦٢) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ١٣٠ ؛ Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 94. قارن مع قول هانز هولفريتز ، **اليمن من الباب الخلفي** ، ص ١٥٦ .

(٦٣) Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 94.

(٦٤) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ص ١٣٠ – ١٣١ ، قارن مع : Rihani , **Arabian Peak and Desert**, pp. 94-95.

(٦٥) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ، ص١٣١ .

(٦٦) **المرجع نفسه** ، ص ص ١٣١ – ١٣٢ .

(٦٧) **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢ .

(٦٨) **المرجع نفسه** ،

(٦٩) **المرجع نفسه** ، ص ص ١٣٢–١٣٤ ؛ Rihani , **Arabian Peak and Desert**, pp. 96-98 .

(٧٠) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ص ١٣٣ ؛ أيضا انظر : Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 97 .

(٧١) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص١٣٤ ؛ Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 97 .

(٧٢) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ١ ص ص ١٣٤ – ١٤٥ ، أيضا انظر : Rihani , **Arabian Peak and Desert**, pp. 98 - 100.

(٧٣) الريحاني ، **ملـوك العـرب** ، جـ ١ ص ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(٧٤) **المرجع نفسه** ، ص ٨٤ .

(٧٥) **المرجع نفسه** ، ص ٧٩ .

(٧٦) ( ملحق الصور )

Rihani , **Arabian Peak and Desert,** p. 2 .

(٧٧) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص١٢٦ .

(٧٨) **المرجع نفسه** ، ص ص ٩٣–٩٤ ، ١٠٦ ؛

Rihani , **Arabian Peak and Desert,** pp. 25, 56 .

(٧٩) الريحاني ، **ملـوك العرب** ، جـ١ ، ص ص ١١٢ ، ١١٤ ؛ الواسعي ، **تاريخ اليمن** ، ص ٢٩٤ ؛ فاروق أباظة ، **العلاقات البريطانيـة اليمنيـة بين الحربين العالميتين** ( ١٩١٩ – ١٩٣٩ ) ، ( القاهرة : دار المعارف ، د.ت.) ص ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٨٠) الواسـعي ، **تاريخ اليمن** ، ص ص ٣٥ ، ٣٨، ١٢٩ . بدأ الواسـعي في تدوين أحداث تاريخه عام ١٣٢٦ واستمر حتى بعد عام ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م ، وبذا تكون رحلة الريحاني لليمن في قلـب هـذه الفـترة . ص ص ٨ ، ٢٨، وما بعدها .

Rihani , **Arabian Peak and Desert,** p. 63 .

(٨١) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص١١١ ؛

(٨٢) الريحاني، **ملوك العرب**، جـ١ ص ص٨٤–٨٦.

(٨٣) **المرجع نفسه** ، ص ص ٨٥ ، ٨٩ .

(٨٤) **المرجع نفسه** ، ص ٨٥ .

(٨٥) **المرجع نفسه** ، ص ص ١٠٣ – ١٠٤ ؛

Rihani , **Arabian Peak and Desert,** p. 43 .

(٨٦) The National Archives of U.S. A ., Document No . 032 . R 44 « a Letter from Ameen Rihani, to H.P. Fletcher. Under Secretary of State, Concerning his trip to Arabia, October , 18 , 1921 ».

(٨٧) أباظـة ، **العلاقات البريطانيـة اليمنيـة** ، ص ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٨٨) **المرجع نفسه** ، ص ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٨٩) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ٧٩ .

(٩٠) **المرجع نفسه** ، ص ص ٨٢–٨٣ ، ٨٩–٩٠ .

(٩١) **المرجع نفسه** ، ص ٨٣ .

(٩٢) **المرجع نفسه** ، ص ص ٨٢–٨٣ ، ٨٦–٨٧ .

(٩٣) **المرجع نفسه** ، ص ٨٦ .

(٩٤) **المرجع نفسه** ، ص ٨٢ .

(٩٥) **المرجع نفسه** ، ص ٨٨ .

(٩٦) **المرجع نفسه** ، ص ٨٦ .

(٩٧) **المرجع نفسه**، ص ص ٧٩–٨٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥.

(٩٨) **المرجع نفسه** ، ص ٨٥ .

(٩٩) **المرجع نفسه** ، ص ٨٥ ؛

Rihani , **Arabian Peak and Desert,** pp. 11-13 .

(١٠٠) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ص ٨٩ – ٩٠ .

(١٠١) الدكتور حسين بن عبد الله العمري ، **المنار واليمـن ( ١٣١٥ – ١٣٥٤ هـ / ١٨٩٨ – ١٩٣٥ م ) دراسة ونصوص** ، الطبعة الاولى ، **اليمن شماله وجنوبه** ، ص ٥٣ ؛ فتوح عبـد المحسن الخترش ، **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية** ، الطبعة الاولى ، ( الكويت : ذات السلاسل ، ١٩٨٣ ) ، ص ١٢١ .

(١٠٢) Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 1100 .

(١٠٣) The National Archives of U.S. A. Document No. 032 . R 44 . « Movements of Amin Rihani During Visit to Aden and Interior» a Despatch sent by the American Consul in Aden , Arabia , July 19, 1922 .

(١٠٤) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص١٣٩،
وقد كتبت « التحذير » في ملوك العرب ، خطأ « التحرير » انظر وقارن مع :

Rihani , **Arabian Peak and Desert**, p. 106.

(١٠٥) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ١ ، ص ٧٩ .

(١٠٦) **المرجع نفسه** ، ص ١٧٣ .

(١٠٧) البرت الريحاني ، **أين تجد أمين الريحاني** ، ص ٤٧ .

(١٠٨) حسين العمري ، **المنار واليمن** ، ص١١١ .

* * *

# تاريخ غور الاردن الشمالي من خلال المسوحات والحفريات الاثرية الاخيرة

د. جمعة محمود كريم
مؤتة ص.ب ٧

تعني هذه الدراسة الجزء الشمالي من غور الاردن بشكل خاص ، الممتد من نهر اليرموك شمالا وحتى وادي راجب جنوبا وبمسافة يبلغ طولها ٤٥ كم ( أنظر الخارطة رقم ١ ) . كما سيستعرض الباحث تاريخ غور الاردن بشكل عام ، والممتد لمسافة ١٠٥كم ، على محاذاة نهر الاردن ، من نهر اليرموك شمالا وحتى مصبه في البحر الميت جنوبا .

ويعتمد الباحث في دراسته على ما يلي :

١ ــ نتائج المسوحات الاثرية التي اشرف عليها الكاتب في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات ( انظر الخارطة رقم ١ و ٢ و ٣ ) .

٢ ــ نتائج الحفريات الاثرية التي اشرف عليها الكاتب في موقعي تل قدسيه وذراع الخان ( انظر الخارطة رقم ١ و ٥ و ٦ ) .

٣ ــ نتائج المسوحات الاثرية السابقة في غور الاردن .

٤ ــ نتائج الحفريات الاثرية السابقة في غور الاردن .

٥ ــ المصادر التاريخية والجغرافية بالاضافة الى ما نشر عن سجلات الطابو العثمانية .

٦ ــ ملاحظات الرحالة الاوروبيين ، الذين زاروا غور الاردن منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي .

يتفاوت عرض ارضية غور الاردن في ضفته الشرقية ، فنرى انه ضيق في الشمال ( حوالي ٦ كم ) ومتسع في الجنوب ( حوالي ٢٠ كم ) (١) . كما تتسم هذه

المنطقة بانخفاضها الشديد عن مستوى سطح البحر ، يزداد هـذا الانخفاض كلما اتجهنا جنوبا . فيبلغ انخفاض غور الاردن ٢١٢ مترا عند بحيرة طبريا ، و ٣٩٢ مترا عند البحر الميت(٢) .

ويعتقد فريق من الباحثين الجيولوجيين أن غور الاردن ، والممثل جزءا من حفرة الانهدام ، قد تكون نتيجة لحركات تكتونية أفقية(٣) ، بينما يرى فريق اخر بأنه قد تكون نتيجة لحركات تكتونية راسية(٤) . ويمتد هذا الصدع من البقاع شمالا الى غور الاردن ووادي عربة والبحر الاحمر ووسط افريقيا جنوبا(٥) . كما يعتقد بعض الجيولوجيين بأن غور الاردن قد غطي بالمياه منذ نشأة تكوينه ، ثم بدأت هذه البحيرة الكبيرة بالجفاف ، وذلك منذ فترة البليستوسين ( منذ مليون سنة من الآن )(٦) مخلفة وراءها بعض السبخات والبحيرات ، منها العذبة في الشمال ، كبحيرة طبريا ، والمالحة في الجنوب كالبحر الميت .

كما ان انخفاض نسبة الامطار الساقطة في جنوب غور الاردن وارتفاع درجة الحرارة فيه ، أدت الى ارتفاع نسبة الملوحة في تربته ، بينما أدى ارتفاع نسبة الامطار الساقطة وانخفاض درجة الحرارة في جزئه الشمالي الى انخفاض نسبة الملوحة في تربته(٧) . ويبدو أن الاختلاف في نسبة ملوحة التربة بين شمال غور الاردن وجنوبه، بالاضافة الى تواجد مواقع أثرية متمدنة كبيسان وطبقة فحل وأم قيس في الجزء الشمالي لغور الاردن ، وقرب هذا الجزء من طرق المواصلات الرئيسية ، الواصلة بين الحضارات القديمة في مصر وسورية وما بين النهرين ، أدت الى ارتفاع نسبة تواجد مواقع الاستيطان البشري في شمال غور الاردن وانخفاضها في جنوبه .

يمكن تقسيم أرضية غور الاردن الى ثلاثة أجزاء ، الاول يمثل الجزء الملاصق لنهر الاردن ويدعى بالزور . يغطي هذا الجزء ــ وحتى وقت قريب ــ النباتات البرية ، كما أنه معرض لفياضانات نهر الاردن في فصل الشتاء(٨) . أما الجزء الثاني فهو عبارة عن شريط ضيق من التلال تسمى الكتار ، ويلي هذا الشريط . الجزء الثالث من غور الاردن والمكون من أرض زراعية خصبة ومنحدرة باتجاه شرق ــ غرب ، ويدعى هذا الجزء بالغور ، وتتركز الزراعة المروية فيه منذ القدم ، حيث تسقى أراضيه من مياه العيون والاودية الجارية(٩) . وتكثر الاودية الدائمة الجريان في الجزء الشرقي من غور الاردن ، ويمكن ترتيبها من الشمال الى الجنوب كما يلي: وادي العرب ، ووادي زقلاب، ووادي الجرم ، ووادي اليابس ، ووادي كفرنجة ، ووادي الزرقاء ، ووادي شعيب ، ووادي الكفرين(١٠) . ويبدو أن صلاحية أراضي الجزئين الثاني والثالث من غور الاردن للزراعة المروية قد عكس اثره على أماكن الاستيطان البشري فيهما ، منذ أقدم العصور

وحتى الآن ، حيث تزداد نسبة تواجد المواقع الأثرية في هذين الجزئين ، وتقل في الجزء الاول ، مما دفع بعض الدارسين للتوزيع المكاني للمواقع الاثرية في غور الاردن الى الاعتقاد بوجود عدة بحيرات في منطقة الزور ، وذلك حتى فترة العصر الحجري الحديث ، نذكر منها بحيرة بيسان(١١) .

**المسوحات الاثرية السابقة في غور الاردن :**

يعتبر نلسون جلوك أول من اجرى مسوحات اثرية في منطقة شرق الاردن ،وذلك من الفترة الممتدة ما بين عام ١٩٣٩ و ١٩٤٠ م ، وما بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٧م . اهتم جلوك بدراسة وتوثيق المواقع الاثرية الكبرة الحجم ، وخاصة تلك التي حملت على سطحها مخلفات اثرية عائدة لفترات زمنية مبكرة ، في حين أهمل كثيرا من المواقع الاثرية التي تعود للفترات الاسلامية ، وقد أشار الى المخلفات الحضارية التي تعود للفترات الاسلامية في مواقع أثرية استوطنت في فترات سابقة بمصطلح « العصور الوسطى » ، وهو تعبير أوروبي مأخوذ من كلمة Medieval . وقد سجل جلوك عدة مواقع اثرية في منطقة جسر الشيخ حسين هي : تل فندي ، وتل الاربعين، وتل قدسية ، وخربة الشيخ محمد(١٢) . اما في منطقة سليخات فقد سجل جلوك المواقع الاثرية التالية : ظهرة ام المرار ، وخربة عين البيضا ، وتل هنيدة ، وخربة سليخات ، وتل العقارب ، وتل دحنون ، وتل حندقوق(١٣) . وقد بلغ مجموع المواقع الاثرية التي سجلها جلوك في المنطقة الممتدة بين نهر اليرموك شمالا ووادي راجب جنوبا ، (٥٨) موقعا . واعقبه ملارت عام ١٩٥٣ م بمسح ورصد المواقع الاثرية الواقعة في غور الاردن وحوض نهر اليرموك ، المهددة بالتدمير نتيجة لشق قناة الغور الشرقية والقنوات المتفرعة عنها . سجل ملارت في منطقة جسر الشيخ حسين موقعي تل الاربعين(١٤) وخربة الشيخ محمد(١٥) . أما في منطقة سليخات ، فلم يسجل ملارت اياً من المواقع الاثرية ، لانها تقع في منطقة تعلو منسوب قناة الغور الشرقية(١٦) . كما كتب دي كونتسون تقريرا لاحقا يستكمل فيه ذكر المواقع المهددة بالتدمير الناتج عن شق قناة الغور الشرقية . سجل هذا الباحث ثلاثة وعشرين موقعا أثريا ، وكان منها في منطقة جسر الشيخ حسين : تل الاربعين وتل ابو عرابي(١٧) . اما في منطقة سليخات فقد سجل دي كونتسون موقع تل حندقوق(١٨) .

ونظرا لما يشهده غور الاردن من ازدهار زراعي وعمراني منذ العقد السادس من هذا القرن ، وما قد ينجم عن ذلك من تدمير بعض المواقع الاثرية ، فقد أجري في هذه المنطقة في عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ م ، مسح أثري منظم ودقيق شمل المنطقة الممتدة من العدسية شمالا وحتى البحر الميت جنوبا . وقد أشرف على هذا المسح ، الاساتذة :

معاوية ابراهيم ، ممثلا لدائرة الآثار العامة ، وخير ياسين ، ممثلا للجامعة الاردنية ، وجيمس سور ، ممثلا للمركز الامريكي للابحاث الشرقية . وقد سجل أعضاء هذه البعثة في منطقة جسر الشيخ حسين المواقع الاثرية التالية : تل فندي ، وتل الاربعين، وخربة الشيخ محمد وتل قدسية ، وخربة الشيخ حسين(١٩) . أما في منطقة سليخات فقد سجلت البعثة نفسها المواقع الاثرية التالية : أم البعر ، وظهرة أم المرار ، وخربة هجيجة ، وتل هجيجة ، وتل هنيدة ، ومقبرة سليخات ، وخربة سليخات ، وتل أبو العقارب ، وتل دحنون ، وتل حندقوق(٢٠) . وتجدر الاشارة الى أن هذه البعثة قد سجلت ٢٢٤ موقعا أثريا في غور الاردن عامة ، غطت فترات زمنية تمتد من الالف السادس قبل الميلاد وحتى الوقت الحاضر دون انقطاع يذكر . أما المنحدرات المطلة على غور الاردن فقد مسحت أثريا عام ١٩٨٥م باشراف د. مجاهد المحيسن . وقد رصدت الكهوف والملاجيء وأماكن استقرار الانسان الذي عاش في العصور الحجرية على هذه السفوح ، والممتدة من وادي الجرم شمالا ووادي الكفرين جنوبا . وقد سجلت المواقع التالية في منطقة سليخات : تل حندقوق ، ومقابر تل حندقوق ، ومنحدرات وادي سبيرة ، ومنحدرات سليخات ، ومقبرة سليخات ، وعين هنيدة ، وهجيجة(٢١) .

كما قام كل من بلمبو ومابري عام ١٩٨٧م بمسح أثري لمنطقة حوض وادي اليابس ، والواقعة ما بين منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات . وقد سجلت هذه البعثة موقعا أثريا واحدا يقع في حدود منطقة سليخات ، وهو خربة سبيرة(٢٢) . كما قام متمان بمسح أثري للمواقع الاثرية الواقعة في شمال الاردن عام ١٩٦٨ م وسجل في هذا المسح موقع سبيرة ، حيث عثر على شقف فخارية تعود للعصر البيزنطي في الطرف الغربي لهذه الخربة وشقف فخارية أخرى أرجعها للعصر الحجري النحاسي، عثر عليها في الطرف الشرقي من الخربة(٢٣) .

كما اهتم هذا الباحث بدراسة طرق المواصلات المارة عبر غور الاردن ، وتمكن من دراسة النقوش على الشواهد الحجرية الدالة على هذه الطرق ، والتي عثر عليها في منطقة تل الاربعين وبالقرب من موقع طواحين السكر ، والقرن ، ووادي كفرنجة ، وعمتا . وقد دلت قراءة هذه النصوص على أن هذه الشواهد الحجرية قد وضعت في القرنين الثاني والثالث الميلاديين(٢٤) .

## الحفريات الاثرية السابقة في غور الاردن

كشفت المسوحات الاثرية السابقة الذكر في غور الاردن عن رصد مجموعة كبيرة من المواقع الاثرية الهامة ، التي تغطي فترات استيطان بشري عبر عصور مختلفة .

كما أوصى المساحون الاثريون السابقو الذكر ، باجراء حفريات أثرية في مناطق أثرية، اتصفت بأنها مواقع استيطان كبيرة الحجم وذات طابع مدني ، في حين ان المواقع الصغيرة الحجم ــ القرى الزراعية ــ بقيت مهملة حتى بداية العقد الثامن من هذا القرن . وتجدر الملاحظة أيضا بأن اهتمام المنقبين الاثريين في غور الاردن قد تركز على اختيار المواقع الاثرية القديمة ؛ تلك التي تعود الى ما بين الالف السادس قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد ، في حين ان المواقع الاثرية العائدة للفترات الكلاسيكية والاسلامية ، قد اهملت الى حد بعيد . كما أجريت تنقيبات أثرية منظمة في مواقع متعددة من غور الاردن ، وذلك منذ بداية العقد الرابع من هذا القرن . ويمكن ترتيب هذه المواقع الاثرية جغرافيا من الشمال الى الجنوب كما يلي(٢٥) :

**تل الشونة الشمالي(٢٦) :**

دلت الحفريات الاثرية بهذا الموقع على انـه قد استوطنت في العصر الحجري الحديث ــ المرحلة اليرموكية ( الالف الخامس قبل الميلاد ) ، وفي العصر الحجري النحاسي ( الالف الرابع قبل الميلاد ) ، وفي العصر البرونزي المبكر بمراحله الثلاث الاولى ( الالف الثالث قبل الميلاد ) ، وفي العصر الهللنستي ( ٣٣٢ قبل الميلاد ــ ٦٣ ميلادي ) ، وفي العصر الايوبي / المملوكي ( ١١٧١ ــ ١٥١٦ ميلادي ) .

**تل الحيات(٢٧) :**

اشارت الحفريات الاثرية في هذا الموقع الى تواجد شقف فخارية عائدة للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر ( ٢٤٠٠ ــ ٢٠٠٠ قبل الميلاد ) ، ولكن لم يعثر على بقايا معمارية ممثلة لهذه الفترة في هذا الموقع . وتمثل فترة العصر البرونزي الوسيط ( النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد ) ، مرحلة الاستيطان الرئيسة في هذا الموقع ، حيث أمكن التعرف على أربعة مراحل سكنية عائدة لنفس الفترة . واهم ما كشف عنه في الموقع ، معبد اعيد بناؤه اربع مرات ، وقورن مع معابد أخرى في فلسطين وابلا في سوريا . كما عثر على بقايا أثرية متنوعة على السطح، كحفر الخزين وشقف فخارية وقطع عملة يعود تاريخها الى ما بين العصر الفارسي والعصر البيزنطي.

**تل ابو هابيل(٢٨) :**

كشفت الحفريات الاثرية المبكرة في هذا الموقع عن حفر سكنية وادوات حجرية وآنية فخارية تعود للعصر الحجري النحاسي ، وقورنت بما عثر عليه سابقا في تليلات غسول وأريحا .

**تل ابو حامـد(٢٩) :**

اظهرت الحفريات الاثرية المنظمة والدقيقة في هذا الموقع ، تواجد ابنية سكنية من الطوب الطيني على أساسات حجرية . كما عثر أمامها على ساحات مكشوفة ، مورست بها النشاطات اليومية . وقد أرخت جميع المكتشفات الاثرية في هذا الموقع الى العصر الحجري النحاسي ( نهاية الالف الخامس ـ بداية الالف الرابع قبل الميلاد)، واعتبر هذا الموقع من القرى الزراعية الكبيرة العائدة لهذه الفترة .

**تل أبو الـحزز(٣٠) :**

عثر في هذا الموقع على مخلفات حضارية عائـدة للعصر الحجري النحاسـي ، والعصر البرونزي المبكر بمرحلتيه الاولى والثانية ، والعصر البرونزي الحديث( النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد ) ، والعصر الحديدي بمرحلتيه الاولى والثانيـة ، والعصر الروماني .

**تل ابو النعـاج(٣١) :**

يعتبر هذا الموقع من المواقع الاثرية الهامة في غور الاردن، حيث كشفت الحفريات الاثرية فيه عام ١٩٨٥م ، على تواجد أبنية سكنية مبنية بالطوب الطيني تعود للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي القديم .

**وادي اليابس(٣٢) :**

كشفت الحفريات الاثرية المبكرة في هذا الموقع عن تواجـد مخلفات أثرية تعـود للعصر الحجري الحديث ـ المرحلة اليرموكية .

**تل اسـعيدية(٣٣) :**

اكدت الحفريات الاثرية المتتالية في هذا الموقع على تواجد مخلفات حضارية تعود للعصر الحجري النحاسي ، والعصر البرونزي المبكر ، والعصر البرونزي الوسـيط ، والعصر البرونزي المتأخر ، والعصر الحديدي ، والعصر الفارسي . كما عثر على منشأة معمارية كبيرة اعتقد بأنها استخدمت كخان في العصر الاموي .

**تل المـزار(٣٤) :**

أبدت الحفريات الاثرية المنظمة في هذا الموقع على انه استوطن في العصر الحديدي بمرحلتيه الاولى والثانية ، وفي العصر الفارسي . ويبدو أن هذا الموقع قد هجر مـع بداية غزو الاسكندر المقدوني للمنطقة عام ٣٣٢ قبل الميلاد .

**تل ابو سربوط(٣٥) :**

كشفت الحفريات الاثرية المتتالية في هذا الموقع على انــه قد استخدم كقريــة زراعية « العصرين الايوبي والملوكي ». فالى جانب الانشاءات المعمارية السكنية، فقد عثر في هذا الموقع على أعداد كبيرة من الشقف الفخارية التــي استخدمت في تصــنيع السكر في « العصر الايوبي والملوكي » كما دلت هده الحفريات على أن الطرف الشرقي من هذا الموقع قد استوطن في العصر البيزنطي .

**تل ابو قعـدان(٣٦) :**

واعتقد أن هذا التل الاثري قد هجر معبداية غزو الاسكندر المقدوني للمنطقة . كما عثر في قمةالتل على مجموعة مقابر تعود للعصر الايوبي/المملوكي . ويبدو أن هذا لكونه أحد المراكز الهامة لتصنيع السكر في العصر الايوبي / المملوكي . واعتقد فرانكن على أن هذا الموقع قد هجر في القرن السادس عشر الميلادي .

**تل دير عـلا(٣٧) :**

من خلال الحفريات الاثرية المتتالية في هذا الموقع ، ظهر وجود مخلفات حضارية تعود للعصر الحجري النحاسي ، والعصــر البرونزي الوسيط ، والعصــر البرونزي المتأخر ، والعصر الحديدي ، والعصر الفارسي ( ٥٣٩ ــ ٣٣٢ قبل الميلاد ) .

واعتقد أن هذا التل الاثري قد هجر مع بداية غزو الاسكندر المقدوني للمنطة . كما عثر في قمة التل على مجموعة مقابر تعود للعصر الايوبي / المملوكي . ويبدو أن هذا الموقع الاثري قد ازدهر في نهاية العصر البرونزي المتأخر ، حيث عثر على معبد أرخ لهذهالفترة، وبداخله مجموعة من الآنية الفخارية والمرمرية المستوردة مــن موكناي ومصر ، ومن المكتشفات الهامة في هذا المعبد قارورة من المرمر تحمل اسم الملكة المصرية تاوسرت ( ١٢٠٥ ــ ١١٩٤ قبل الميلاد ) ، زوجة الفرعون المصري سيتي الثاني . كما

عثر في هذا الموقع على كتابات بالخط الآرامي تذكر اسم الكاهن « بلعم » وارخت هذه الكتابات لما بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد .

### كتـــارة الســـمر(٣٨) :

كشف في هذا الموقـع عن مخلفات حضاريـة تعود للعصر الحجري النحاسـي ، وللمرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر ( ٣٢٠٠ ــ ٢٩٠٠ قبل الميلاد ) ، وللعصر البرونزي الوسيط ، وللعصر البرونزي المتأخر . كما عثر في هذا الموقع على مجموعة من المقابر العائدة للعصر البرونزي المتأخر ، وبداخلهـا مجموعة من الآنية الفخاريـة المصنعة محليا واخرى مستوردة من جزر البحر الابيض المتوسط .

### تل ام حمـاد(٣٩) :

أظهرت الحفريات الاثرية في هذا الموقع عن مخلفات حضارية تعود للعصر الحجري النحاسي ، وللمرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر . وتكمن اهمية هذا الموقع في كونه يمثل احد مواقع الاستيطان القليلـة ، والتي تعود للمرحلـة الرابعة من العصـر البرونزي المبكر في جنوبي بلاد الشام .

### طوال الشرقي(٤٠) :

يقع على الجانب الجنوبي من موقع تل أم حماد . وكشف فيه عن مجموعة كبيرة من المقابر العائدة للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر .

### تل نمرين :

عثر عام ١٩٨٠م على الطرف الغربي من هذا التل على كنيسة كسيت ارضيتها بالفسيفساء . ويعود تاريخ انشائها للقرن السادس الميلادي ، واستمر استعمالها مع بعض الاضافات المعمارية طيلة العصر الاموي(٤١) . كما اجريت في هذا الموقع اعمال تنقيب اثرية منظمة ، وذلك منذ عام ١٩٨٩م . تم التعرف من خلالها على اسوار دفاعية ، وبيوت سكنية تعود للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر . اما المنشآت المعمارية التي تعود الى ما بين العصر الروماني والعصر الاسلامي المتأخر فقد اصابهـا التدمير نتيجة لأعمال التجريف على سطح هذا الموقع(٤٢) .

## تـل إكتانـو(٤٣) :

كشفت الحفريات الاثرية في هذا الموقع عن قلعة تعود للعصر الحديدي ، وقـد أحيطت بجدران دفاعية ، يبلغ سمكها ١ م . الا أن أهم ما كشف عنه في هذا الموقع ، مجموعة انشاءات معمارية سكنية ، ومجموعة من الافران التـي استعملت لتصـنيع الآنيـة الفخارية ، وهي جميعا تعود للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر .

## غروبـة(٤٤) :

أجريت في هذا الموقع الاثري حفريات أثرية من قبل ملارت ، وكشف عن مخلفات أثرية تعود للمرحلة الاخيرة من العصر الحجري الحديث ( الحضارة اليرموكية ) ، ومن العصر الحجري النحاسي .

## سهل السرابيط(٤٥) :

أجريت في هذا الموقع حفرية أثرية ـ لموسم واحد ـ كشفت عن مخلفات أثريـة عائدة للعصر العباسي ، والعصر الايوبي/المملوكي . واعتمادا على كثرة الكسر الزجاجية التي عثر عليها في هذا الموقع ، اعتقد المنقبون انه قد استخدم لتصنيع الآنية الزجاجية في العصر الاسلامي الوسيط .

## تليلات غسـول(٤٦) :

يغطي هـذا الموقع الاثري مسـاحة اجمالية مقدارها ثمانون دنمـا . وقد دلت الحفريات الاثرية المتتالية في هذا الموقع ، انه قد استوطن في فترتين متتاليتين ، هما : العصر الحجري الحديث « المرحلة اليرموكية » والعصر الحجـري النحاسي . وقـد مثلت المرحلة اليرموكية من العصر الحجري الحديث ببيوت سكنية جاءت على شـكل حفر ، ومجموعة من الادوات الحجرية والآنية الفخارية . وتعتبر هذه الآنية الفخارية الاقدم تاريخيا لنوعها في جنوب بلاد الشام . أما المرحلة اللاحقة ـ العصر الحجـري النحاسي فقد جاءت بيوتها السكنية مبنية من الطوب الطيني على أساسات حجرية . وقد دعيت المخلفات الحضارية الاتية من هذا الموقع بالحضارة الغسولية ، نسبة الى اسم هذا الموقع .

## زيارات الرحالة الاوربيين لغور الاردن :

نشط الرحالة الاوروبيون بالتوافد الى بلاد الشام منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ، وسجلوا ملاحظاتهم حول التعداد السكاني وأماكن الاستيطان والثـروات

الاقتصادية والطبيعية والجغرافية والبقايا الاثرية . وتعتبر مدونات الرحالة هذه هامة لاكمال حلقة التسلسل التاريخي لغور الاردن ، في ظل معرفتنا القليلة للبقايا الاثرية العائدة للفترة العثمانية ، ولقلة التاريخ المكتوب والمنشور عن هذه الفترة .

زار بيركهاردت عام ١٨١٢ م المنطقة الشمالية لغور الاردن وسجل تواجد قريتين اساسيتين في هذه المنطقة ، هما : معاذ ، وتل الاربعين(٤٧) . كما عبر بيركهاردت نهر الاردن في نفس العام قاصدا مدينة السلط ، وخلال مروره بغور الاردن سجل بعض المواقع مثل وادي الموز ( وادي الجرم حاليا ) ، روادي اليابس ، ومزار شرحبيل ، وتل قرن الحمار ( القرن حاليا ) ، وعمتا ( قرية ابو عبيده حاليا ) ، ومزار ابو عبيدة، حيث يتواجد حوله بعض البيوت الطينية (٤٨) . ومن الملاحظات الهامة التي سجلها ، ان منطقة غور الاردن توفر أرضا رعوية خصبة لعدد من القبائل البدوية ، بعضها استقر فيغور الاردن ، والبعض الاخر قادم من المرتفعات الشرقية أو الغربية ، كما شاهد هذا الرحالة بعض الحقول المزروعة بالقمح والشعير والذرة(٤٩) .

اما بكنفهام فقد زار غور الاردن عام ١٨١٦م وذكر مجموعة من المواقع وصفها بانها قرى مهدمة أو مهجورة ، نذكر منها : تل الاربعين ، وخربة مرقعة ، وقبر الشيخ حسين ، وخربة هجيجة ، وفقارس ( قرية كريمة حاليا ) ، وعمتا(٥٠) . وفي عام ١٨٢٨م زار ( ج.هـ) الجزء الجنوبي من غور الاردن ( غور نمرين ) وشاهد بعض الحقول المزروعة بالقمح(٥١) . كما زار روبنسون منطقة وادي اليابس وطبقة فحل في عام ١٨٣٨ . وشاهد أثناء مروره بمنطقة وادي اليابس مجموعة من الفلاحين ، الذين أتوا اليها من المنطقة الجبلية ( من قرية فارة ) ، وبنوا لانفسهم أكواخا منالقصب على الجانب الجنوبي من وادي اليابس (٥٢) . كما زار وارن الجزء الجنوبي من غور الاردن ، وشاهد حقول القمح ، التي زرعها السكان الاصليون للمنطقة ( دعاهم بالفوارنة )(٥٣) . وفي عام ١٨٧١م زار نورثي المنطقة الجنوبية لغور الاردن ومنطقة عجلون ، وشاهد هذا الرحالة حقول القمح المزروعة في غور الشونة الجنوبية وفيمنطقة ابو عبيدة(٥٤) . وفي عام ١٨٨٢ زار الرحالة الالماني فان دي فلده غور الاردنالشمالي، وسجل وجود قرية صغيرة وحديثة في طبقة فحل(٥٥) . كما زار لو سترانج المنطقة الشمالية من غور الاردن عام١٨٨٤م ، وشاهد حقول القمح المزروعة في السهول الممتدة بين طبقة فحل وبيسان(٥٦) . أما شوماخر فقد زار الجزء الشمالي من غور الاردن عام ١٨٨٦م ، وسجل تواجد مجموعة من القرى الزراعية المأهولة بالسكان . ولقد تركز تواجد هذه القرى الزراعية في المنطقة الممتدة بين نهر اليرموك شمالا وطبقة فحل جنوبا(٥٧) . وأكد سميث ملاحظات شوماخر سابقة الذكر ، حيث زار هذا الرحالة غور الاردن عام ١٨٩١ وسجل وجود مجموعة من القرى الزراعية المتواجدة

على أرضية غور الاردن(٥٨) . أما شتوير ناجل فقد زار منطقة عجلون عام ١٨٩٨وسجل مجموعة من المواقع الاثرية في منطقة سليخات هي : خربة إهنيدة ، وخربة فلاح ، وخربة سبيرة ، وخربة القرن ، وسليخات ، وتل حندقوق ، وفقارس . كما سجل أن منطقة سليخات كانت تقصدها عائلات آتية من خربة الوهادنة في فصل الشتاء وترجع ثانية في فصل الصيف بعد ان تتم عملية الحصاد(٥٩) .

## المسوحات الاثرية الاخيرة في غور الاردن :

### ١ ـ المسح الاثري لمنطقة جسر الشيخ حسين(٦٠) :

تقع منطقة جسر الشيخ حسين في الجزء الشمالي من غور الاردن ، على بعد ١١كم الى الشمال الغربي من مدينة طبقة فحل الاثرية ، وعلى بعد ١٣ كم الى الجنوب من بلدة الشونة الشمالية ، وعلى بعد ٤٥ كم الى الجنوب الغربي من مدينة اربد .

هدف العمل الميداني الاثري في هذه المنطقة الى الكشف عن استمرارية او عدم استمرارية الاستيطان ، وطبيعته فيها ، كجزء ممثل لغور الاردن ، كما رمى هذا العمل الميداني الى محاولة الربط بين المواقع الاثرية التي تم التعرفعليها في المنطقة مع موقع تل قدسية ، الذي أظهرت المسوحات الاثرية السابقة فيه، فترات الاستيطان الكلاسيكي والاسلامي . تكون العمل الميداني الاثري في هذه المنطقة من جزئين مكملين لبعضهما بعضا ، الاول : مسح اثري منظم ودقيق للمنطقة ( بمساحة اجمالية تبلغ ١٦ كم٢ ) ، والثاني ، الحفر الرأسي في موقع تل قدسية ، بغرض اظهار التسلسل التاريخي لهذا الموقع ، وربطه مع المواقع الاثرية التي أمكن التعرف عليها في منطقة المسح .

يتميز العمل الميداني الاثري في مناطق محدودة المساحة ، كمنطقة جسر الشيخ حسين ، بدقة رصد المواقع الاثرية الصغيرة المساحة ، والتي تقل مساحتها عن خمسة دونمات ، ولذلك فقد أمكن التعرف على ثلاثة مواقع أثرية لاول مرة في هذه المنطقة، وهي : خربة الشيخ محمد صالح الغزاوي ( وتسمى ايضا خربة سليم اليوسف ) ، وتل ابو عرابي الشمالي ، وتل يرفا .

اما المواقع الاثرية التي تم تسجيلها في منطقة جسر الشيخ حسين ( انظر الخارطة رقم ٢ ) ، والفترات التاريخية التي أظهرتها ( شاهد اللوحة رقم ٣ )، من خلال دراسة المخلفات الحضارية الظاهرة على سطحها ، فهي :

## ١ ـ تل فنــدي :

قَسِم هذا الموقع نظرا للاختلاف الواضح فيتاريخ المخلفات الحضارية الظاهــرة على السطح ، الى قسمين هما :

أ ـ تل فندي الشمالي ( الموقع A ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المخطط الشبكي ( Grid Strategy ) ١.٠٥٦ شقفة . ودلت دراســة هــذه الشقف الفخارية والادوات الصوانية على ان هذا الموقع قد إستوطن بشكل اساسي في العصر الحجريالنحاسي / المرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر ( الالف الرابع قبل الميلاد ) حيث مثلت هذه الفترة ٩٨٩ شقفة فخارية ( بنسبة مئويــة ٦٥ر٩٣٪ من المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة ) . اما الشقف الفخارية الباقية فقــد ارجعت للعصور التالية : العصر البيزنطي ( ٤٥ شقفة ) ، والعصر الايوبي/المملــوكي (١٢ شقفة ) : والوقت الحاضر ( ٥ شقف ) .

ب ـ تل فندي الجنوبي ( الموقع B ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح الموقع ، باستعمال طريقــة المخطط الشبكي ، ٤٦١ شقفة ، وقدأرخت جميعها للعصــر الايوبي/المملوكي . ومما يلاحظ أن جميع الكسر الفخارية الملتقطة ، وتلك الظاهرة على سطح الموقع ، هي مــن تلك الجرار التي استخدمت في عملية تصنيع السكر في العصر الايوبي / المملوكي .وفي ظل غياب المرفقات الانشائية الخاصة لهذا الفرض في هذا الموقع. وظهورها في موقــع آخر في منطقة البحث ( موقع تل ابو عرابي الشمالي ! ، والعثور على طوب محروق في موقع تل فندي الجنوبي ، والذي يعتقد أنه استخدم في بناء الافران الخاصة لحرق الآنية الفخارية ، يرجح الباحث ان هذا الموقع استخدم لتصنيع الآنية الفخارية المعدة لتصنيع الســكر .

## ٢ ـ خربة الشيخ محمد صالح الغزاوي ( خربة سليم اليوسف ) :

لقد قسم هذا الموقع نظراً لكبر مساحته والاختلاف الواضح في طبوغرافيته ، الى ثلاثة اقسام هي :

أ ـ خربة الشيخ محمد صالح الغزاوي ( الموقع C ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المخطط الشبكي ، ٧٦٢ شقفة . وقد دلت دراسة هذه الشقف الفخارية على ان هذا الموقع قد استوطن في العصور التالية : العصر البرونزي المبكر ( ٤٣ شقفة )، والعصر الايوبي / المملوكي ( ٢١ شقفة ) ، والعصر العباسي / الفاطمي ( ٤٣١ شقفة )، والعصر الايوبي / المملوكي ( ٢٦٧ شقفة ) . ومن خلال استعراض عدد الشقف الفخارية الممثلة لكل فترة ، فانه يمكن القول ان هذا الموقع قد استوطن بشكل اساسي في الفترة الممتدة بين القرن التاسع والقرن السادس عشر الميلادي .

ب ـ خربة الشيخ محمد صالح الغزاوي ( الموقع D ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عـن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف« Purposive Random Sampling » ٢٢٠ شقفة . وقد أرخت هذه الشقف الفخارية للعصور التالية : العصر البرونزي المبكر ( ١٠ شقف ) ، والعصر البيزنطي ( ٣ شقف ) ، والعصر العباسي / الفاطمي ( ١٠١ شقفة ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( ١٦ شقفة ) . كما أن هناك عشر شقف فخارية لم يتمكن من تحديد تاريخها ، لصغر حجمها .

جـ ـ خربة الشيخ محمد صالح الغزاوي ( الموقع E ) .

لقد جمعت ٣٧٣ شقفة فخارية عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف . وأرخت جميع هذه الشقف للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر ( ٢٣٠٠ ـ ٢٠٠٠ قبل الميلاد ) . ويلاحظ أن جميع هذه الشقف هي من جرار كتلك التي عثر عليها في المقابر المنسوبة لهذه المرحلة ، الا انه لم يلاحظ وجود مثل هذه المقابر نظرا لأعمال التجريف الواسعة بالمنطقة ، لغايات استصلاح الاراضي للزراعة المروية .

**٣ ـ تل الاربعين :**

نظرا لمساحة هذا الموقع الكبيرة فقد قسم الى اربعة مواقع ، هي :

أ ـ تل الاربعين ( الموقع F ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال

طريقة المخطط الشبكي ، ١٠٤٢ شقفة ، وأرخت هذه الشقف للعصور التالية : نهاية العصر الحجري الحديث ( المرحلة اليرموكية ) / العصر البرونزي المبكر ( ٨٢٩ شقفة )، والعصر البرونزي الوسيط ( ٥ شقف ) ، والعصر البرونزي المتأخر / العصر الحديدي ( ١٩٧ شقفة) ، والعصر البيزنطي ( ٧ شقف ) ، والعصر الايوبي/المملوكي ( ٥ شقف) والوقت الحاضر ( ٣ شقف ) .

ب ـ تل الاربعين ( الموقع G ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المخطط الشبكي ، ٤٩٦ شقفة . وقد مثلت هذه الشقف الفخارية العصور التالية : المرحلة اليرموكية من العصر الحجري الحديث / العصر البرونزي المبكر ( ٢٩٣ شقفة ) ، والعصر البرونزي المتأخر / العصر الحديدي ( ١٨٠ شقفة ) ، والعصر البيزنطي ( ١٢ شقفة ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( ٥ شقف ) والعصر العثماني ( ٣ شقف ) ، والوقت الحاضر ( ٣ شقف ) .

جـ ـ تل الاربعين ( الموقع H ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقتي المسح العشوائي الهادف والمسح العشوائي الثابت الحدود ، ١٦٣ شقفة . وقد أرخت هذه الشقف للعصور التالية : العصر البرونزي المبكر (٧شقف) ، والعصر العثماني / البيزنطي (٧ شقف) والعصر الايوبي/المملوكي (١٤ شقفة)، والعصر العثماني ( ٥ شقف ) ، والوقت الحاضر ( ١٥ شقفة ) . كما أنه لم يتمكن من تحديد تاريخ ٥٥ شقفة فخارية نظرا لصغر حجمها .

د ـ تل الاربعين ( الموقع I )

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقتي المسح العشوائي الهادف والمسح العشوائي الثابت الحدود ، ٢٠٢ شقفة . وأرخت هذه الشقف للعصور التالية : العصر البرونزي المبكر ( ٧٤ شقفة ) ، والعصر البيزنطي ( ٧ شقف ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( ١٤ شقفة ) ، والعصر العثماني ( ٣ شقف ) ، والوقت الحاضر ( ٦٥ شقفة ) ـ أما الشقف الفخارية الباقية فلم يتمكن من تأريخها لصغر حجمها . كما رصد في هذا الموقع أساسات لبيوت حجرية تعود للقرن التاسع عشر الميلادي ، ويعتقد أنها تلك التي سجلها الرحالة الاوروبيون مثل بكنغهام في ١٨١٧م(٦١) وشوماخر في عام ١٨٨٧م(٦٢) .

٤ ـ تل أبو عرابي الشمالي ( الموقع J ) .

بلغ المجموع العام للشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هـذا الموقع ، باستعمال طريقة المخطط الشبكي ، ٣٤٠ شقفة . أُرخت جميع هذه الشقف للعصر الايوبي / المملوكي وهي جميعا من تلك الجرار المستخدمة في تصنيع السكر خلال تلك الفترة .

كما عثر في وادي زقلاب ، الواقع على الطرف الجنوبي لهذا الموقع الاثري ، على سـد حجري . ويعتقد بأنه انشىء لتحديد مسار مياه هذا الوادي، وذلك لاستخدامها اما لسقاية الحقول المزروعة بقصب السكر في منطقة جسر الشيخ حسين ، أو لادارة طاحونة لاستخراج السكر. الا انه لم يُعثر على سطح هذا الموقع على المرفقات الانشائية الاخرى المستعملة في تشييد مثل هذه الطواحين والمنتشرة في غور الاردن .

٥ ـ تل يرفـا ( الموقع K ) .

جُمعت ٥٤ شقفة فخارية عن سطح هذا الموقع ، وذلك باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، وأُرخت هذه الشقف الفخارية للعصور التالية : العصر البيزنطي ( ٥ شقف ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( ٤٤ شقفة ) ، واوقت الحاض ( ٥ شقف ) .

٦ ـ خربة الشيخ محمد

قسم هذا الاثري ، نظرا لكبر مساحته ، الى قسمين هما :

أ ـ خربة الشيخ محمد ( الموقع L ) .

أُرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقـع ، باستعمال طريقتي المخطط الشبكي والمسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر الحجري الحديث /العصر الحجري النحاسي ( ١٠١١ شقفة ) ، والعصر البرونزي الوسيط ( ٥٤ شقفة)، والعصر البيزنطي ( ٣ شقف ) ، والوقت الحاضر ( ١٤ شقفة ) .

ب ـ خربة الشيخ محمد ( الموقع M ) .

أُرخت الشقف الفخاريـة الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقتـي المخطط الشبكي والمسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر الحجري الحديث / العصر الحجري انحاسي ( ٤٤٤ شقفة ) ، والعصر البرونزي الوسيط ( ٣٦ شقفة )، والعصر البيزنطي ( ٣ شقف ) ، والوقت الحاضر ( ٣ شقف ) .

٧ ـ تل قدسية ( الموقع N ) .

جمعت عن سطح هذا الموقع ٢٠٠٩ شقفة فخارية ، وذلك باستخدام طريقة المخطط الشبكي . وقد أرخت هذه الشقف للعصور التالية : العصر البيزنطي المتأخر ( ٩٦٢ شقفة ) ، والعصر البيزنطي / الاموي ( ٥٧٧ شقفة ) ، والعصر الاموي ( ٢١٩ شقفة ) والعصر العباسي / الفاطمي ( ١٩١ شقفة ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( ٥٧ شقفة ) ، والعصر العثماني ( ٣ شقف ) .

٨ ـ خربة الشيخ حسين الموقع O ) .

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر الايوبي / المملوكي ( ٢٣٩ شقفة) ، والعصر المملوكي / العثماني ( ١٤ شقفة ) .

٢ ـ المسح الاثري في منطقة سليخات :

تقع منطقة سليخات في الجزء الجنوبي من غور الاردن الشمالي ، وعلى بعد ٧٢كم الى الجنوب الغربي من مدينة اربد ، وعلى بعد ١٦ كم الى الجنوب من مدينة طبقة فحل الاثرية ، وعلى بعد ١٧ كم الى الشمال الشرقي من موقع تل دير علا(٦٣) .

كان هدف العمل الميداني الاثري في هذه المنطقة تحديد المواقع الاثرية وتاريخ الاستيطان فيها ، والربط بين المواقع الاثرية الموجودة في هذه المنطقة ومصادر المياه . كما هدف هذا المسح ، كجزء من مشروع إثنو أثري ، الى توثيق المنشآت المعمارية وانظمة الري العائدة للفترات القديمة والحديثة على حد سواء .

اسفر المسح الاثري في هذه المنطقة عن تسجيل أربعة عشر موقعا اثريا ، منها ثلاثة مواقع امكن التعرف عليها لأول مرة ، وهي السفح الجنوبي الشرقي لقرية سليخات ، والسفح الشمالي الشرقي لقرية سليخات ، والسفح السفلي لتل هجيجة . اما المواقع الاثرية التي تم رصدها في منطقة البحث فهي(٦٤) :

١ ـ قرية سليخات .

نظرا لكبر مساحة هذه القرية والمنطقة المحيطة فيها ، فقد قسمت الى ثلاثة اقسام هي :

أ ـ السفح الشمالي الشرقي لقرية سليخات :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقتي المسح العشوائي الهادف والمسح الثابت الحدود ، للعصور التالية : العصر الحجري النحاسي ( ١١ شقفة ) ، والعصر الحديدي ( ٣ شقف ) ، والعصر البيزنطي (٧شقف)، والعصر الايوبي / المملوكي ( ٣٢ شقفة ) ، والعصر العثماني ( ٣ شقف ؟ ) . كما عثر في هذا الموقع على بقايا لمعصرة نبيذ ، نحتت بالصخر الطبيعي ، وتعود للعصر البيزنطي . كما عثر في هذا الموقع على خمسة كهوف ، ويعتقد بناء على دراسة الادوات الصوانية المنتشرة على سطح الموقع ، بأنها قد سكنت في العصر الحجري الحديث .

ب ـ السفح الجنوبي الشرقي لقرية سليخات :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقتي المسح العشوائي الهادف والمسحالعشوائي الثابت الحدود ، للعصور التالية : العصر الحجري الحديث / العصر الحجري النحاسي ( ٨ شقف ) ، والعصر الروماني / البيزنطي ( ٦ شقف ) ، والعصر الايوبي المملوكي ( ١٧ شقفة ) ، والوقت الحاضر ( ٤ شقف ) . وبناء على دراسة الادوات الصوانية الملتقطة عن سطح هذا الموقع،يعتقد بأن مجموعة الكهوف الصخرية المتواجدة به قد سكنت في العصر الحجري الحديث.

ج ـ قرية سليخات :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر البيزنطي ( ٨ شقف ) ، والعصر الايوبي/ المملوكي ( ٧٢ شقفة ) ، والعصر العثماني ( ٤ شقف ) ، والوقت الحاضر ( ٤ شقف ). كما عثر في واديسليخات ، الواقع في الطرف الشمالي بهذه القرية ، على ثلاث معاصر استخدمت في العصر الايوبي / المملوكي لعصر قصب السكر . ولم تستخدم المياه الجارية في وادي سليخات وتلك المجمعة من عيني هنيدة وهجيجة لادارة طواحين السكر هذه فقط ، وانما استخدمت لسقاية تلك الحقول المزروعة بقصب السكر في العصر الايوبي / المملوكي ، حيث عثر على قناة حجرية استخدمت لتجميع مياهعيني هجيجة وهنيدة في بركة اصطناعية ، وبعد استخدام هذه المياه لادارة هذهالطواحين، يعاد استخدامها عبر قناة حجرية اخرى لسقاية حقول قصب السكر في المنطقة .

## ٢ ـ موقع مقبرة سليخات :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصر الحجري النحاسي / العصر البرونزي المبكر ، وللمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر ، وللعصر البرونزي الوسيط . كما عثر على مجموعة من الادوات الحجرية تمثل اجزاء لاجران ومدقات وثقالات نسيج ، ارخت للعصر الحجري الحديث / العصر الحجري النحاسي .

## ٣ ـ تل ابو العقارب :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر الحجري النحاسي / العصر البرونزي المبكر ( ٤ شقف ) وللعصر الحديدي ( ٣٨ شقفة ) . كما عثر على قمة هذا الموقع على أساسات حجرية لبيت مستطيل الشكل . ولقد حصن هذا البيت ببرجين مربعي الشكل ، يقع الاول على الجانب الشمالي للمدخل ، أما الاخر فيقع على الطرف الجنوبي الغربي . وبناء على دراسة الشقف الفخارية الملتقطة عن السطح ، والدراسة المقارنة بين التخطيط المعماري لهذا البيت المحصن وبيوت اخرى مشابهة عثر عليها في صحراء النقب(٦٥) ، يعتقد بأنه يعود للعصر الحديدي .

## ٤ ـ تل دحنون :

لقد أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصر الحديدي ( ٢٥ شقفة ) . كما يظهر على السطح اساسات حجرية لبيوت سكنية ، ويلف هذا الموقع جدار تحصيني بسماكة متر واحد ، تتخلله ابراج مربعة الشكل على الاطراف الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية . ومن أجل تدعيم الجدار التحصيني فقد بنيت دعامات استنادية على الجزء الاوسط من المنحدر الواقع على الطرف الغربي للموقع ، وقد أرخت هذه المنشآت المعمارية للعصر الحديدي .

## ٥ ـ تل حنذقوق :

أرخت جميع الشقف الفخارية ( ١٠٥ شفف ) الملتقطة عن سطح الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصر الحجري النحاسي / العصر البرونزي المبكر ، كما اجرى الباحث مابري(٦٦) مجسات اختبارية في هذا الموقع ،

تم التعرف من خلالها على التسلسل التاريخي للاستيطان به، والتي شملت المرحلة الاخيرة من العصر الحجري النحاسي ، والعصر البرونزي المبكر بمراحله الاولى والثانية . كما يستدل من خلال دراسة آثار الاختام الاسطوانية التي عثر عليها مابري(٦٧) وكاتب هذا التقرير ، ان هذا الموقع ارتبط بعلاقات تجارية مع مواقع سورية كتل الجديدة، في العصر البرونزي المبكر .

## ٦ ـ خربة هجيجـة :

نظرا لاتساع مساحة هذه الخربة والمنطقة المحيطة بها ، وللتباين الواضـح في تأريخ البقايا الاثرية الظاهرة على السطح ، فقد قسمت الى ثلاثة اقسام هي :

أ ـ خربـة هجيجة :

ارخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر الروماني ( ٤ شقف ) ، والعصر البيزنطي (٣٧ شقفة)، والعصر الاموي ( ١٦ شقفة ) ، والعصر العباسي ( شقفتان ) ، والعصـر الايوبي / المملوكي ( ٦ شقف )، والعصر العثمـاني ( ٤ شقف ) ، والوقت الحاضـر (شقفتان) .

امكن تأريخ بقايا جدران حجرية لمنشآت معمارية سكنيه ، تقع اسفل البيـوت الحديثة وفي ساحاتها ، الى العصر البيزنطي / الاموي ، وذلك من خلال دراسة الشقف الفخارية الملتقطة من المقاطع المجاورة لاساسات هذه الجدران .

كما كشف في هذا الموقع عن كنيسة ، رصفت أرضيتها بالفسيفساء ، والحقت بها حجرتان على الجانب الجنوبي . أما المنشآت المعمارية التي تعود للعصر المملوكي/ العثماني فقد جاءت على شكل أبنية كبيرة الحجم ( ١٠ × ٦ م ) ، بنيت من الحجـارة الكبيرة . واستخدم الملاط الطيني والحجارة الصغيرة في تثبيت مداميك هذه الجدران. وعثر على خزان للماء (القطر ٣م ، العمق ٥ر٣م ) يعود لهذه الفترة ، بنيت جدرانـه من حجارة المرحلة السابقة . وتشير الوثائق العثمانية العائدة لعام ١٥٩٦م ، والمتعلقة بجمع الضرائب ، الى ان سكان هذا الموقع ( دعيت تحت اسم مزرعة حجج ) كانـوا يدفعون الضرائب بمقدار (١٥٠٠) آقجة ، وهي ضمن تيمار(٦٨) يتبع اسماعيل بـن عثمان وشريكه(٦٩) . ولعل ذكر الوثائق العثمانية لهذه الخربة يؤكد ما ذهبنا اليه من تأريخ هذه المنشآت المعمارية لنهاية العصر المملوكي وبداية العصر العثماني .

أما المنشآت المعمارية التي تعود الى ما بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٥٠م فقد جاء تخطيطها المعماري على شكل جناحين ، الجناح الشرقي ، وقد استخدم للمعيشة ويتكون من حجرة واحدة أو حجرتين ، وأما الجناح الجنوبي فقد استخدم للتخزين ( من قمح وشعير وتبن )، ويتكون هذا الجناح من حجرة واحدة تنتهي في طرفها الجنوبي بتجويف صخري ( مغارة ) . ويبدو أن هذا التخطيط المعماري يتناسب مع ما ذكره الرحالة الاوروبين من أن هذه الخربة لم تكن مأهولة بالسكان بشكل مستديم في مطلع هذا القرن ، حيث كانت تؤمها عائلات قليلة العدد في فصل الشتاء من خربة الوهادنة ، الواقعة على المرتفعات الجبلية ، للاشتغال بالزراعة أو الرعاية ، وتعود هذه العائلات مرة اخرى من حيث جاءت في فصل الصيف . وبالتالي يمكن القول ان التخطيط المعماري لهذه المساكن يتناسب وطبيعة الاستيطان الموسمي في هذه الخربة في مطلع هذا القرن .

ب ـ تل هجيجة :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع للعصور التالية : نهاية العصر الحجري النحاسي / العصر لبرونزي المبكر ( ٣٩ شقفة ) ، والعصر الحديدي ( ٦٠ شقفة ) ، والعصر البيزنطي ( ٤٢ شقفة ) ، والعصر الاموي ، ( ٨ شقف ) . كما عثر على أساسات حجرية لبناء مربع الشكل ( ١٠ × ١٠ م ) يعلو قمة التل . ونظرا لكثرة الشقف الفخارية العائدة للعصر البيزنطي المنتشرة بالقرب من هذا المبنى ، يعتقد أنه أحد الحصون العسكرية العائدة لهذه الفترة . أما النظام التحصيني الذي عثر عليه في الاطراف الجنوبية والشرقية فهو مكون من جدار دفاعي ( عرض ١٦٠سم) تدعمه دعامات مبنية من الحجارة(١٠×١٠م) ، كما دعمت الزوايا بدعامات حجرية أصغر حجما (٢×٢م) .

ج ـ سفح تل هجيجة السفلي :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة من سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر الحديدي ( ٨ شقف ) ، والعصر الروماني ( ٥ شقف )، والعصر البيزنطي ( ١٠١ شقفة ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( شقفة واحدة ) . كما ظهر على سطح هذا الموقع أساسات حجرية لبناء مؤلف من حجرتين يتقدمها ساحة امامية مكشوفة ومسورة . وبناء على كثافة الشقف الفخارية العائدة للعصر البيزنطي ، يعتقد ان هذا المبنى يعود لهذه الفترة .

..............................................................................................................................

### ٧ ـ تل ابو البعر :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة من سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر البرونزي المبكر ( شقفتان ) ، والعصر لحديدي ( ٢٥ شقفة ) ، والعصر الروماني ( شقفتان ) ، والعصر البيزنطي ( شقفة واحدة ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( شقفتان ) . وتظهر على سطح هذا الموقع أساسات لجدران حجرية تشكل مجموعة وحدات سكنية ، الا أنه لم يلاحظ وجود أسوار دفاعية حول الموقع . وبناء على كثافة الشقف الفخارية العائدة للعصر الحديدي بمرحلتيه الاولى والثانية ، يعتقد بأن هذه المساكن تعود لهذه الفترة .

### ٨ ـ تل مـرار :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : المرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر ( ١٨٠ شقفة ) ، والعصر الروماني ( ٣ شقف ) . كما عثر على جدران حجرية ، يعتقد بأنها تعود للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر .وتبين من خلال تفحص الحفر الواقعة على قمة التل ، ان الشقف الفخارية العائدة للعصر البرونزي المبكر ـ المرحلة الرابعة ـ قد تواجدت على أرضية التل البكر ، ليدل ذلك على أن هذا الموقع قد استوطن لأول مرة خلال تلك الفترة .

### ٩ ـ خربة عين البيضا ( او خربة فلاح ) :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة عن سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف ، للعصور التالية : العصر البيزنطي ( ٧٠ شقفة ) ، والعصر الاموي ( ١٢ شقفة ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( شقفتان ) ، والعصر العثماني ( شقفتان ) والوقت الحاضر ( ٣ شقف ) . كما عثر على السطح جدران لبيوت سكنية طلي الوجه الداخلي لها بالقصارة . وبناء على ارتفاع نسبة الشقف الفخارية العائدة للعصر البيزنطي وقطع الحجارة المنتظم ، يعتقد بأنها تعود لهذا العصر .

### ١٠ ـ خربة سبيرة :

أرخت الشقف الفخارية الملتقطة من سطح هذا الموقع ، باستعمال طريقة المسح العشوائي الهادف وطريقة المسح العشوائي ذات الحدود الثابتة ، للعصور التالية :

العصر الحجري الحديث / اعصر الحجري النحاسي ( ٢٤ شقفة ) ، والعصر البرونزي المتأخر ( ٧ شقف ) ، والعصر الحديدي ( ١٩ شقفة ) ، والعصر الروماني ( ٤ شقف )، والعصر البيزنطي ( ١٤ شقفة ) ، والعصر الاموي ( ٥ شقف ) ، والعصر الايوبي / المملوكي ( ٦ شقف ) ، والعصر العثماني ( ٧ شقف ) ، والوقت الحاضر ( شقفتان ) .

## الحفريات الأثرية الأخيرة في شمال غور الاردن

أشرف كاتب هذا التقرير على حفريتين أثريتين في غور الاردن الشمالي ، هما تل قدسية في منطقة جسر الشيخ حسين ، وموقع ذراع الخان ، الواقع على بعد ٥ر١ كم الى الجنوب الشرقي من بلدة الشونة الشمالية ، وستسهم نتائج هذه الحفريات الاثرية في تدعيم معرفتنا التاريخية عن منطقة البحث في الفترات الكلاسيكية المتأخرة والاسلامية .

### ١ ــ تل قدسية(٧٠) :

هدف الباحث من اعمال المسح الاثري في منطقة جسر الشيخ حسين ، والحفر الرأسي في موقع تل قدسية الى التعرف على كثافة وطبيعة الاستيطان في هذه المنطقة، المثلة لغور الاردن ، خلال العصور الاسلامية عامة والعصر الاموي خاصة . وتبين من خلال مسح هذه المنطقة أثريا ، ان موقعا واحدا فيها ، قد أظهر على سطحه مخلفات حضارية تعود للعصر الاموي ، وهو موقع تل قدسية . ولذلك اقتضت الحاجة الى اجراء حفريات أثرية فيه ، أظهرت ان هذا الموقع قد استوطن في الفترات التالية :

أ ــ العصر العثماني : لقد اظهرت مخلفات هذه الفترة في السوية العلوية من هذا الموقع ، وهي تمثل اجزاء لجدران مبنية من الحجارة المتوسطة الحجم ، وشقف فخارية مزججة وأخرى بصناعة يدوية « Village Ware » . كما عثر على قطعة عملة فضية في هذه السوية تحمل اسم السلطان العثماني سليمان بن سليم ( ٩٢٦ — ٩٧٤ هـ ) .

ب ــ العصر الايوبي / المملوكي : لقد عثر على السوية المثلة لهذا العصر اسفل سوية العصر اللاحق . كما عثر عليها في جميع مربعات الحفر ، وفي القاطع الراسية المتواجدة في الموقع ، كنتيجة لتجريف أجزاء منه لأغراض الزراعة المروية . وبالرغم من عدم العثور على قطع عملة في هذه السوية ، تعود لهذه الفترة ، الا أن الدراسة المقارنة للشقف الفخارية المزججة ، وتلك المصنعة محليا « Village Ware » تثبت صحة

تأريخها . أما المنشآت المعمارية الممثلة لهذه الفترة فقد جاءت على شكل اجزاء لجدران مبنية من الطوب الطيني .

جـ ـ العصر العباسي / الفاطمي : عثر على سوية هـذا العصر اسفل سوية المرحلة السابقة، في جميع مربعات الحفر . مثلت هذه الفترة بالقطع الفخارية المزججة واللامعة «Luster Ware » والشقف الفخارية المعروفة باسم « Raqqa Ware »

د ـ عثر على السوية الممثلة لهذه الفترة في المربعين ١ و ٢ . وقد مثلت هـذه الفترة منشآت معمارية بنيت بالطوب الطيني . كما يظهر من خلال دراسة مادة البناء المستعملة في المنشآت المعمارية أن هنالك فترة مبكرة لهذا العصر . استعملت فيها الحجارة كمادة بناء . ويبدو أن هذه الحجارة قد أعيد استخدامها من المرحلة السابقة ـ البيزنطية ـ . كما عثر على مجموعة كبيرة من الشقف الفخارية العائدة لهذه الفترة، قورنت مع مثيلات لها ، عثر عليها في عدة مواقع ، نذكر منها طبقة فحل وجرش . كما عثر على طابون في المربع رقم ١ ، يعود لهذه الفترة ، ليدل ذلك أن السوية الممثلة لهذه الفترة في هذا المربع تقع في ساحة أحد البيوت السكنية .

هـ ـ العصر البيزنطي : لقد عثر على السوية الممثلة لهذه الفترة أسفل السوية الممثلة للمرحلة اللاحقةفي المربعين ١ و ٢ . ولقد مثلث هذه الفترة بجدران مبنية مـن الحجارة المشذبة وارضيات من البلاستر ، ومجموعة كبيرة مـن الشقف الفخاريـة العائدة لهذا العصر .

وقد اقتضى الهدف من الحفريات الاثرية في هذا الموقع، توقف الباحث عن الحفر الراسي في جميع المربعات والمقاطع مع عثوره على المخلفات الحضارية المنسوبة للعصر البيزنطي ، ولذلك لم يتوصل الى أرضية الموقع البكر ، ولذلك تبقـى معرفتنا عـن فترات الاستيطان المبكرة بالموقع مجهولة .

**٢ ـ ذراع الخـان(٧١) :**

يقع موقع ذراع الخان على بعد ٢ كم للجنوب الشرقي من تل الشونة الشمالي، وعلى بعد حوالي ١٥كم للشمال من موقع طبقة فحل وعلى بعد ٣٣كم الى الغرب من مدينة اربد . دلت المسوحات الاثرية السابقة على تواجد بقايا منشأة معمارية كبيرة، أعتقد على انها تمثل خانا يعود للعصر المملوكي أو العثماني(٧٢) .

رمت الحفريات الاثرية التي أجراها كاتب هـذا التقرير في هذا الموقع التوصل الى الاهداف التالية : ١ ـ الحصول على تأريخ دقيق لهذه المنشأة المعمارية وتوضيح وظيفتها ، ٢ ـ محاولة ايجاد مميزات دقيقة تفصل المخلفات الحضارية العائدةللعصر المملوكي عن تلك التي تعود للفترة السابقة أو اللاحقة لها ، ٣ ـ تحديد أثر خطـوط التجارة على أنظمة وكثافة الاستيطان القروي في غور الاردن . ومن أجل تحقيق هذه الاهداف ، اعتمد الباحث ثلاث طرق للحفر في هذا الموقع ، هي : ١ ـ طريقة الحفر الراسي في المربعات C1 ، C2 ، B6 ، B9 ، B10 ، ٢ـ طريقة الحفر الافقي فيالمربعات D1 ، D2 ، D3 ، D4 ، D5 ٣ ـ اعادة القطع الراسي للمقاطع الموجودة بالموقع، وتشمل : B-Tr1 ، B-Tr 2 و C-Tr 2 ، C-Tt3 ، C-Tr4 .

وتم حفر ما مساحته ٣١٢م٢ والى عمق حوالي ٥ر٢م ، وذلك باستخدامطريقتي الحفر العمودي ، واعادة القطع الراسي ، و ١١٠م٢ وذلك باستخدام طريقة الحفـر الافقي .

لقد عثر الباحث في هـذا الموقع على ١٢٤ قطعة عملة ، التقطت ١٧ منهـا على السطح ، كان لها أهمية كبيرة في تأريخ المخلفات الحضاريـة الاخرى بدقـة كبيرة . وتراوح تأريخ قطع العملة التي عثر عليها في طبقات أثرية ما بين فترة حكم السلطان قلاوون ( ١٢٨٠ ـ ١٢٩٠م ) والسلطان جقمق ( ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م ) . أما قطع العملة التي تعود لفترات متأخرة ، كفترة حكم السلطان قانصوة الغوري ( ١٥٠١ ـ ١٥١٦م ؛ والسلطان العثماني مراد الثالث ( ١٥٧٤ ـ ١٥٩٥م ) فقد جاءت من سطح الموقع .

لقد جاء المخطط العام لهذه المنشأة المعمارية مستطيل الشكل ( ٦٤×٥٤م ) . بنيت جدرانها بصفين من الحجارة المشذبة ، واستخدم الملاط الكلسي في تثبيتها . دُعمت هذه الجدران بدعامات حجرية مربعة أو مستطيلة الشكل أحيانا . ويستدل من خلال دراسة الشقف الفخارية ، استخدم الجناح الشمالي لهذه المنشأة لأغراض التخزين ، حيث عثر فيه على أعداد كبـيرة من الشقف الفخاريـة الخاصة بجـرار التخزين ، في حين عثر على الاطباق المزججة وجرار الطبخ في حجرات الجناح الشرقي، ليدل ذلك على أن هذا الجناح قد استخدم لأغراض السكن . وأما الجناحان الآخران الجنوبي والغربي ، فلم نتمكن من تحديد وظيفتهما ، ولعل الحفريات المستقبلية فيه توضح هذه الوظيفة .

ومن خلال دراسة قطع العملة التي وجدت على الارضيات ، ودراسة الاختلافات الموجودة في البناء ، من حيث الاضافات ، تبين أن هذه المنشأة ( الخان ) قد بنيت ،

او اعيد بناؤها ، في مرحلتين : تعود الاولى الى فترة حكم السلطان قلاوون ( ١٢٨٠ — ١٢٩٠م ) والثانية الى الفترة الثالثة من حكم السلطان الناصر محمد (١٣١٠—١٣٤٠م). كما يبرز العثور على شقف فخارية مستوردة من سوريا ومصر والعثور على قطعتي عملة صليبية وقطعة عملة الخانية ، أهمية هذا الموقع على خطوط التجارة الواصلة بين دمشق والقاهرة في العصر المملوكي .

ومن الجدير ذكره أيضا ، أن المحطات التجارية ــ الخانات ــ الواقعة على الخط التجاري الواصل بين حاضرتي العالم الاسلامي في العصر المملوكي ، دمشق والقاهرة ، قد ذكرت من قبل بعض المؤرخين المسلمين كالقلقشندي(٧٣) وابن تغري بردي(٧٤) ، ومن هذه المحطات التي ذكرها هؤلاء المؤرخون على هذا الخط ، محطة القصير (الشونة الشمالية ) . وبما انه لم ترصد لنا المسوحات الاثرية السابقة في منطقة الشونة الشمالية ، اواقعة على بعد ٥ر١كم للشمال الغربي من موقع ذراع الخان عن أي منشأة معمارية تعود لهذه الفترة يحتمل ان تكون خانا ، غير موقع ذراع الخان فانه يعتقد بأن محطة القصير هي نفسها موقع ذراع الخان . ولقد اهتم سلاطين المماليك وأمراؤهم بهذا الخط التجاري ، خاصة الامير الدمشقي سيف الدين تنكيز ، والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لانشاء هذا الخط التجاري في عام ١٣٤٠م .

## المعطيات التاريخية لغور الاردن الشمالي من خلال الاعمال الاثرية الميدانية

عثر على الادوات الحجرية التي صنعها انسان المرحلة الاولى من العصر الحجري القديم ( ٠٠٠ر٥٠٠ر١ — ٠٠٠ر١٠٠ سنة من الان ) في عدة مواقع تقع على قمة المرتفعات المطلة على غور الاردن كموقع تل أبو هابيل(٧٥) الذي يقع على بعد ٥ر٣ كم الى الشمال من منطقة سليخات وفي موقع تل ابو الخس(٧٦) ، الذي يقع على بعد ١٧ كم الى الشمال من منطقة سليخات ، وعلى بعد حوالي ١٠ كم الى الجنوب الشرقي من منطقة جسر الشيخ حسين . اما الادوات الصوانية التي تعود للمرحلة الثانية من العصر الحجري القديم ( ٠٠٠ر١٠٠ — ٠٠٠ر٤٠ سنة من الان ) فقد عثر عليها في عدة مواقع واقعة على المرتفعات المطلة على غور الاردن ، وبين منطقتي سليخات وجسر الشيخ حسين ، نذكر منها السخنة والمرزة الجنوبية ومنحدرات تل ابو علوية(٧٧) . كما ظهرت الادوات الصوانية التي تعود للمرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم ( ٠٠٠ر٤٠ — ٥٠٠ر١٧ سنة من الان ) في عدة مواقع تقع أيضا على المرتفعات المطلة على غور الاردن بين منطقتي سليخات وجسر الشيخ حسين ، نذكر منها وادي المرزة ووادي ابو علوية(٧٨) ، كما ظهرت هذه الادوات بالقرب من طبقة فحل وعلى بعد حوالي ٧ كم للجنوب الشرقي من طبقة فحل كما في وادي الحمة، المواقع رقم ٣٢ و ٣٤(٧٩). تميزت المرحلة اللاحقة من العصر الحجري القديم ( المرحلة الانتقالية بين الانسان

الصياد والانسان المنتج ) ، ( ١٧٫٥٠٠ ـ ٨٫٥٠٠ ق.م ) بظهور أدوات حجرية جديدة كالمناجل والسهام ، وأدوات ثقيلة للهرس والجرش ، بالاضافة الى أبنية حجرية تعكس لنا مدى تفاعل انسان هذه الفترة مع تغيرات جديدة في بيئته الطبيعية ، ومعطياتها ، بالاضافة الى انتهاء العصور الباردة(٨٠) . ولعل أشهر المواقع الاثرية المكتشفة على المرتفعات المطلة على غور الاردن ، التي تعود لهذه الفترة موقع وادي الحمة رقم ٢٦ . كشفت التنقيبات الاثرية في هذا الموقع عن بقايا لمنشآت معمارية دائرية وبيضاوية الشكل ومجموعة كبيرة من الادوات الصوانية والآنية البازلتية(٨١) .

لم تسجل لنا المسوحات الاثرية السابقة أو الحالية في منطقة البحث عن تواجد للادوات الصوانية التي صنعها انسان العصور الحجرية القديمة ، تلك التي تسبق الالف التاسعة قبل الميلاد . ولعل انسان هذه الفترة كان يرتاد أو يعيش في مناطق أكثر ارتفاعا ، أي تلك المناطق التي تعدت حدود المسح لأرضية غور الاردن . ومما يؤكد ذلك ، ان الادوات الحجرية التي صنعها انسان العصر الحجري القديم ، قد عثر عليها على قمة المرتفعات المطلة على غور الاردن ، حيث انه من المعتقد أن غور الاردن حتى نهاية هذه الفترة ، كانت تغطيه بحيرة ، دعيت ببحيرة اللسان(٨٢) .

تميزت فترة العصر الحجري الحديث ( ٨٫٠٠٠ ـ ٤٫٠٠٠ قبل الميلاد ) بظهور القرى الزراعية في جنوب بلاد الشام . وطور انسان هذه الفترة أدواته الحجرية ومنشآته المعمارية لتتناسب ومعطيات حياته الاقتصادية الجديدة ، التي تعتمد بشكل رئيسي على الزراعة ـ كما صنع انسان المرحلة الاخيرة من هذا العصر ـ المرحلة اليرموكية ـ آنية فخارية ، تعتبر الاقدم تاريخا من نوعها في المنطقة(٨٣) . وقد بينت الحفريات الاثرية في غور الاردن ، أن انسان هذه الفترة قد سكن داخل حفر بيضاوية الشكل ، وقد عثر على هذه المساكن في مواقع عدة ، نذكر منها تل الشونة الشمالي(٨٤) وابو هابيل(٨٥) ، وغروبة(٨٦) ، وتليلات غسول(٨٧) . كما كشفت المسوحات الاثرية السابقة عن وجود نسبة استيطان مرتفعة تعود للعصر الحجري الحديث(٨٨) . ولقد سجل جلوك موقعا أثريا واحدا في منطقة البحث وقد ظهر على سطحه أدوات حجرية تعود للعصر الحجري الحديث(٨٩) ، بينما سجل معاوية ابراهيم ورفاقه ٣٣ موقعا أثريا ( تمثل ما نسبته ٣١٫٣٪ من مجموع المواقع المسجلة في منطقة البحث ) ظهر على سطحها مخلفات حضارية تعود للعصر الحجري الحديث/العصر الحجري النحاسي(٩٠) . اما في منطقة جسر الشيخ حسين فقد عثر على المخلفات الحضارية العائدة لهذه الفترة في أربعة مواقع ، كما ظهرت هذه المخلفات في أربعة مواقع أيضا في منطقة سليخات(٩١) .

يعزو دارسو فترات العصر الحجري القديم ـ المرحلة الاخيرة ( ١٩٫٠٠٠ ـ

.......................................................................................................

١٠٠٠ر١٠ قبل الميلاد ) ، والعصر الحجري الحديث ، تحركات الانسان من المناطق المرتفعة ــ الجبال المطلة على غور الاردن ــ الى المناطق المنخفضة ــ سهل الغور ــ الى الجفاف الذي صاحب هاتين الفترتين(٩٢) . ويظهر ذلك من خلال توزيع مواقع العصور الحجرية ، حيث وجد أن هناك تدرجا تنازليا في مواقع استيطان الانسان من المناطق المرتفعة الى المناطق المنخفضة . ان التوزيع المكاني للمواقع التي أظهرت مخلفات حضارية تعود للعصر الحجري الحديث في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات ــ حيث ظهرت هذه المواقع على السفوح المطلة على قرية سليخات في منطقة سليخات ، وعلى التلال الواقعة في السهل الغوري في منطقة جسر الشيخ حسين ــ يتفق مع ما ذهب اليه كوكي وسميث(٩٣) من وجود بحيرة تغطي السهل الزوري في هذه الفترة ، أسمياها بحيرة بيسان ، التي أخذت تجف في الفترات اللاحقة ــ العصر الحجري النحاسي والعصر البرونزي المبكر ــ لتشكل مستنقعات مائية صغيرة الحجم . كما يستدل من كثرة المواقع الاثرية التي تعود للعصر الحجري الحديث في منطقة البحث عن ملاءمة هذه المنطقة مناخيا ووفرة المصادر الغذائيه اللازمة لاعاشة سكان مجموعة من القرى الصغيرة .

ظهر في الفترة التالية ــ العصر الحجري النحاسي ٤٠٠٠ ــ ٣٢٠٠ ق.م ــ توسع ملحوظ لقرى الالفين السابع والسادس قبل الميلاد ، ويتضح ذلك جليا من خلال استعراض المساحة الاجمالية لمواقعها ، كما هو عليه الحال في موقعي تل أبو حامد وتليلات غسول . وأخذت هذه المواقع ، وحسب موقعها الجغرافي ، ووفرة مصادرها المائية والزراعية والرعوية ، تشكل نواة لتكوين نظام دويلات المدن في الفترة اللاحقة ــ العصر البرونزي المبكر ، كما تميز انسان العصر الحجري النحاسي ، الذي عاش في غور الاردن ، بأنه بنى لنفسه بيوتا مستطيلة الشكل من اللبن الطيني المرفوع على أساسات حجرية ، وفوق مستوى سطح الارض ، بدلا من استعمال الحفر كبيوت سكنية في العصر السابق . كما عثر على ساحات مكشوفة أمام هذه البيوت ، مورست فيها النشاطات اليومية المتعددة . وكشف عن هذه البيوت في موقعي تل أبو حامد(٩٤) وتليلات غسول(٩٥) . كما لجأ انسان هذه الفترة للعيش داخل الكهوف ، حيث ظهرت المخلفات الحضارية العائدة لهذه الفترة في كهوف سحاب ، حيث عثر المنقب في هذه الكهوف على مجموعة سويات متتالية تعود لهذه الفترة ، واستدل الباحث من ذلك أن الاستيطان فيها كان موسميا(٩٦) .

سجلت المسوحات الاثرية السابقة لغور الاردن أعدادا كبيرة من المواقع التي اظهرت مخلفات حضارية تعودللعصر الحجري النحاسي . وجاءت هذه المواقع موزعة ما بين المرتفعات المطلة على غور الاردن وحتى التلال المنخفضة ( الكتار ) الموجودة أسفل

السهل الغوري والمشرفة على السهل الفيضي ( الزور ) المجاور لنهر الاردن . ولقد عثر جلوك على المخلفات الحضارية العائدة للعصر الحجري النحاسي على سطح ثمانية مواقع(٩٧) ( تمثل ما نسبته ٨ر١٣٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ) . اما معاوية ابراهيم ورفاقه فقد سجلوا (٣٣) موقعا أثريا(٩٨) ( تمثل ما نسبته ٣ر٣١٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ) وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية تعود للعصر الحجري النحاسي .

وتؤيد نتائج المسوحات الاثرية في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات ، ارتفاع نسبة المواقع المسجلة فيها ، والتي اظهرت مخلفات حضارية تعود للعصر الحجري النحاسي ، ففي منطقة جسر الشيخ حسين ، سجلت اربعة مواقع اثرية وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية تعود لهذه الفترة(٩٩) ، في حين سجلت ثمانية مواقع أثرية في منطقة سليخات تعود لهذه الفترة(١٠٠) .

كما عثر على مجموعة من الكهوف على السفح الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي لقرية سليخات . ونظرا للعثور على ادوات حجرية وشقف فخارية تعود لهذه الفترة ، والفترة السابقة بالقرب من هذه الكهوف ، فانه يحتمل انها قد سكنت من قبل الانسان الذي عاش في العصر الحجري الحديث / العصر الحجري النحاسي .ان معرفتنا الحالية عن النمط المعيشي والحياة الاقتصادية للانسان الذي استخدم الكهوف للسكن في العصر الحجري النحاسي محدودة جدا ، فهل قام انسان هذه الكهوف في هذه الفترة بالزراعة أم أنه اعتمد في حياته الاقتصادية على الرعي ، وماهي العلاقة الاقتصادية بين ساكني الكهوف وساكني البيوت الطينية المستطيلة في هذه الفترة ؟ ، ان الدراسات التي تعالج مثل هذه الفرضيات لم تظهر بعد ، وعلى ذلك يقترح الكاتب اجراء حفريات أثرية في احد كهوف منطقة سليخات ، لاجراء المقارنة اللازمة مع موقع تل ابو حامد ، الذي يقع على بعد ٥ر٢كم الى الغرب من قرية سليخات .

سكن انسان المرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر ( ٣٢٠٠ — ٢٩٠٠ قبل الميلاد ) في بيوت مبنية من الطوب او الحجر وفي مستوطنات صغيرة المساحة ، غير مسورة ، حيث جاءت هذه القرى بالقرب من المصادر المائية وفي أماكن يسهل الدفاع عنها . وتجدر الاشارة الى ان انسان هذه الفترة اعتمد في حياته الاقتصادية على الزراعة (١٠١) .

ظهرت المخلفات الحضارية العائدة للمرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر في عدة مواقع في منطقة البحث ، نذكر منها تل الشونة الشمالي(١٠٢) وتل السعيدية(١٠٣)

وتل حندقوق(١٠٤) كما أظهرت المسوحات الاثرية السابقة زيادة ملحوظة في نسبة الاستيطان في منطقة البحث خلال المرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر . فقد سجل جلوك أربعة عشر موقعا(١٠٥)، تمثل ما نسبته ١ر٢٤٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد ظهر على سطحها مخلفات أثرية تعود لهذه المرحلة . أما بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥م ، فقد سجلت ثمانية وأربعين موقعا(١٠٦) ، تمثل ما نسبته ٨ر٤٥٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية عائدة للمرحلتين الاولى والثانية من العصر البرونزي المبكر . كما عثر على شقف فخارية عائدة للمرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر في موقعين ، تل فندي ( الموقع A ) وتل الاربعين ( الموقعين G ، F ) ، في منطقة جسر الشيخ حسين (١٠٧) . أما في منطقة سليخات فقد عثر على شقف فخارية عائدة للمرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر في موقع تل حندقوق(١٠٨) .

نمت بعض القرى التي ظهرت في المرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر لتصبح مدناً كبيرة في المرحلتين التاليتين من العصر البرونزي المبكر ( ٢٩٠٠ــ٢٣٠٠ ) قبل الميلاد . كما ظهرت في هاتين المرحلتين أنظمة سياسية واقتصادية متطورة شكلت النواة الاولى لنشوء ما يدعى بنظام « دول المدن » حيث يبدو ان هناك مجموعة عوامل سياسية واقتصادية ودينية وراء تطور مجتمع القرية في المرحلة الاولى من العصر البرونزي المبكر الى مجتمع المدينة في المرحلتين التاليتين لها(١٠٩) . بنيت حول هذه المدن أسوار حجرية عريضة ، تصل الى سبعة أمتار ، ويتخللها مجموعة ابراج دفاعية وتليها من الخارج جدران استنادية ، كما هو الحال في موقع الزيرقون ، الواقع على بعد ١٢كم للشرق من مدينة اربد(١١٠) . أجريت في غور الاردن حفريات اثرية في عدة مواقع تعود لهذه الفترة ، نذكر منها تل السعيدية(١١١) وتل ابو الخرز(١١٢) .

وقد كشفت المسوحات الاثرية السابقة عن تواجد المخلفات الحضارية العائدة للمرحلة الثانية من العصر البرونزي المبكر في مواقع عدة ، فقد سجل جلوك سبعة مواقع(١١٣) ، تمثل ما نسبته ١ر١٢٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية عائدة لهذه المرحلة . كما سجلت بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥م(١١٤)، ثمانية وأربعين موقعا، تمثل مانسبته ٨ر٤٥٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، تعود لهذه المرحلة . أما في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات فقد رصدت مواقع كبيرة الحجم تحيط بها مجموعة من المواقع الصغيرة ، التي تعود لهذه المرحلة . ان اكبر المواقع المسجلة في منطقة جسر الشيخ حسين هو تل الاربعين ( لم تجر في هذا الموقع اية حفريات اثرية) وقد ظهر على سطحه كثافة واضحة للمخلفات الحضارية العائدة للعصر البرونزي

المبكر . يحيط بهذا الموقع عدة مواقع صغيرة ، تعود لهذا العصر ، هي : خربة سليم اليوسف ؟ المواقع E ، D ، C ) وخربة الشيخ محمد ( الموقع M ) . اما في منطقة سليخات ، فقد ظهر تل حندقوق ، الموقع المحصن الوحيد ، والعائد لهذه المرحلة ، وتحيط به مجموعة من المواقع الصغيرة المساحة غير المحصنة . هي مقبرة سليخات ، وتل أبو العقارب ، وتل هجيجة ، وتل أبو البعر . جاءت المواقع الصغيرة ( القرى الزراعية ) في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات تحيط بالمدينة الام ، تل الاربعين وتل حندقوق ، لتزودها بالمنتوجات الزراعية والثروات الحيوانية .

إنهار نظام « دول المدن » في المرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر ( ٢٣٠٠- ٢٠٠٠ قبل الميلاد ) ، وانتقل الناس من الحياة داخل مدن مسورة الى مواقع أخرى اشبه ما تكون بالمخيمات . يرى بعض دارسي هذه الفترة ان تدمير المدن المسورة ناتج عن هجمات متتالية لقبائل بدوية على مراكز التمدن ، دعيت بالقبائل الامورية(١١٥). ويرى فريق آخر أن هذا التحول في النمط المعيشي راجع الى الاخلال بالعلاقة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين المجتمع الرعوي ومجتمع المدينة(١١٦) بينما يرى آخرون أن هذه الفترة شهدت كوارث طبيعية كالجفاف والزلازل ، الامر الذي ادى الى تحول في النمط المعيشي وهجرة المدن المسورة(١١٧) .

كما يرى فريق من المشتغلين بحقل الآثار وبناء على الدراسات المقارنة ، أن هناك مجموعات بشرية آتية من القوقاز عبر سوريا الى جنوب بلاد الشام خلال هذه الفترة ، حاملة معها تراثا حضاريا جديدا(١١٨) . كما درس براغ التوزيع المكاني لمواقع هذه الفترة في جنوب بلاد الشام ، ووجد أن مواقع هذه الفترة قد جاءت في المناطق التي تسقط عليها الامطار وبمعدل سنوي ما بين ٣٠٠ — ٣٥٠ ملم . وبناء على ذلك ، يرى هذا الباحث أن المردود الزراعي مثل جزءا هامشيا من الحياة الاقتصادية لانسان هذه الفترة ، بينما مثلث الرعاية الجزء الاساسي لها(١١٩) .

أظهرت الحفريات الاثرية في غور الاردن ، المخلفات الحضارية العائدة لهذه المرحلة في عدة مواقع ، نذكر منها تل أبو النعاج(١٢٠) وطوال الشرقي(١٢١) وتل أم حماد(١٢٢) وتل اكتانو(١٢٣) . توزعت مواقع هذه الفترة على المرتفعات المطلة على غور الاردن والهضاب ( الكتار ) الموجودة على أرضية غور الاردن ، وبالقرب من مصادر المياه والاودية(١٢٤) . أظهرت المسوحات الاثرية السابقة في منطقة البحث انخفاضا في نسبة المواقع الممثلة لهذه الفترة. فقد سجل جلوك عشرة مواقع(١٢٥)، تمثل ما نسبته ١ر١٢٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، أما بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥ ، فقد سجلت ٢٥ موقعا(١٢٦) ، تمثل ما نسبته ٦ر٢٣٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد أظهرت على سطحها مخلفات حضارية عائدة

لهذه المرحلة . ظهرت المخلفات الحضارية العائدة للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر في موقع واحد ، خربة سليم اليوسف ( الموقع E ) ، في منطقة جسر الشيخ حسين . كما ظهرت هذه المخلفات في موقعين بمنطقة سليخات هما : مقبرة سليخات ، وتل مرار(١٢٧) . كما يظهر من خلال تفحص المقاطع الراسية لبعض الخنادق الموجودة على سطح موقع تل مرار ، أن الشقف الفخارية ، العائدة للمرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر ، قد وجدت على الارضية البكر ، ليدل ذلك على ان هذا الموقع قد استوطن لأول مرة خلال هذه الفترة . ويبدو من البقايا المعمارية الظاهرة على السطح، أن سكان هذا الموقع، خلال هذه الفترة ، قد بنوا لأنفسهم بيوتا ذات أساسات حجرية، وبذلك يعتبر هذا الموقع من المواقع الهامة في غور الاردن .

شهدت الفترة التالية ــ العصر البرونزي الوسيط ٢٠٠٠ ــ ١٥٠٠ قبل الميلاد ــ توسعا لمفهوم دول المدن ، الذي ظهر في المرحلتين الثانية والثالثة من العصر البرونزي المبكر ، لما يدعى « بامارات الدول » . أرجع بعض دارسي هذه الفترة ظهور هذا النظام في جنوب بلاد الشام الى قدوم جماعات بشرية جديدة للمنطقة من الساحل السوري او عبر سوريا تدعى بالعموريين والهكسوس(١٢٨) . كما يعزى لهذه الجماعات ايجاد نظام تحصيني جديد مثل الاسوار الحجرية المحيطة بالمدن والبوابات ذات المداخل المتعددة والجدران الطينية الزلقة(١٢٩) . كما شهدت هذه الفترة في جنوب بلاد الشام، وجود علاقات تجارية واسعة مع ساحل بلاد الشام ومصر(١٣٠) . وظهرت في نهاية هذه الفترة حملات عسكرية مصرية منظمة الى جنوب بلاد الشام ، ادت الى القضاء على سلطة الهكسوس(١٣١) . ومن مصادر معرفتنا عن هذه الفترة ، النصوص المصرية المعروفة بنصوص اللعنات . يصف أحد هذه النصوص طبقة فحل والسهل الغوري المجاور لها من الناحية الغربية بما يلي « هي منطقة تلال رملية تشرف على منطقة زراعية خضراء »(١٣٢) وبذلك فان هذا النص يشير بشكل واضح الى النشاط الزراعي الواسع في غور الاردن خلال هذه الفترة .

اظهرت التنقيبات الاثرية في منطقة البحث عن المخلفات الحضارية العائدة للعصر البرونزي الوسيط في موقع تل الحيات(١٣٣) وتل السعيدية(١٣٤). كما بينت المسوحات الاثرية السابقة ان عدد المواقع الاثرية التي أظهرت مخلفات تعود للعصر البرونزي الوسيط في منطقة البحث تساوي تقريبا عدد المواقع العائدة للفترة السابقة . فقد سجل جلوك عشرة مواقع(١٣٥) ، تمثل ما نسبته ١٧٫٢٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد ظهر على سطحها مخلفات تعود لهذه الفترة . اما بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥(١٣٦) ، فقد سجلت في منطقة البحث ٢٤ موقعا ، تمثل ما نسبته ٢٢٫٦٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، تعود لهذه

الفترة . كما ظهرت المخلفات الحضارية العائدة للعصر البرونزي الوسيط في منطقة جسر الشيخ حسين في ثلاثة مواقع هي : تل الاربعين ( الموقع F ) ، وخربة الشيخ محمد ( الموقع L ) ، وخربة الشيخ محمد ( الموقع M ) وظهرت هذه المخلفات في منطقة سليخات في موقع واحد وهو مقبرة سليخات(١٢٧) . ولقد توزعت مواقع هذه الفترة ما بين المرتفعات المطلة على غور الاردن وحتى السهل الفيضي ـ الزور المجاور لنهر الاردن (١٢٨) . كما جاءت مواقع هذه الفترة في غور الاردن صغيرة الحجم وبدون اسوار دفاعية ، ليدل ذلك على أنها قرى زراعية .

خضعت منطقة جنوب بلاد الشام للسيطرة المصرية التامة خلال المرحلة الاولى من العصر البرونزي المتأخر ( ١٥٠٠ ـ ١٤٠٠ قبل الميلاد ) ، وذلك نتيجة لحملات عسكرية متتالية على هذه المنطقة(١٣٩) . وبالرغم من عدم ذكر المصادر الكتابية المصرية لاعمال تدمير من قبل الجيش المصري في جنوب بلاد الشام(١٤٠) ، الا أن بعض الدارسين الاثريين يرون أن هذا الجيش اللاحق لفلول الهكسوس في المرحلة الاخيرة من العصر البرونزي الوسيط ، قد دمر بعض مدن هذه الفترة في جنوب بلاد الشام(١٤١) . اما في الفترة الثانية من العصر البرونزي المتأخر ، والمسماة في مصر بعضر العمارنة، ( ١٤٠٠ ـ ١٢٠٠ قبل الميلاد ) فقد شهدت منطقة جنوب بلاد الشام ثورات متتالية ضد السلطة المصرية ، أو تلك المتعاونة معها . نذكر من هذه الثورات ، ثورة مدن الغور الشمالي ، المؤلفة من تحالف امراء مدن الحمة وبيسان وطبقة فحل ، ولكن تمكن الفرعون المصري سيتي الاول ( ١٢٩٤ ـ ١٢٧٩ قبل الميلاد ) من القضاء على هذا التحالف ، وخلد انتصاره هذا على مسلة تذكارية عثر عليها في بيسان(١٤٢). ومن مصادر معرفتنا التاريخية عن هذه الفترة ، رسائل تل العمارنة ، التي توضح لنا ما آلت اليه منطقة جنوب بلاد الشام من دمار وخراب نتيجة للصراعات المحلية بين الامراء وغزوات القبائل البدوية على المناطق الزراعية والمدن في ظل غياب السلطة العسكرية المصرية او ارسال الامدادات العسكرية للمدن الموالية للسلطة المصرية(١٤٣). وبالرغم من هذه المؤشرات السلبية ، تشير المخلفات الاثرية المكتشفة في كثير من المواقع الى أن هذه المنطقة شهدت نشاطا اقتصاديا وتجاريا ملحوظا ، وامتد الاتصال التجاري بين مدن جنوب بلاد الشام ليصل الاناضول وجزر بحر ايجه ومصر(١٤٤) . فقد عثر على بعض الصناعات المستوردة من هذه البلدان أو تلك المقلدة لها في عدة مواقع في منطقة البحث ، نذكر منها تل السعيدية(١٤٥) .

اظهرت المسوحات الاثرية السابقة في منطقة البحث انخفاضا ملموسا في عدد المواقع الاثرية المثلة لهذه الفترة . فقد سجل جلوك ثمانية مواقع(١٤٦)، تمثل ما نسبته ١٤٫٨٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، تعود لهذه

الفترة . أما بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥م (١٤٧) ، فقد سجلت ستة عشر موقعا ، في نفس المنطقة ، تمثل ما نسبته ١,٥٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد أظهرت مخلفات حضارية تعود للعصر البرونزي المتأخر . كما عثر على شقف فخارية عائدة للعصر البرونزي المتأخر على سطح اربعة مواقع في منطقة جسر الشيخ حسين ، هي : تل الاربعين ( الموقعين F ، G ) ، وخربة الشيخ محمد ( الموقعين L ، M )(١٤٨) . اما في منطقة سليخات ، فقد ظهرت هذه المخلفات في موقع واحد ، هو : خربة سبيرة(١٤٩) .

يرى بعض دارسي فترة القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، أن مواقع هذه الفترة، الممثلة لنهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية المرحلة الاولى من العصر الحديدي ، اصبحت صغيرة المساحة كما قلت التحصينات الدفاعية المحيطة بها ، كما هو الحال في موقعي تل حسبان وتل العمري الواقعين للجنوب من عمان(١٥٠) . ورأى اخرون انه مع بداية العصر الحديد ( ١٢٠٠ — ١٠٠٠ قبل الميلاد ) ظهرت تغيرات كبيرة في المنتجات الفخارية وقل ظهور الفخار المنسوب للعصر البرونزي المتأخر(١٥١) .

تعتبر التوراة من المصادر التاريخية الرئيسة التي تزودنا بمعلومات هامة عن فترة العصر الحديدي ( ١٢٠٠ — ٣٣٠ قبل الميلاد ) ، حيث تصف المنازعات والحروب بين العبرانيين والسكان الاصليين لفلسطين — الكنعانيين — ومع ما تصفهم بالقادمين الجدد لفلسطين — الفلسطينيين — ومع ممالك شرق الاردن كالعمونيين والآدوميين والمؤابيين(١٥٢) .

ويعتبر نقش الملك المؤابي ميشع ، الذي عثر عليه في ذيبان ، مصدرا تاريخيا هاماً عن هذه الفترة ، حيث يروي هذا النقش علاقات الملك المؤابي — ميشع — مع مملكة الشمال العبرانية وعن منشآت معمارية له في المنطقة(١٥٣) .

ويبدو انه مع غياب السلطة العسكرية المصرية عن جنوب بلاد الشام مع بداية الالف الاول قبل الميلاد ، ظهرت فترة عسكرية جديدة تتركز في منطقة ما بين النهرين، متمثلة بالامبراطوريتين الآشورية والبابلية الحديثة . وأخذت هذه الدول ترسل حملات عسكرية متتالية الى بلاد الشام عامة . وتروي لنا الكتابات الآشورية والبابلية عن اخبار حملات عسكرية لملوك هاتين الدولتين ضد الممالك التي ظهرت في جنوب بلاد الشام ، وتلى ذلك حملات عسكرية فارسية على المنطقة(١٥٤) . وكنتيجة لذلك فقد تأثرت منطقة جنوب بلاد الشام بالتأثيرات الحضارية الآتية اليها من منطقة ما بين النهرين وبلاد فارس ، المتمثلة بالابنية التذكارية والقلاع العسكرية والمنتوجات

الفخارية(١٥٥) والاختام الاسطوانية التي عثر على مجموعة منها في حفريات تل المزار(١٥٦) الواقع في حدود منطقة البحث .

كشفت التنقيبات الاثرية في منطقة البحث عن تواجد المخلفات الحضارية العائدة للعصر الحديدي في عدة مواقع نذكر منها تل السعيديه(١٥٧) وتل أبو الخرز(١٥٨) كما كشفت المسوحات الاثرية السابقة في منطقة البحث عن زيادة كبيرة في نسبة الاستيطان خلال العصر الحديدي . فقد سجل جلوك(١٥٩) ٢١ موقعا ، تمثل ما نسبته ٢ر٢٦٪ من المواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية عائدة للعصر الحديدي . كما سجل فريق مسح غور الاردن عام ١٩٧٥(١٦٠) ، ثلاث وثلاثين موقعا ، تمثل ما نسبته ١ر٣١٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، تعود لهذه الفترة . كما ظهرت المخلفات الحضارية العائدة للعصر الحديدي في أربعة مواقع في منطقة جسر الشيخ حسين ، هي : تل الاربعين ( الموقعين F ، G ) ، وخربة الشيخ محمد ( الموقعين L ، G )(١٦١) . أما في منطقة سليخات ، فقد ظهرت مخلفات هذه الفترة في سبعة مواقع هي : السفح الشمالي الشرقي لقرية سليخات ، وتل أبو العقارب ، وتل دحنون ، وتل هجيجة ، وسفح تل هجيجة السفلى ، وتل أبو البعر ، وخربة سبيرة(١٦٢) .

ويبدو أن حالة عدم الاستقرار السابقة الذكر ، قد انعكس تأثيرها على المنشآت المعمارية العائدة لهذه الفترة في منطقة سليخات . فجاءت مواقع هذه الفترة محاطة بالأسوار التحصينية والابراج المربعة والجدران الاستنادية المستعرضة ، كما هو عليه الحال في مواقع تل دحنون ، وتل أبو العقارب ، وتل هجيجة .

شهدت بلاد الشام ومصر منذ بداية العقد الرابع قبل الميلاد غزوا حضاريا وثقافيا جديدا أتيامن بلاد اليونان (١٦٣) . وقد ابتدأ هذا الغزو بقدوم الاسكندر المقدوني الى الشرق بحدود عام ٣٣٢ قبل الميلاد . انقسمت امبراطورية الاسكندر الكبير بعد وفاته بين قادته العسكريين ، فكان نصيب الاسرة السلوقية شمال سوريا واما مصر وفلسطين فكانت تحت سيطرة الاسرة البطلمية . الا ان هذه الحدود بين الاسرتين لم تكن ثابتة ، نتيجة لاستمرار الحروب بينها(١٦٤) ، وبذلك وقعت كل من فلسطين والاردن بين قوتين متناحرتين ، مما كان له اثر سلبيعلى سير خطوط التجارة والامن العام بالمنطقة . انتعشت منطقةجنوب بلاد الشامفي الفترة الهللنستية المتأخرة، منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، وتأسست فيها مجموعة من المدن دعيت بالمدن العشر ، نذكر منها في غور الاردن طبقة فحل وبيسان(١٦٥) . واستمر انتعاش هذهالمدن ــ المدن العشر ــ خلال المرحلة الاخيرة من العصر الهللنستي وخلال الفترة الرومانية ( ٦٣ ق.م

— ٣٣٠م ). ونتيجة لذلك ، فقد ظهر هناك تمركز سكاني في هذه المدن ، وذلك نظرا لوجود ووفرة المرافق العامة فيها كالمعابد والحمامات والاسواق والملاعب ، كما هو عليه الحال في عمان (١٦٦) وجرش(١٦٧) .

كشفت التنقيبات الاثرية عن المخلفات الحضارية العائدة لهذه الفترة في عدد قليل من المواقع الاثرية ، نذكر منها موقع تل السعيدية(١٦٨) . الا أن التنقيبات الاثرية في مواقع اخرى بغور الاردن أكدت أن بعض المواقع الرئيسة قد هجرت مع بداية غزو الاسكندر المقدوني للمنطقة ، كما هو عليه الحال في موقعي تل المزار وتل دير علا. كما أن المسوحات الاثرية السابقة في منطقة البحث ، سجلت اعدادا قليلة تعود للعصر الهللنستي . فقد سجل جلوك(١٦٩) في منطقة البحث عشرة مواقع أثرية ، تمثل ما نسبته ٢ر١٧٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة ، تحمل مخلفات تعود للعصر الهللنستي . أما بعثة مسح غور الاردن(١٧٠) . فقد سجلت أربعة عشر موقعا ، تمثل ما نسبته ٢ر١٣٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة ، تحمل مخلفات ، تعود لهذا العصر . كما جاءت الانشاءات المعمارية العائدة لهذه الفترة ، والآتية من طبقة فحل — تل سبارطا ، على شكل قلعة عسكرية مستديرة(١٧١) . كما قسمت مواقع هذه الفترة ، التي سجلتها بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥ ، الى قسمين : الاول تركز وجودها على المنحدرات المطلة على غور الاردن ، واظهرت طابعا عسكريا ، ليستدل على انها مراكز لحاميات عسكرية ، كما في تل ابو علوبة الواقع على الطرف الجنوبي من بلدة المشارع ، اما القسم الثاني فيمثل مجموعة من المواقع الصغيرة الواقعة على ارضية الوادي ، لعلها تمثل قرى زراعية(١٧٢) . لم تسجل المسوحات الحالية في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات وجود المخلفات الحضارية العائدة للعصر الهللستي .

كما سجلت المسوحات الاثرية السابقة في منطقة البحث ، زيادة كبيرة في عدد المواقع التي اظهرت مخلفات حضارية عائدة للعصر الروماني ؟ ٦٣ ق.م — ٣٣٢م ) . فقد سجل جلوك ثمان وثلاثون موقعاً(١٧٣) ، تمثل ما نسبته ٥ر٦٥٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، تحمل مخلفات تعود للعصر الروماني ، اما بعثة مسح غور الاردن لعام ١٩٧٥ ، فقد سجلت ٥٠ موقعا(١٧٤) ، تمثل ما نسبته ٧ر٤٧٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية تعود لهذه الفترة ،وقد توزعت هذه المواقع على جميع أجزاء الوادي.

يبدو أن انتعاش المدن التي تأسست فيالفترة الهللنستية والتي استمر استيطانها في الفترة الرومانية ، قد صاحبها ظهور مجموعة كبيرة من القرى الزراعية التي تزودها

بمنتوجاتها الزراعية والحيوانية . اضافة الى انتعاش التجارة وطرق المواصلات التي تربط هذه المدن . ولم تكن منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات بعيدة عن هذه الطرق ، فقد عثر على الشواهد الحجرية الدالة على هذه الطرق ، على ارضية الغور في تل الاربعين وبالقرب من طواحين السكر والقرن وعلى وادي كفرنجةوعمتا (ابو عبيدة حاليا )(١٧٥) ، كما سجلت بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥م الشواهد الحجرية الدالة على هذا الطريق بالقرب من موقع سليخات ( الموقع رقم ٨٠ ) وفي موقع الحمرا ( الموقع رقم ٩٨ )(١٧٦) . تمكن متمان (Mittmann,S.) من قراءة النصوص المنقوشة على هذه الشواهد وأرجعها للقرنين الثاني والثالث الميلاديين(١٧٧) . وبالاضافة الى هذا الطريق التجاري ، المار عبر غور الاردن ، فقد رصدت شواهد حجرية أخرى على الطريق التجاري الواصل بين جرش وعجلون وطبقة فحل ، الذي يعود للقرن الاول الميلادي(١٧٨) . ان مرور طرق المواصلات عبر غور الاردن واستتباب الامن في الفترة الرومانية قد عكست أثرها على عدد القرى الزراعية في غور الاردن . وقد اكدت المسوحات الاثرية في منطقة سليخات ، هذه النتيجة ، حيث عثر على المخلفات العائدة للفترة الرومانية في ستة مواقع هي : السفح الجنوبي الشرقي لقرية سليخات ، وخربة هجيجة ، وسفح تل هجيجة السفلي ، وتل أبو البعر ، وتل مرار ، وخربة سبيرة . اما في منطقة جسر الشيخ حسين ، فقد عثر على مخلفات هذه الفترة في موقع واحد هو تل قدسية(١٧٩) .

واجهت الامبراطورية البيزنطية ( ٣٣٢-٦٣٦ ميلادي ) مجموعة مخاطر خارجية، فقد واجهت خطر الامبراطورية الساسانية في الشرق ، حيث تمكنت هذه الاخيرة من احتلال سوريا والاردن وفلسطين في بداية القرن السابع الميلادي(١٨٠) . كما فقدت الامبراطورية البيزنطية سيطرتها على شمال افريقيا حيث احتلتها قبائل الفندال الالمانية منذ بداية القرن الخامس الميلادي(١٨١) . وتمكنت القبائل القوطية الالمانية من احتلال ايطاليا منذ بداية القرن الخامس الميلادي(١٨٢) . اضافة الى ذلك هاجمت القبائل السلافية والبلغارية والهونية منطقة البلقان والعاصمة نفسها(١٨٣) .

وبالرغم من ذلك ، تشير المكتشفات الاثرية في الاردن ، زيادة كبيرة في عدد المواقع الاثرية التي تعود للفترة البيزنطية(١٨٤) . فقد استمر الاستيطان في المدن الرومانية وأسست أعدادا كبيرة من الكنائس(١٨٥) . كما سجلت المسوحات الاثرية السابقة في غور الاردن ، زيادة كبيرة في عدد المواقع التي اظهرت مخلفات حضارية تعود للعصر البيزنطي . فقد سجل جلوك في منطقة البحث، ٤٩ موقعا(١٨٦)، تمثل ما نسبته ٥ر٨٤٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة ، وقد ظهر على سطحها مخلفات تعود للعصر البيزنطي . أما بعثة مسح غور الاردن ١٩٧٥م ، فقد سجلت في منطقة البحث ٦٣

موقعا(١٨٧) ، تمثل ما نسبته ٤ر٥٩٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة ، وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية تعود للعصر البيزنطي . وايدت المسوحات الاثرية الاخيرة في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات هذه النتائج . حيث سجلت في منطقة جسر الشيخ حسين ، ثمانية مواقع ، وقد ظهر على سطحها مخلفات تعود لهذه الفترة(١٨٨). اما في منطقة سليخات فقد ظهرت المخلفات الحضارية العائدة للعصر البيزنطي على سطح تسعة مواقع(١٨٩) . ومن المكتشفات الهامة التي عثر عليها في منطقة سليخات ، معصرة للعنب وقد نحتت في الصخر الطبيعي ، في السفح الشمالي الشرقي لقرية سليخات . كما عثر الرحالة الالماني شتوير ناجل عام ١٨٩٨م(١٩٠) ، على بقايا معصرة زيتون في خربة هنيدة الواقعة على بعد ٢ر١ كم للشمال من قرية سليخات . ان العثور على مثل هذه المعاصر يدل بشكل واضح على أهمية شجرتي الزيتون والكرمة في الثروة الاقتصادية الزراعية لمنطقة سليخات خلال العصر البيزنطي . كما أن العثور على كنيسة في خربة هجيجة يعتبر من المكتشفات المعمارية الهامة في منطقة سليخات . وأرخت هذه الكنيسة ، اعتمادا على الشقف الفخارية وتخطيطها المعماري العام ، لنهاية الفترة البيزنطية ( القرن السادس الميلادي ) . كما يحتمل انها قد استخدمت خلال الفترة اللاحقة ــ الاموية ــ حيث عثر على شقف فخارية عائدة لهذه الفترة في المنطقة المحيطة بها . كما أن كثيرا من الكنائس البيزنطية قد استمر استخدامها في الفترة الاموية(١٩١)، نذكر منها في غور الاردن ، الكنيسة التي عثر عليها في الشونة الجنوبية(١٩٢) ، والتي تشبه في تخطيطها المعماري العام كنيسة هجيجة .

انتهى الحكم البيزنطي لغور الاردن على أثر هزيمة القوات البيزنطية في معركة فحل عام ١٣هـ / ٦٣٥م أمام قوات الفتح الاسلامي(١٩٣) ، كما دخلت فلسطين والاردن في الحكم الاسلامي بعد معركة اليرموك . ونتيجة لذلك فقد قسمت بلاد الشام الى خمس ولايات ، سميت كل واحدة منها باسم جند . دخل الجزء الشمالي لغور الاردن ضمن جند الاردن وعاصمته طبريا(١٩٤)، أما الجزء الجنوبي منه ( الذي يقع الى الجنوب من البحر الميت ) فقد دخل ضمن الاراضي التابعة لجند فلسطين . ويستدل من المعطيات الاثرية ــ التنقيبات والمسوحات الاثرية ــ الى استمرارية انتعاش جند الاردن خلال الفترة الاموية(١٩٥) . كما استمر استيطان المواقع الرئيسية للفترة السابقة ــ البيزنطية ــ في حين ظهر هناك انخفاض في عدد المواقع الصغيرة في الفترة الاموية عن تلك التي سكنت في الفترة البيزنطية ، ويظهر ذلك واضحا من خلال دراسة منطقة الكرك(١٩٦) .

ظهرت المخلفات الحضارية العائدة للعصر الاموي ( ٤٠-١٣٢هـ /٦٦١-٧٥٠م ) في عدة مواقع في غور الاردن نذكر منها تل قدسيه(١٩٧) وتل أبو قعدان(١٩٨) . ولقد سجل

المشرفون على مسح غور الاردن عام ١٩٧٥م ، تسعة عشر موقعا(١٩٩) ، وقد ظهر على سطها بقايا اثرية تعود للعصر الاموي ،وتوزع تواجدها على جميع اجزاء الوادي. كما ظهرت هذه المخلفات في موقعواحد ،تل قدسيه، في منطقة جسر الشيخ حسين، في حين ظهرت هذه المخلفات في اربعة مواقع فيمنطقة سليخات هي : قرية هجيجة ، وتل هجيجة ، وخربة عين البيضا ، وخربة سبيرة(٢٠٠) .

تمكن العباسيون من انهاء سلطة الامويين ونقل عاصمةا لخلافة الاسلامية من دمشق الى بغداد . اتصف العصر العباسي ( ١٣٢١–٧١٥هـ /٧٥٠–١٢٥٨م ) بسيطرة العناصر الاسلامية ، غير العربية ، على الدولة وضعف نفوذ السلطة منذ نهاية القرن التاسع الميلادي(٢٠١) وكنتيجة لذلك فقد تأسست مجموعة دويلات سيطرت على أجزاء متعددة من الدولةا لاسلامية ، نذكر منها الاغالبة والطولونية والسامانيةو الفاطمية والبويهية والسلاجقة(٢٠٢) .

دلت تقارير المسوحات والحفريات الاثرية في الاردن على تقلص واضح في المخلفات الاثرية المنسوبة الى الفترة العباسية. ودعا هذا الامر بعض المشتغلين في حقل الاثار الى وصف هذه الفترة في الاردن « بالفترة المظلمة » أو « عصر الانحطاط »(٢٠٣) ولكن اعتمادا على الحفريات الاثرية الاخيرة في مدينة طبقة فحل ثبث بطلان هذه النظرية(٢٠٤) .

وصف جغرافيو القرن العاشر الميلادي غور الاردن ، وذكروا كثرة قراه الزراعية(٢٠٥) ، كما وصفوا كثرة محاصيله الزراعية التي كانت تشكل جزءا هاما من صادرات بلاد الشام مثل النيلة والبلح والسكر والارز(٢٠٦) .

ظهرت المخلفات الاثرية العائدة للفترة العباسية في عدة مواقع بغور الاردن ،نذكر منها في منطقةالبحث موقعي تل قدسية(٢٠٧) وتل ابو قعدان(٢٠٨) . ويلاحظ من خلال نتائج المسوحات الاثرية السابقة انخفاضا شديدا في عدد المواقع المنسوبة للعصر العباسي . فقد سجل المشرفون على مسح غور الاردن عام ١٩٧٥م(٢٠٩) ، سبعة مواقع ، تمثل ماذسبته ٦ر٦٪ من المجموع العام لمواقع الاثرية المسجلة في منطقة البحث ، وقد أظهرت مخلفات حضارية عائدة لهذه الفترة . كما أمكن التعرف على المخلفات الحضارية العائدة للعصر العباسي / الفاطمي على سطح ثلاثة مواقع في منطقة جسر الشيخ حسين(٢١٠) . اما في منطقة سليخات فقد رصدت هذه المخلفات على سطح موقع واحد(٢١١) .

تمكن الصليبيون من تأسيس مجموعة ممالك في بلاد الشام ، وذلك منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي . وكانت المملكة اللاتينية في القدس من أشهرها ، حيث تمكنت من توسيع حدودها لتشمل الجزء الجنوبي من الاردن ، واقيمت فيه مجموعة من الحصون العسكرية(٢١٢) . وفي سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م أسس الايوبيون قلعةالربض في عجلون(٢١٣) . كما أسست مجموعة قلاع عسكرية صليبية على الممر الرئيسي الواصل بين دمشق والقاهرة عبر وادي الاردن ، نذكر منها قلعة طبريا وقلعة الطور وقلعة بيسان(١٢٤) كما أسست قلاع صليبية أخرى في الجزء الجنوبي من غور الاردن كقلعة أريحا وقلعة خربة المصرة(٢١٥) . وتتحدث بعض الوثائق الصليبية عن سيطرة المملكة اللاتينية على أجزاء من شمال الاردن مثل السواد ( الجزء الشمالي من غور الاردن ) وأم قيس وحرثا وزحر وبيت راس وسال والغور(٢١٦) .

ويبدو واضحا من خلال استعراض هذه النبذة التاريخية عن الفترة الصليبية ان غور الاردن قد خضع لسلطة المملكة اللاتينية في القدس . لكن لم يتمكن دارسو الاثار حتى الان من تمييز المخلفات الحضارية العائدة للفترة الصليبية عن تلك التي تعود للفترة التي سبقتها أو تلك التي لحقتها . وعلى ذلك لم تسجل لنا المسوحات الاثرية السابقة في غور الاردن تواجدا للمخلفات الحضارية العائدة لهذه الفترة كما لم يتمكن من تسجيل هذه المخلفات في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات .

يبدو ان النشاط الايوبي في تشييد القلاع العسكرية ، كقلعة الربض فيعجلون، قد ساهم في استتباب الامن في المنطقة المحيطةبها ، حيث كانت هذه المنطقة تحوي سبعة وعشرين خربة من ضمنها خربة عمتا ( أبو عبيدة ) . وقد ضمت هذه القرى ضمن اقطاع الامير عز الدين اسامة باني قلعة الربض(٢١٧) . ثم ازدهر غور الاردن بعد معركة حطين سنة ١١٨٧م ، ويتضح ذلك من كثرة المدن الادارية مثل بيسان وطبقة فحل والقصير ( الشونة الشمالية ) وعمتا ( ابو عبيدة حاليا ) ودامية واريحا وزغر ( غور الصافي )(٢١٨) . وقد شهد غور الاردن خلال الفترة اللاحقة ـ العصر المملوكي ( ١٢٥ ـ ١٥١٦م ) ازدهارا اقتصاديا ونموا سكانيا كبيرا نظرا لمرور طرق المواصلات الرئيسة في الدولة المملوكية والواصلة بين مدينتي دمشق والقاهرة خلاله(٢١٩) ، وهذا الامر ساعد على نقل المنتوجات الزراعية من غور الاردن الى مراكز التمدن وتقسيم غور الاردن الى مجموعة وحدات اقطاعية(٢٢٠) ، وانتعاش الزراعية الصناعية المتمثلة قصب السكر فيه(٢٢١) .

ان زراعة قصب السكر تتطلب جهودا بشرية منظمة ومدربة وكبيرة العدد ، لذلك فقد جلب الأمراءالايوبيون والمماليك أعدادا كبيرة للاشتغال بحقول قصب السكر

وبناء الطواحين ــ المعاصر ــ اللازمة لتصنيع السكر(٢٢٢) . ويستفاد من كثرة المكتشفات الاثرية التي تعود للفترة الايوبية / المملوكية على كثرة القرى الزراعية التي تعود لهذه الفترة ، فقد عثر على المخلفات الاثرية التي تعود لهذه الفترة في كثير من المواقع في غور الاردن ،نذكر منها ذراع الخان(٢٢٣) وتل ابو سربوط(٢٢٤) وتل قدسية(٢٢٥) وتل قعدان(٢٢٦) . كما سجلت بعثة مسح غور الاردن عام ١٩٧٥م ، ٥٩ موقعا(٢٢٧) ، تمثل ما نسبته ٥٥٫٦٪ من المجموع العام للمواقع المسجلة في منطقة البحث ، وقد ظهر على سطحها مخلفات تعود للعصر الايوبي / المملوكي . ولقد توزعت هذه المواقع على جميع اجزاء غور الاردن ، كما وصفت بعضها على انها قد أسست لاغراض تصنيع السكر ، وذلك من خلال العثور على كميات كبيرة من الشقف الفخارية التي تخص أواني تصنيع السكر أو العثور على انشاءات معمارية استخدمت كمعاصر لقصب السكر(٢٢٨) . أما في منطقة جسر الشيخ حسين ، فقد عثر على المخلفات الحضارية العائدة للعصر الايوبي/المملوكي في ١١ موقعا(٢٢٩) . وقد قسمت هذه المواقع الى قسمين ، استخدم الاول منها لاغراض السكن كموقعي تل قدسية وخربة الشيخ حسين ، في حين استخدم القسم الثاني كمراكز لتصنيع السكر من قصب السكر ، كموقعي تل فندي ( الموقع B ) وتل أبو عراب الشمالي (الموقع L ) (٢٣٠). كما عثر على ثمانية مواقع في منطقة سليخات وقد ظهر على سطحها مخلفات حضارية عائدة للعصر الايوبي / المملوكي(٢٣١) . وكشف في هذه المنطقة عن ثلاث معاصر استخدمت خلال هذه الفترة لاستخراج السكر من قصب السكر .

انضعف السلطة المركزية في العصر المملوكي ، خاصة منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، أدى الى غزوات متكررة للقبائل البدوية على مراكز التمدن والقرى الزراعية في جنوب بلاد الشام ، ومنها القرى المتواجدة في غور الاردن(٢٣٢) . من العوامل الهامة الاخرى التي أدت الى تدمير أو انخفاض عدد القرى الزراعية في غور الاردن خلال هذه الفترة ــ نهاية القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر الميلادي ــ انتشار وباء الطاعون والحميات وتكرار حدوثها في سنوات متلاحقة(٢٣٣) . نتج عن هذه الاوبئة وفاة عدد كبير من مزارعي غور الاردن ، بالاضافة الى موت أعداد كبيرة من الحيوانات المدربة لاغراض الحرث والنقل وادارة الطواحين(٢٣٤) ، الامر الذي أدى الى تدهور زراعة قصب السكر في غور الاردن(٢٣٥) . كما تحولت طرق المواصلات الواصلة بين دمشق والقاهرة ، والمارة عبر الجزء الشمالي من غور الاردن ، لتمر عبر هضبة الجولان في القرن السادس عشر(٢٣٦) ، مما ادى الى صعوبة كبيرة في تصدير منتوجات غور الاردن الزراعية الى مراكز التمدن .

شهدت بلاد الشام في بداية العصر العثماني ، استقرارا سياسيا وأمنيا ادى الى

انتعاش اقتصادي وزيادة سكانية(٢٣٧) . وقد تمكن الباحثون من رصد القرى الزراعية التي تعود للقرن السادس عشر الميلادي من خلال مراجعتهم للسجلات العثمانية(٢٣٨). ففي غور الاردن ، سجلت ستة عشرة قرية ، نذكر منها في منطقة سليخات ، قريتي فقارس ( قرية كريمة حاليا) وكرمة ( خربة كركمة حاليا )(٢٣٩) . كما ذكرت مجموعة من القرى الزراعية ، الواقعة في غور الاردن ، في دفتر طابو عجلون ، والعائدة لعام ١٥٩٦م . ففي هذا الدفتر ذكرت القرى والمزارع التالية : قرية فقارس ، ومزرعة صلحات أو صليحات ( قرية سليخات حاليا ) ، ومزرعة حجج ( خربة هجيجة حاليا) ومزرعة سبيرة ( خربة سبيرة حاليا )(٢٤٠) . تبعت كلاً من مزرعة صلحات (سليخات) ومزرعة سبيرة ومزرعة حجج ( هجيجة ) لتيمار اسماعيل بن عثمان وشريكه(٢٤١) . بينما تبعت قرية فقارس ( كريمة ) لزعامة بنام خنذان وكاتب ابراهيم(٢٤٢) . وعلاوة على ذلك ، فقد حدد دفتر طابو عجلون لسنة ١٥٩٦م ، عدد دافعي الضرائب في قرية فقارس ب ٤٧ خانة ( أي ٤٧ رب أسرة ) ، كما أن الضرائب في هذه القرية كانت تدفع على المحاصيل الزراعية المتمثلة بالحنطة والشعير والنيلة والسمسم وعن الحيوانات مثل الجاموس والماعز(٢٤٣) . الا أن هذا الدفتر لم يسجل فيه تعداد دافعي الضرائب أو المحاصيل التي دفعت عنها الضرائب لكل من خربة سليخات وخربة هجيجة وخربة سبيرة . ولكن يستدل من نسبة الضرائب المدفوعة من هذه القرى ، أن اكبرها كانت قرية سليخات ، حيث دفعت ٢٥٠٠ أقجة ، وتليها خربة هجيجة ، حيث دفعت ١٥٠٠ اقجة ، واخيرا خربة سبيرة ، حيث دفعت ٥٠٠ أقجة(٢٤٤) .

ولعل ارتفاع نسبة الضرائب المدفوعة من قرية سليخات في القرن السادس عشر الميلادي راجع الى استمرارية نمو هذه القرية من الفترة السابقة - المملوكية - عندما حولت اليها مياه عيني هجيجة وهنيدة، واعتبارها احد المراكز الرئيسة لتصنيع السكر خلال الفترة المملوكية .

ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ضعفت السلطة المركزية العثمانية ، مما ادى الى بروز ولاة محليين كظاهر العمر ( ١٧٥٠ - ١٧٧٥م ) واحمد الجزار ( ١٧٧٧-١٨٠٤م ) والذين استطاعوا ان يحكموا جنوب بلاد الشام باستقلالية جزئية عن الدولة العثمانية(٢٤٥) . واعتمد هؤلاء الولاة في مدخولاتهم الاقتصادية على الضرائب المدفوعة من القرى الزراعية أو تلك التي يدفعها التجار(٢٤٦) ، لذلك اتصفت سياسة هؤلاء الولاة بحرصهم على حماية القرى الزراعية وطرق المواصلات من غارات البدو والمتمركزين في غور الاردن ، كقبائل السردية ، والصقر ، وصخور الغور ، بالتحالف معهم أحيانا أو استعمال القوة العسكرية ضدهم أحيانا اخرى(٢٤٧) . ويستفاد من ملاحظات الرحالة الاوروبيين الذين زاروا غور الاردن منذ بداية القرن

التاسع عشر أن قرى ومزارع غور الاردن ، اضافة الى تلك التي ذكرتها الوثائق العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي ، مهدمة ومهجورة(٢٤٨) . ويبدو أن المنطقة الواقعة للشمال والجنوب من طبقة فحل قد انتعشت مرة أخرى ، وذلك منذ النصف الثاني من القرن الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث شاهد بعض الرحالة(٢٤٩) حقول القمح المزروعة في غور الاردن واعادة بناء القرى الزراعية . كما يستدل من ملاحظات الرحالة الالماني شتويرناجل ، الذي زار منطقة سليخات عام ١٨٩٨ ، أن الاستيطان في الاستيطان في قرى هذه المنطقة ، وقت زيارته لها ، كان استيطانا موسميا ( خلال فصل الشتاء ) تقوم به بعض هذه المنطقة ، وقت زيارته لها ، كان استيطانا موسميا ( خلال فصل الشتاء ) تقوم به بعض العائلات القادمة اليها من خربة الوهادنة وقرية فارة(٢٥٠) . أما الاستقرار الدائم في قرى منطقة البحث ، كما يشير الى ذلك التاريخ الشفوي ، فلم يتم قبل العقد الثالث من هذا القرن .

أسفر المسح الاثري في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات عن تسجيل خمسة عشر موقعا في المنطقة الاولى وأربعة عشر موقعا في المنطقة الثانية . وقد غطت هذه المواقع الاثرية حقبة تاريخية طويلة تمتد منذ الالف السادس قبل الميلاد حتى الوقت الحاضر ، وبدون انقطاع يذكر. ان منطقتيجسر الشيخ حسين وسليخات كانتا وما زالتا مناطق زراعية نشطة ، وذلك لخصوبة تربتها وتوفر المياه ، من وادي زقلاب ، ووادي سليخات فيها .ومما زاد من اهمية هاتين المنطقتين واستمرارية الاستيطان فيهما ، وموقعهما الجغرافي الهام ما بين السهل الغوري والمنطقة الجبلية، مما وفر تنوعا في المحاصيل الزراعية والى بعد نسبي عن المناطق المنخفضة ــ الزور ــ من غور الاردن ، حيث تزداد خطورة الاصابة بالملاريا . كما ساعد قرب هاتين المنطقتين من خطوط المواصلات الرئيسة على ازدهارهما اقتصاديا خلال الفترات الكلاسيكية والاسلامية الوسيطة .

كما أن منطقة البحث كجزء من غور الاردن ، والذي بدوره يمثل جزءا من منطقة اكبر ، بلاد الشام ، فقد تأثر ايجابيا أو سلبيا بالمؤثرات السياسية والامنية والاقتصادية والبيئية التي أثرت على بلاد الشام عامة وجنوبه خاصة ، وذلك منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الان . ويتضح ذلكجليا من خلالتمثيل مختلف العصور، حيث نرى أن هنالك فترات يزداد فيها الاستيطان في أكثر من موقع ، كما هو الحال في العصر الحجري النحاسي ، والعصر الحديدي ، والعصر الروماني ، والعصر الاموي ، والعصر الايوبي / المملوكي ، بينما نرى أن هنالك فترات تمثلها مواقع محدودة ، كما هو الحال في المرحلة الرابعة من العصر البرونزي المبكر ، والعصر البرونزي المتأخر ، والعصر الهللنستي ، والعصر العباسي ، والعصر العثماني .

كما يتضح أثر المؤثرات السابقة الذكر ، على نمط الاستيطان في منطقة البحث ، حيث نرى انتشار القرى الزراعية بالقرب من المصادر المائية ، في العصر الحجري الحديث / العصر الحجري النحاسي ، في حين نرى انه يوجد هناك تركز سكاني في مواقع محدودة العدد ، وكبيرة الحجم ومحصنة دفاعيا ، في العصر البرونزي المبكر ، والعصر البرونزي الوسيط . ويبدو أن التأثيرات السياسية العسكرية التي شهدتها منطقة بلاد الشام في المرحلة الثانية من العصر الحديدي ، قد ادت هي الاخرى الى تواجد استيطان قروي محصن ، كما هو الحال في مواقع : دحنون ، وتل ابو العقارب ، وتل هجيجة ، الواقعة في في منطقة سليخات . ويبدو أن نزعة التوسع في النفوذ بين الاسرتين السلوقية والبطلمية ، هي الاخرى قد أثرت على نمط الاستيطان في ، منطقة البحث ، حيث يمكن تقسيم المواقع الممثلة لهذه الفترة الى قسمين هما : ١ — قلاع عسكرية تقع على المنحدارت المطلة على غور الاردن ، و ٢ — قرى زراعية تقع على أرضية غور الاردن. ويبدو أن استتباب الامن وانتشار المدن الادارية في الفترات الكلاسيكية والاسلامية المبكرة قد انعكس أثرها على نظام الاستيطان في غور الاردن ؛ حيث انتشرت في منطقة البحث القرى الزراعية ، والواقعة على جميع اجزاء الوادي.

وازدهر غور الاردن في الفترة الايوبية / المملوكية ؛ فقد مثل الانتاج الزراعي العماد الاقتصادي لامراء هذه الفترة . ويستدل من خلال دراسة المعطيات التاريخية والاثرية ، ان منطقة البحث كانت تشتهر بزراعة قصب السكر خلال العصر الاسلامي الوسيط . وأمكن تقسيم المواقع الاثرية العائدة لهذه الفترة ، في منطقة البحث ، الى نوعين ، هما : ١ — قرى زراعية كبيرة الحجم و ٢ — مواقع صناعية استخدمت لاستخراج السكر من قصب السكر ( طواحين السكر ) ، أو مواقع استخدمت لتصنيع الانية الفخارية اللازمة لتصنيع السكر ) .

ويبدو أن الزراعة الصناعية التي سادت في منطقة البحث خلال العصر الايوبي / المملوكي ، قد انتهى استخدامها في العصر اللاحق ( العصر العثماني ) ، وحلت محلها زراعة الاكتفاء الذاتي . ويتضح ذلك من خلال استخراض المحاصيل الزراعية التي دفعت عليها الضرائب للدولة العثمانية ، حيث لم يسجل في هذه السجلات قصب السكر كأحد المحاصيل الزراعية في غور الاردن . كما أن نظام الاستيطان ، في منطقة البحث ، قد تركز تواجده على أسفل المنحدرات المطلة على غور الاردن في القرن السادس عشر الميلادي . ولعل أهم الاسباب المؤدية الى ذلك ، هو الخلل السكاني في المنطقة ، نتيجة لانتشار الاوبئة والطاعون في العصر المملوكي المتأخر ، الامر الذي أدى الى انخفاض سكاني كبير ، ومن ثم اهمال أجزاء كبيرة من غور الاردن . وانتشار الملاريا في الاراضي المنخفضة .

ذهب كثير من الرحالة الاوربيين الى وصف قرى غور الاردن في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، بأنها مهدمة ومهجورة . ويتضح جليا من خلال نتائج الاعمال الميدانية في منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات ، ان نظام الاستيطان خلال هذين القرنين ، قد تحول من استيطان دائم الى استيطان موسمي . ويعني ذلك أن منطقة البحث لم تهجر نهائيا خلال العصر العثماني المتأخر ، كما ذهب اليه بعض الرحالة الاوربيين ، وانما ظهر نظام استيطان جديد ، يقوم أساسا على قدوم عائلات للاشتغال بالزراعة في غور الاردن من قرى كبيرة الحجم ، وواقعة في المنطقة الجلية ، في الشتاء ، وتعود هذه العائلات من حيث أتت في فصل الصيف . كما أن القبائل البدوية التي ذكرها الرحالة الاوربيون ، قد استقرت هي الاخرى في غور الاردن، واشتغلت بالزراعة لتكون المالكة لمعظم أراضي غور الاردن حاليا .

ويتضح جليا ، من خلال استعراض نتائج الاعمال الميدانية الاثرية في منطقة البحث ان الاستيطان البشري قد استمر ، مع بعض التغيرات في أنظمة الاستيطان ، وبدون انقطاع منذ آلاف السنين وحتى الان .

* * *

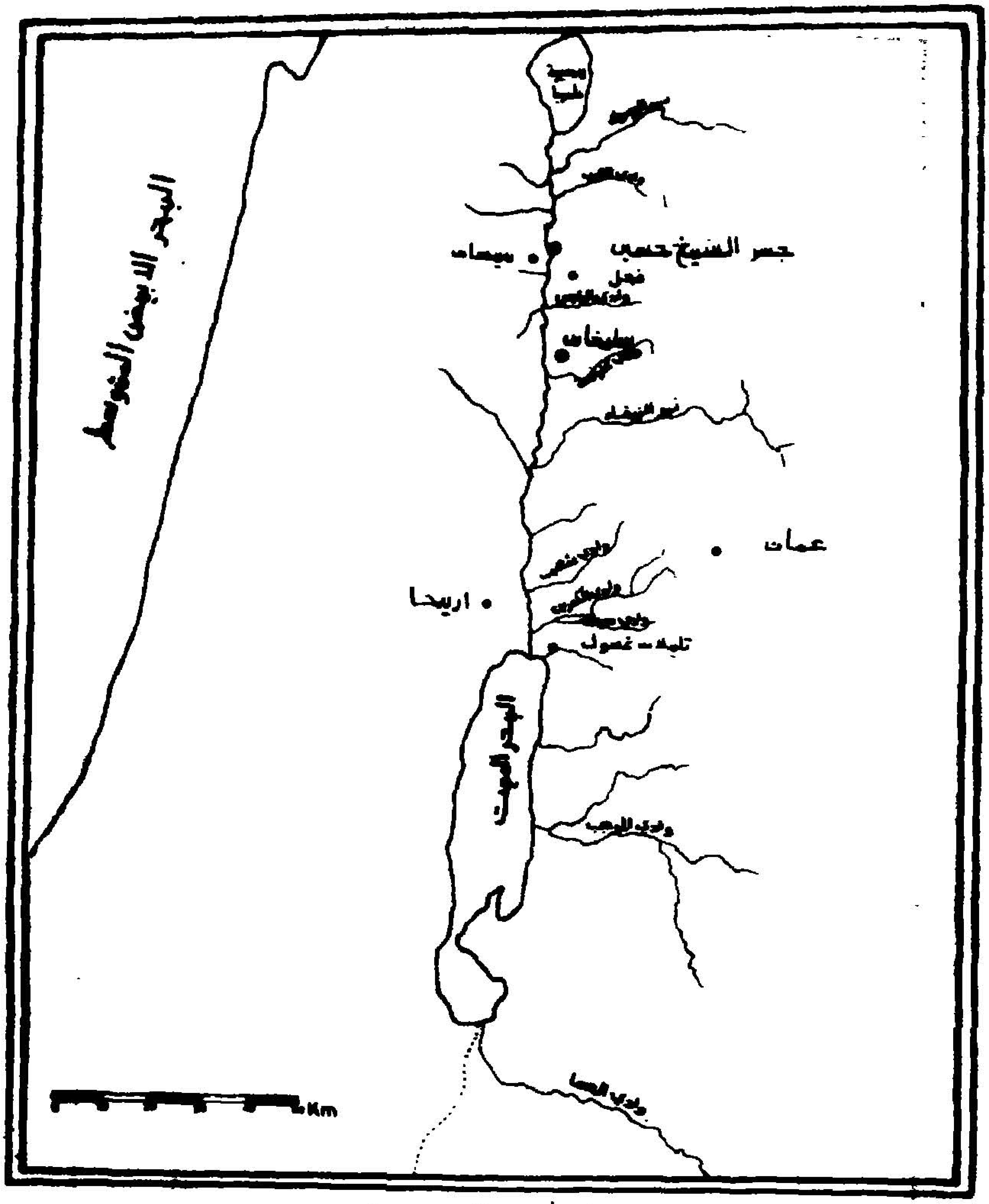


خارطة رقم -١-
موقع منطقتي جسر الشيخ حسين وسليخات

المسح الأثري لمنطقة جسر الشيخ حسين

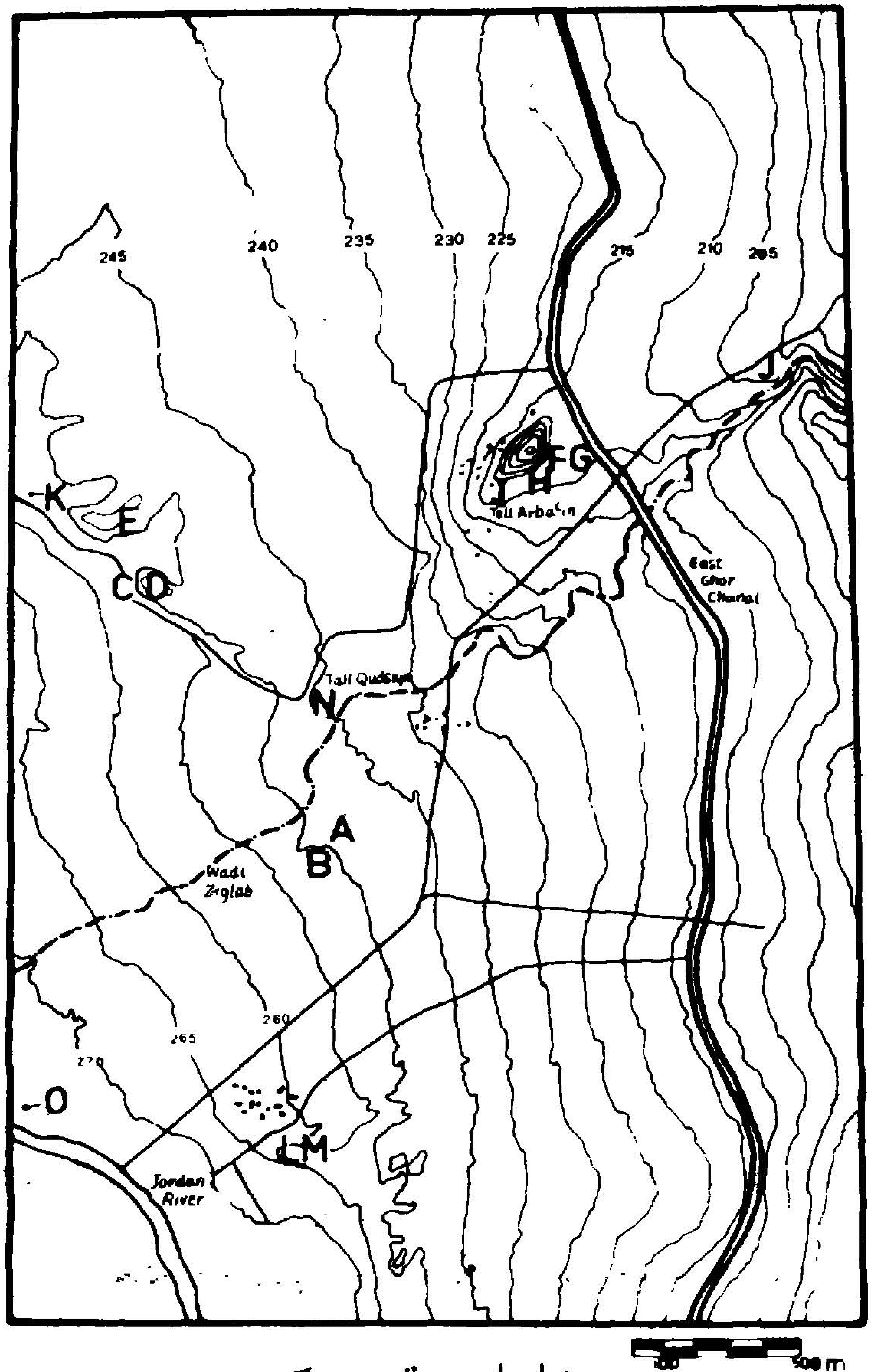


خارطه رقم -٢-

خارطه كنتوريه لمنطقة جسر الشيخ حسين

خارطة رقم ٣

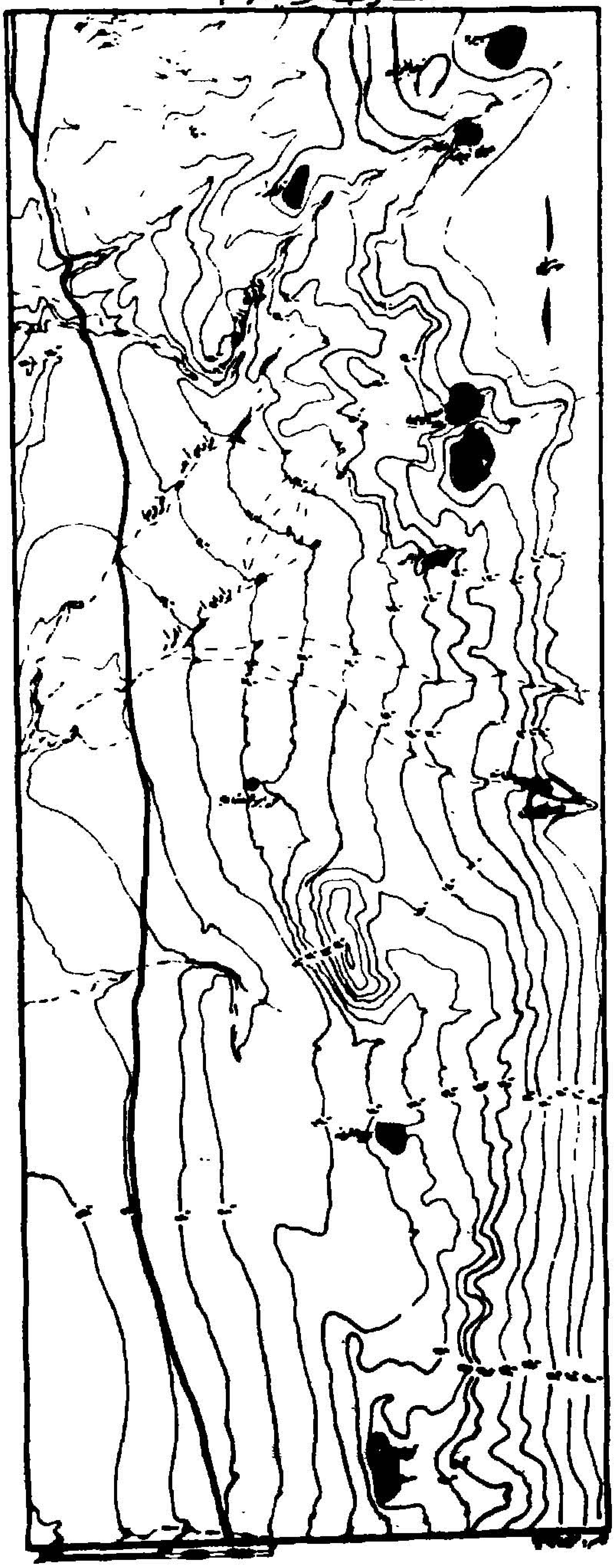

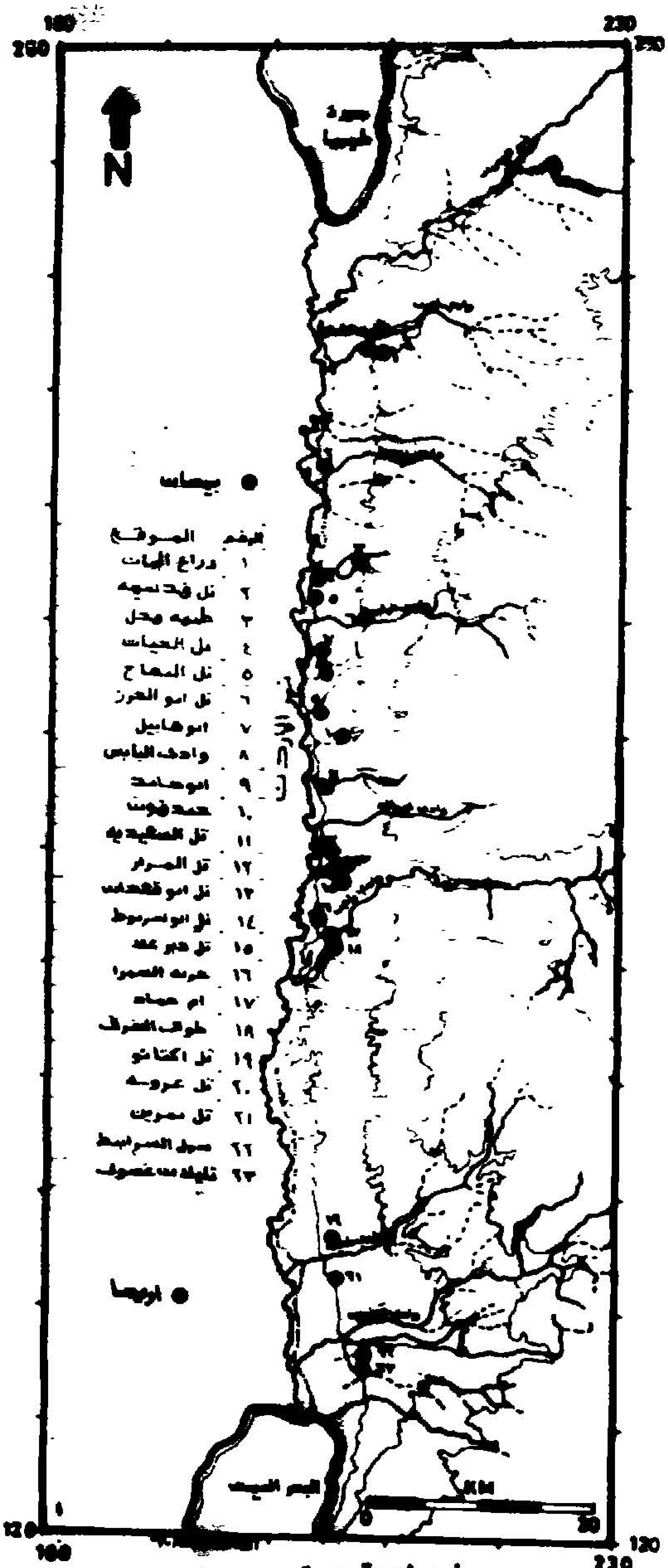


خريطة رقم -٤-
مواقع المخيمات الأثرية في غور الأردن

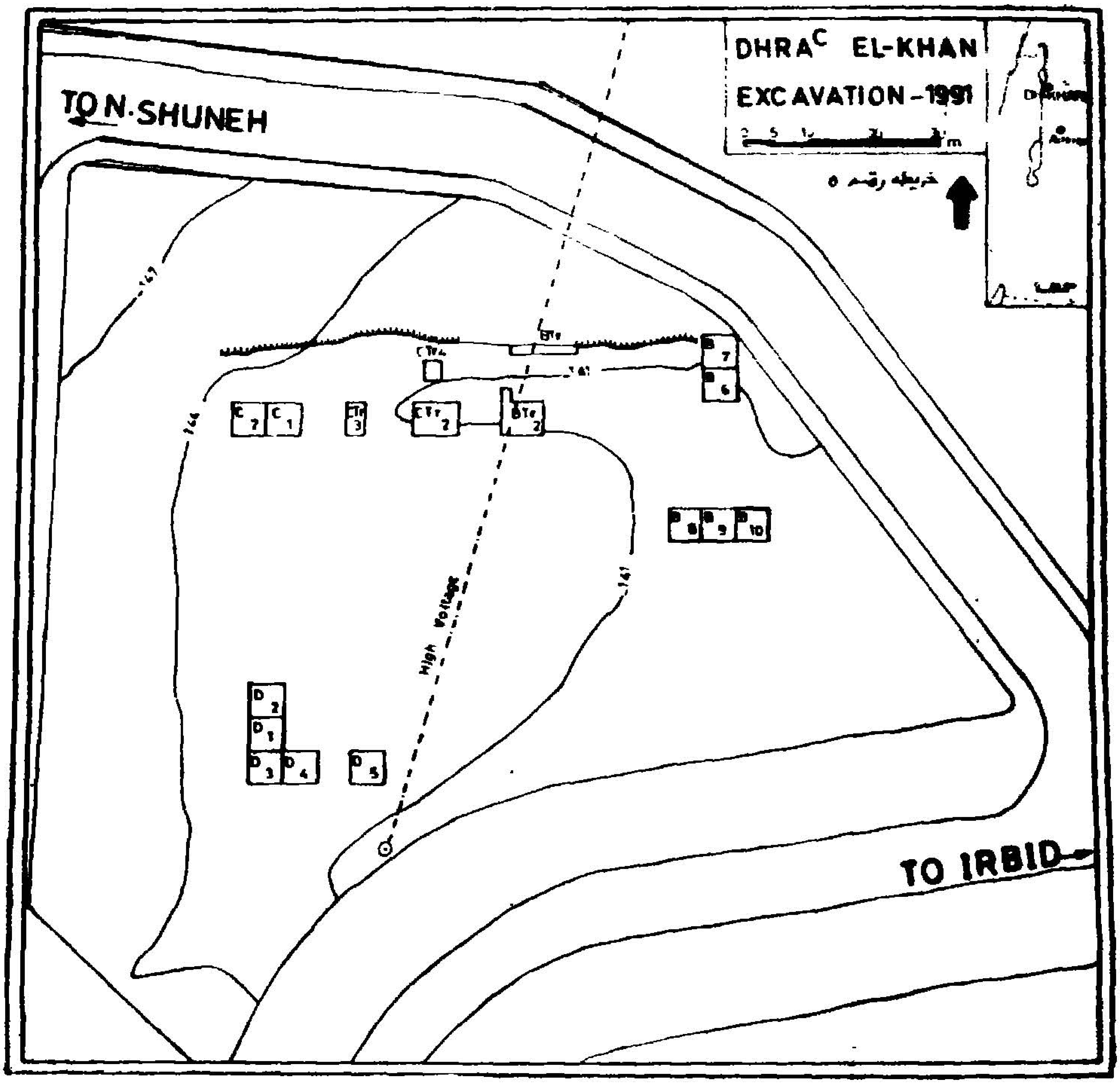
DHRA^C EL-KHAN
EXCAVATION - 1991
TO N. SHUNEH
TO IRBID
High Voltage
خريطة رقم ٥

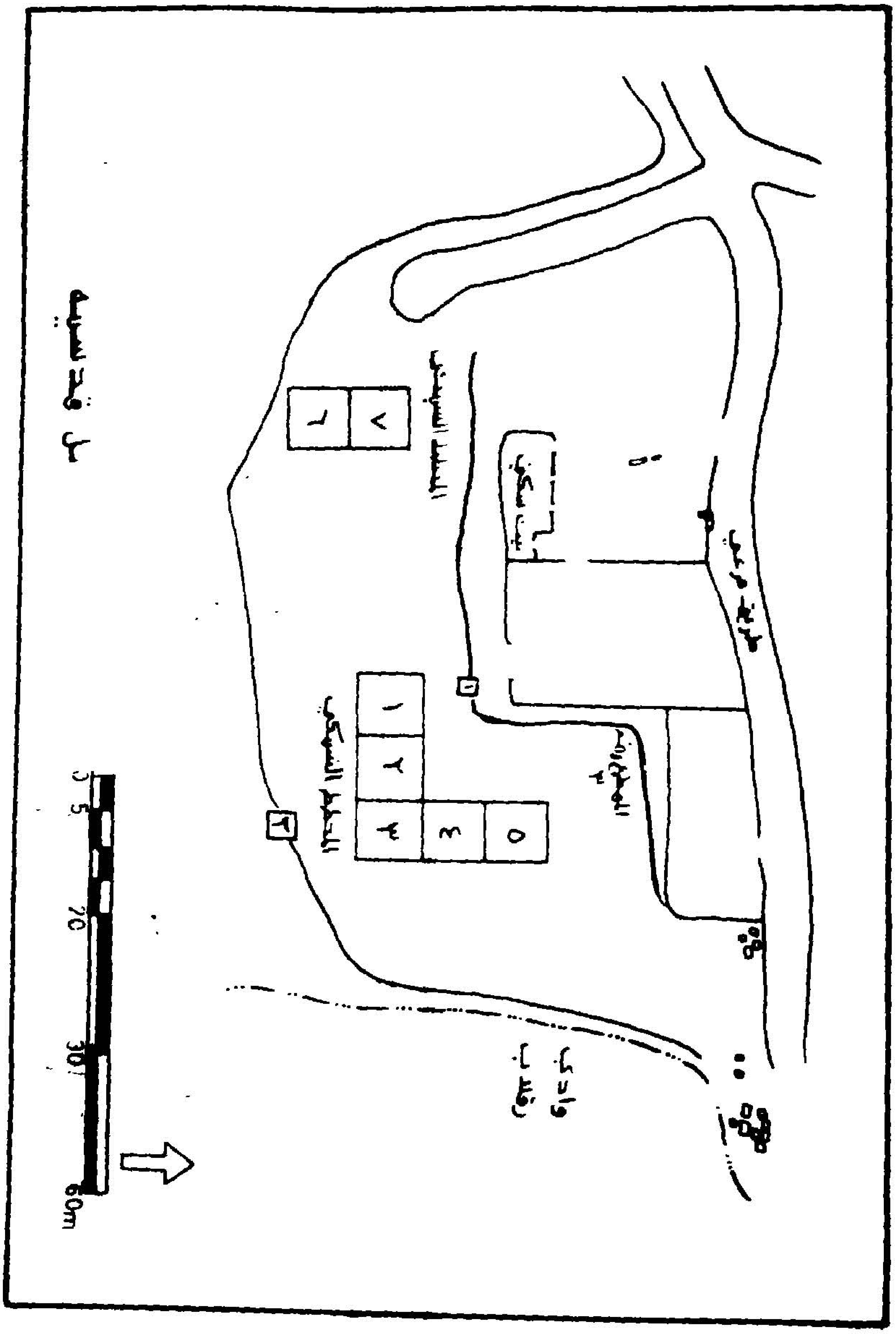


خارطة رقم ٦

خارطة كنتورية لموقع تل سبيه - المخطط الشبكي ومربعات التنقيب

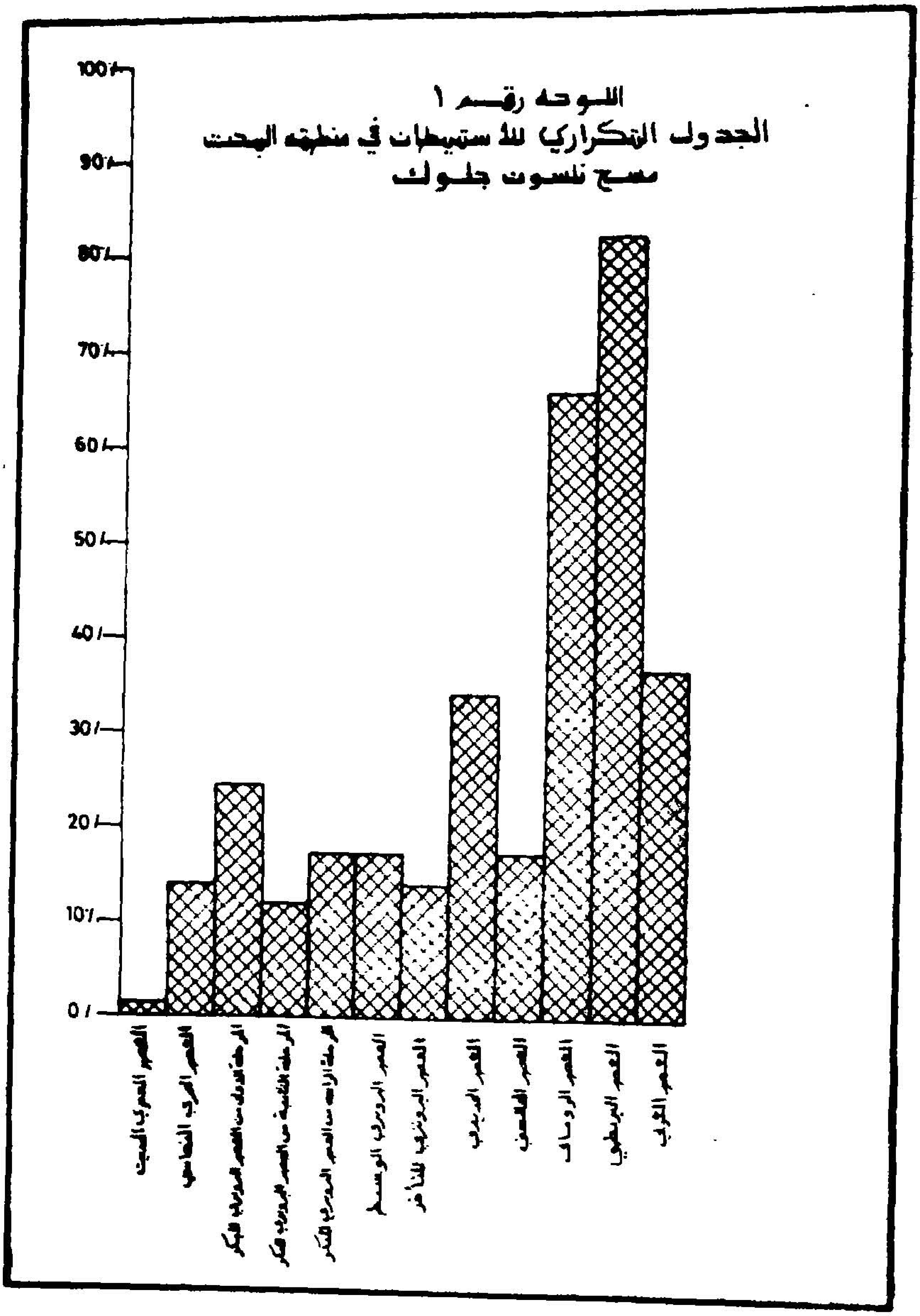


اللوحة رقم ١
الجدول التكراري للاستيطان في منطقة البحث
مسح تلسوت جلوك

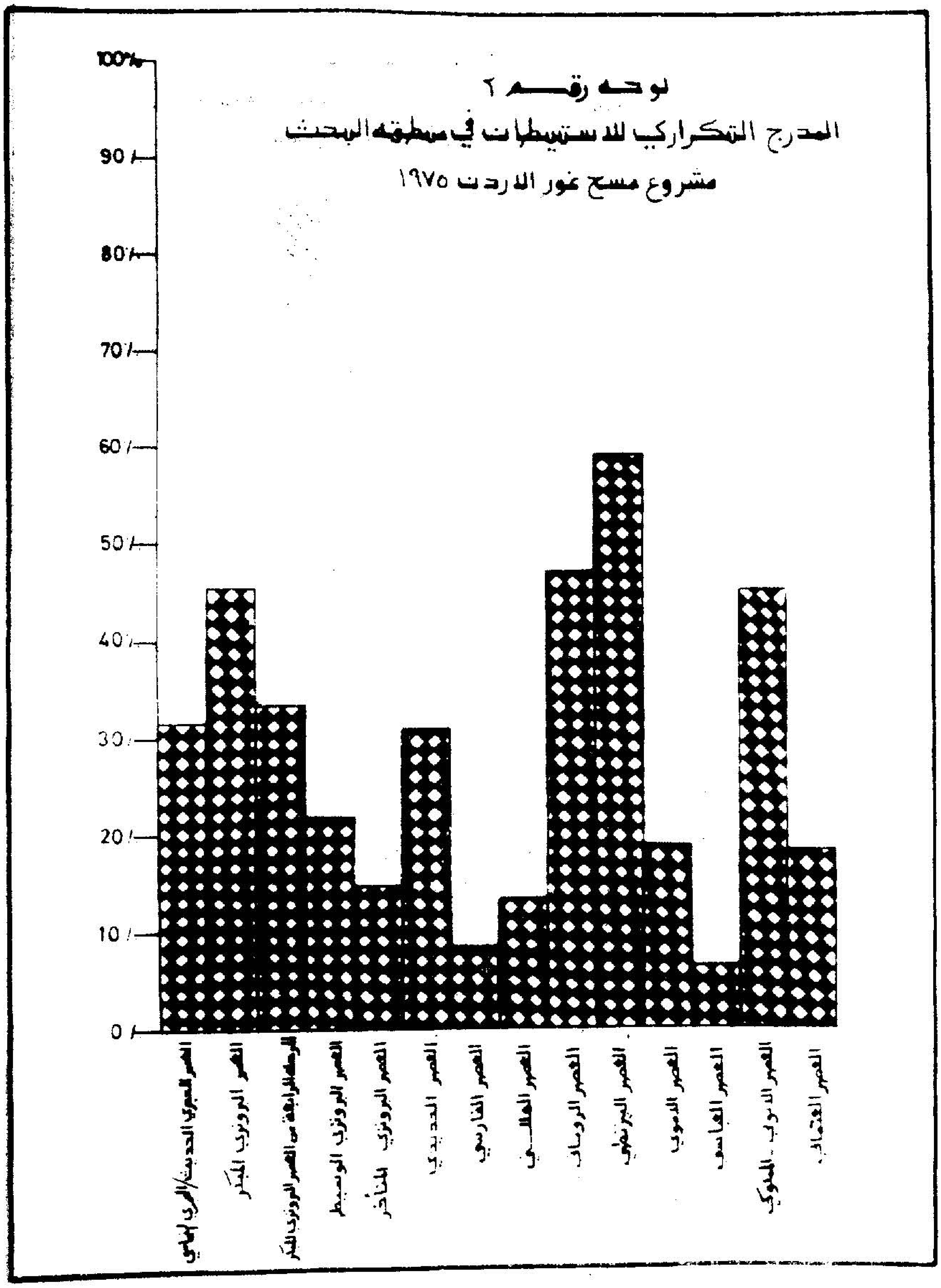


لوحة رقم ٢

المدرج التكراري للاستيطان في منطقة البحث

مشروع مسح غور الاردن ١٩٧٥

| | العصر الحجري الحديث/ العصر الحجري النحاسي | العصر البرونزي المبكر | العصر البرونزي الوسيط | العصر البرونزي المتأخر | العصر الحديدي | العصر الهلنستي | العصر الروماني | العصر البيزنطي | العصر الأموي | العصر العباسي | العصر الأيوبي/المملوكي | العصر العثماني | الوقت الحاضر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| تل قمدي ، الموقع A | ● | | | | | | | ● | | | ● | | |
| تل قمدي الموقع B | | | | | | | | | | | ● | | |
| خربة سليم اليوسف الموقع C | | ● | | | | | | ● | | ● | ● | | |
| خربة سليم اليوسف الموقع D | | ● | | | | | | ● | | ● | ● | | |
| خربة سليم اليوسف الموقع E | | ● | | | | | | | | | | | |
| تل الارسمير موقع F | ● | ● | ● | ● | ● | | | ● | | | | ● | ● |
| تل الارسمير موقع G | ● | ● | | ● | ● | | | | | | ● | ● | ● |
| تل الارسمير الموقع H | | ● | | | | | | ● | | | ● | ● | ● |
| تل الارسمير الموقع I | | ● | | | | | | ● | | | ● | ● | ● |
| تل ابو عرعر ستندلي، موقع J | | | | | | | | | | | ● | | |
| تل بيرها الموقع K | | | | | | | | | | | ● | ● | ● |
| خربة الشيخ محمد موقع L | | | ● | ● | ● | | | ● | | | | | |
| خربة الشيخ محمد الموقع M | ● | | ● | ● | ● | | | | | | | | |
| تل قدسيه الموقع N | | | | | | | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| خربة الشيخ حسين موقع O | | | | | | | | | | | ● | ● | |

اللوحة رقم ٣

المواقع الاثرية في منطقة جسر الشغور وتاريخ الاستيطان فيها

| الموقع | العصر الحجري القديم | العصر الحجري الحديث | العصر البرونزي المبكر | المرحلة الانتقالية من العصر البرونزي المبكر | العصر البرونزي الوسيط | العصر البرونزي المتأخر | العصر الحديدي | العصر الهلنستي | العصر الروماني | العصر البيزنطي | العصر الأموي | العصر العباسي | العصر الأيوبي/المملوكي | العصر العثماني | الوقت الحاضر |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| السفح الشمالي الشرقي لقرية سليحات | ● | ● | | | | | ● | | | ● | | | ● | ● | ● |
| السفح الجنوبي الشرقي لقرية سليحات | ● | ● | | | | | | | ● | ● | | | ● | | ● |
| قرية سليحات | | | | | | | | | | ● | | | ● | ● | ● |
| مقبرة سليحات | ● | ● | ● | ● | ● | | | | | | | | | | |
| تل ابو العقارب | | ● | ● | | | | ● | | | | | | | | |
| تل دحمون | | | | | | | ● | | | | | | | | |
| تل حمدقوق | | ● | ● | | | | | | | | | | | | |
| قرمة همبيه | | | | | | | | | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| تل هميمة | | ● | ● | | | | ● | | | ● | ● | | | | |
| سفح تل هميمة السفلي | | | | | | | ● | | ● | ● | | | ● | | |
| تل ابو النمر | | ● | | | | | ● | | ● | ● | | | ● | | |
| تل مرار | | | | ● | | | | | ● | | | | | | |
| خربة عين البيضا | | | | | | | | | | ● | ● | | ● | ● | ● |
| خربة سميرة | ● | ● | | | | ● | ● | | ● | ● | ● | | ● | ● | ● |

اللوحة رقم ٤

المواقع الاثرية في منطقة سليخات وتاريخ الاستيطان فيها

## تنويـــــه

نعتذر من القارىء الكريم للقفز في الارقام

من : ١٤٠ ــ ١٤٤ وشكرا .

هيئة التحرير

1. عابد، عبدالقادر. جغرافية الاردن. دار النهضة، عمان، ١٩٨٢ . ص١٣٢

Schattner, I. "The Lower Jordan Valley". Scripta Hierosolymitana, (SH) vol. XI. Jerusalem, 1962. P. 13.

Smith Adam. The Historical Geography of the Holy Land. London, 1897. P. 482.

2. Bender, F. Geology of Jordan. Berlin-Stuttgart. 1974. P. 11.

3. Schattner, I. "The Lower Jordan Valley". SH: XI. Jerusalem 1962. PP.14-21.

Bender, F. Geology of Jordan. Berlin-Stuttgart. 1974. PP. 123-124.

Linton, D. and Moseley, F. "The Geological Ages". Cambridge Ancient History (CAH), vol. 1, part 1. Cambridge, Cambridge University Press. 1970. P. 2.

عابد، عبدالقادر . ص٨١-٨٢

4. Blanckenhorn, M. "Entstehung und Geschichte des Totenmeers". Zeitschrift des Deutschen Palastina-Vereins (ZDPV), vol. 67. Leipzig, 1896. PP. 24-26.

5. Blanckenhorn, M. "Entstehung und Geschichte des Totenmeers". ZDPV: 67. Leipzig, 1896. P. 26.

Smith Adam. The Historical Geography of the Holy Land. London. 1897. P. 269.

6. عابد ، عبدالقادر . ص٨١

7. Van Zeist, W. "Past and Present Environments of the Jordan Valley". Studies in the History and Archaeology of Jordan (SHAJ), vol. II. ed. Hadidi, A. Amman, 1985. Department of Antiquities-Jordan. P. 200.

8. Saunders Trelawney. An Introduction to the Survey of Western Palestine: Its Waterways, Plains and Highlands. London, 1881. P. 155.

Aharoni, Y. The Land of the Bible. Philadelphia: the Westminster Press, 1967. P.31.

Van Zeist, W. "Past and Present Environments of the Jordan Valley". SHAJ: II. ed. Hadidi, A. Amman, 1985. Department of Antiquities-Jordan. P. 199.

9. Saunders Trelawney. An Introduction to the Survey of Western Palestine: Its Waterways, Plains and Highland, London, 1881. P. 154.

Aharoni, Y. The Land of the Bible. Philadelphia: the Westminster Press, 1967. P. 31.

10. Ibid. P. 31-32.

11. Koucky, F. and Smith, R. "Lake Baisan and the Prehistoric Settlement of Northern Jordan Valley". Paleorient vol. 12/2. PP. 27-36.

12. Glueck Nelson. "Explorations in Eastern Palestine IV". Annual of the American Schools of Oriental Research (AASOR), vol. 25-28. New Haven, 1951. PP. 224-226.

13. Ibid. PP. 276-288.

14. Mellaart, J. "Preliminary Report of the Archaeological Survey in the Yarmuk and Jordan Valley for the Point Four Irrigation Scheme". Annual of the Department of Antiquities of Jordan (ADAJ), vol. 6-7. Amman, 1962.P.143.

15. Ibid. P. 145.

16. Ibid. PP. 126-157.

17. De Contenson, H. "The 1953 Survey in the Yarmouk and Jordan Valleys". ADAJ: 8-9. Amman, 1964. P. 35.

18. Ibid. P. 36.

19. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey 1975". Bulletin of the American School of Oriental Research (BASOR), vol. 222. Atlanta: Scholars Press. 1976. P. 50.

Yassine, K.; Ibrahim, M. and Sauer, J. "The East Jordan Valley Survey 1976, (second part)". Archaeology of Jordan: Assays and Reports. ed. Khair Yassine. Amman, 1988. PP. 187-206.

20. Ibrahim, M.; Sauer, Y. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey 1975". BASOR: 222. Atlanta: Scholars Press. P. 50.
Yassine, K.; Ibrahim, M. and Sauer, J. "The East Jordan Valley Survey, 1976, (second part), Archaeology of Jordan: Assays and Reports. Khair Yassine. Amman, 1988.PP. 187-206.

21. Muheisen, M. "A Survey of Prehistoric Sites in the Jordan Valley, 1985". British Archaeological Reports (BAR) 396 (i). ed. Andrew N. Garrard and Hans Georg Gebel. Oxford, 1988. PP. 503-523.

22. Mabry, J. and Palumbo, G. with a contribution by Ian Kuijt. "The 1987 Wadi el-Yabis Survey". ADAJ: 32. Amman, 1988. P.278.

23. Mittmann, S. Beitrage zur Siedlungs und Territorialgeschichte des Nordlichen Ostjordanlands. Wiesbaden: Harrassowitz. 1970. P. 62.

24. Ibid. PP. 139-143.

25. انظر الخارطة رقم ٤

26. De Contenson, H. "Three Soundings in the Jordan Valley". ADAJ: 4-5. Amman, 1960. PP. 12-57.
Mellaart, J."Preliminary Report of the Archaeological Survey in the Yarmuk and Jordan Valley for the Point Four Irrigation Scheme". ADAJ: 6-7. Amman, 1962. PP. 126-153.
Gustavson-Gaube, C. "Tell esh-Shuna North, 1984: A Preliminary Report". ADAJ: 29. Amman, 1985. PP. 43-87.
Gustavson-Gaube, C. "Tell esh-Shuna North, 1985: A Preliminary Report". ADAJ: 30. Amman, 1986. PP. 69-114.

27. Falconer, S.; Magness-Gardiner, B. and Metzger, M. "The 1982 Excavations of the Tell el-Hayyat Project". ADAJ: 27. Amman, 1983. PP. 87-104.
Falconer, S. and Magness-Gardiner. "Preliminary Report of the First Season of the Tell el-Hayyat Project". BASOR: 255. New Haven, 1984. PP. 49-74.

28. De Contenson, H. "Three Soundings in the Jordan Valley". ADAJ: 4-5. Amman, 1960. PP. 12-57.

29. Dollfus, G.; Kafafi, Z. Coqueugniot, E.; Desse, J. and Neef, R. "Preliminary Results of the First Season of the Joint Jordano-French Project at Abu Hamid". ADAJ: 30. Amman, 1986. PP. 353-380.
Dollfus, G. and Kafafi, Z. "Abu Hamid, Jordanie: Premiers Resultats". Paleorient vol. 12/1. PP. 91-100.
Dollfus, G. and Kafafi, Z. "Tell Abu Hamid". SHAJ: III. Amman, 1987. PP. 231-236.
Dollfus, G. and Kafafi, Z. "Recent Researches at Abu Hamid". ADAJ: 25. Amman, 1993. PP. 241-256.

30. Fischer, P. "Tell Abu al-Kharaz: The Swedish Jordan Expedition 1989, First Preliminary Report from Trial Soundings". ADAJ: 35. Amman, 1989. PP. 67-104.
Fischer, P. "Tell Abu al-Kharaz: The Swedish Jordan expedition 1991, Second Season Preliminary Excavation Report". ADAJ: 37. Amman, 1993. PP. 279-306.

31. Falconer, S. "Village Pottery Production and Exchange: a Jordan Valley Perspective". SHAJ: III. Amman, 1987. P. 251.

32. Kirkbride, D. "A Neolithic Site at Wadi el-Yabis". ADAJ: 3. Amman, 1956. PP. 56-60.

33. De Contenson, H. "Three Soundings in the Jordan Valley, III: Tell es-

Saidiyeh el-Tahta". ADAJ: 4-5. Amman, 1960. PP.49-56.
Pritchard, J. "Excavations at Tell es-Sa'ideyeh". ADAJ: 8-9. Amman, 1964. PP. 95-98.
Pritchard, J. The Cemetery at Tell es-Sa'ideyeh, Jordan. University of Pennsylvania, 1980.
Tubb, J. "Preliminary Report on the 1985 Season of Excavations at Tell es-Sa'ideyeh, Jordan". ADAJ: 29. Amman, 1985. PP. 131-140.
Tubb, J. "Tell es-Sa'ideyeh 1986: Interim Report of the Second Season of Excavations". ADAJ: 30. Amman, 1986. PP. 115-131.
Tubb, J. "Tell es-Sa'ideyeh". Archiv fur Orientforschung (AFO), vol. 33. Berlin-Graz, 1986. PP. 212-218.
Tubb, J. "Tell es-Sa'ideyeh: Preliminary Report on the first three Seasons of Renewed Excavations". Journal of the British School of Archaeology in Jerusalem (Levant), vol. 20. London, 1988. PP. 41-58.
Tubb, J. "Preliminary Report on the Fourth Season of Excavations at Tell es-Sa'idiyeh in the Jordan Valley". Levant: 22. London, 1990. PP. 21-42.
Tubb, J. and Dorrell, P. "Tell es-Sa'idiyeh: Interim Report on the Fifth (1990) Season of Excavations. Levant: 23. London, 1991. PP. 67-86.
Tubb, J. "Preliminary Report on the Fifth (1990) Season of Excavations at Tell es-Sa'ideyeh". ADAJ: 35. Amman, 1991. PP. 181-194.
34. Yassine, K. "Tell el-Mazar, Field 1. Preliminary Report of Area G, H, L and M. The Summit". ADAJ: 27. Amman, 1983. PP. 495-513.
Yassine, K. Tell el-Mazar 1, Cemetery A. Amman, 1984.
Yassine, K. "The Open Sanctuary of the Iron Age 1 Tell el-Mazar Mound A". ZDPV: 100. Stuttgart, 1984. PP. 108-115.
Yassine, K. "Ammonite Seals from Tell el-Mazar". SHAJ: 1. Amman, 1982. PP.189-194.
35. De Hass, H.; LaGro, H. and Steiner, M. "First Season of Excavation at Tell Abu Sarbut, 1988: A Preliminary Report". ADAJ: 33. Amman, 1989. PP: 323-326.
LaGro, H. and De Hass, H. "Sugar Pots: A Preliminary Study of Technological Aspects of a Class of Medieval Industrial Pottery from Tell Abu Sarbut, Jordan". News Letter, Department of Pottery Technology, no.7/8. Leiden, 1989/1990. PP. 7-20.
36. Franken, H. and Kalsbeek, J. Poters of a Medieval Village in the Jordan Valley. New York: American Elsevier Press. 1975.
37. Franken, H. "The Excavations at Deir Alla in Jordan". Vetus Testamentum (VT), vol. 10. Leiden, 1960. PP. 386-393.
Franken, H. "The Excavations at Deir Alla in Jordan, 2nd Season". VT: 11. Leiden, 1961. PP. 361-372.
Franken, H. "The Excavations at Deir Alla in Jordan, 3rd Season". VT: 12. Leiden, 1962. PP. 379-382.
Franken, H. "Excavations at Deir Alla, Jordan. Preliminary Report". VT: 14. Leiden, 1964. PP. 417-422.
Franken, H. "Tell Deir Alla". Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land, vol. 1. Ed. Avi-Yonah. London: Oxford University Press, 1975. PP. 321-323.
Franken, H. and Ibrahim, M. "Two Seasons of Excavations at Tell Deir Alla, 1976-78". ADAJ: 22. Amman, 1977-78. PP. 57-80.
Ibrahim, M. and Van der Kooij, G. "Excavations at Tell Deir Alla, Season 1979". ADAJ: 23. Amman, 1979. PP. 41-50.
Ibrahim, M. and Van der Kooij, G. "Excavations at Tell Deir Alla, Season

1982". ADAJ: 27. Amman, 1983. PP. 577-585.
Ibrahim, M. and Van der Kooij, G. "Tell Deir Alla". AFO:29-30. Berlin-Graz, 1983-84. PP. 260- 263.
Ibrahim, M. and Van der Kooij, G. "Excavations at Deir Alla, Season 1984". ADAJ: 30. Amman, 1986. PP. 131-144.
38. Leonard, A. "Kataret es-Samra: A Late Bronze Age Cemetery in Transjordan". BASOR: 234. New Haven, 1979. PP. 253-265.
Leonard, A. "Kataret es-Samra: A Late Bronze Age Cemetery in Transjordan". ADAJ: 25. Amman, 1981. PP. 179-195.
Leonard, A. "The Kataret es-Samra Project: 1985". ADAJ: 29. Amman, 1985. PP. 289-290.
Leonard, A. "Kataret es-Samra". AFO: 33. Berlin-Graz, 1986. PP. 166-167.
39. Helms, S. "Excavations at Tell Umm Hammad esh-Sharqia in the Jordan Valley 1982". Levant: 16. London, 1984. PP. 35-54.
Helms, S. "Excavations at Tell Umm Hammad, 1984. Levant: 18. London, 1986. PP. 25-51.
Helms, S. "Tall Umm Hammad". AFO: 33. Berlin-Graz, 1986. PP. 228-231.
40. Helms, S. "The EBIV (EB-MB) Cemetery at Tiwal esh-Sharqi in the Jordan Valley, 1983". ADAJ: 27. Amman, 1983. PP. 55-85.
Helms, S. "The EBIV (EB-MB) Cemetery at Tiwal esh-Sharqi in the Jordan Valley". Liber Annus,(LA), no. 33. Jerusalem, 1984. PP. 407-408.
Helms, S. "The EBIV (EB-MB) Cemetery at Tiwal esh-Sharqi in the Jordan Valley". ADAJ: 27. Amman, 1983. PP. 55-86.
Tubb, J. and Wright, M. "Excavations in the Early Bronze Age Cemetery of the Tiwal esh-Sharqi: A Preliminary Report". ADAJ: 29. Amman, 1985. PP. 115-130.
41. Piccirillo, M. "A Church at Shunet Nimrin". ADAJ: 25. Amman,1982. PP. 335-342.
Piccirillo, M. "The Umayyad Churches of Jordan". ADAJ: 28. Amman, 1984. PP. 338-339.
42. Flanagan, J. and McCreery, D. "First Preliminary Report of the 1989 Tell Nimrin Project". ADAJ: 34. Amman, 1990. PP. 131-152.
Dornemann, R. "Preliminary Comments on the Pottery Traditions at Tell Nimrin, Illustrated from the 1989 Season of Excavations". ADAJ: 34. Amman, 1990. PP. 153-182.
43. Prag, K."Kilns of the Intermediate Early Bronze-Middle Bronze Age at Tell Iktanu: Preliminary Report, 1987 Season". ADAJ: 32. Amman, 1988. PP. 59-72.
Prag, K. "Preliminary Report on the Excavations at Tell Iktanu, Jordan, 1987". Levant: 21. London, 1989. PP. 33-46.
Prag, K. "Preliminary Report on the Excavations at Tell Iktanu, Jordan, 1989". ADAJ: 34. Amman, 1990. PP. 119-122.
Prag, K. "Preliminary Report on the Excavations at Tell Iktanu and Tell al-Hammam, Jordan, 1990". Levant: 23. London, 1991. PP. 55-66.
44. Mellaart, J. "The Neolithic Site of Ghrubba". ADAJ: 3. Amman, 1959. PP. 24-40.
45. Suleiman, E. and Betts, A. "Rescue Excavations at Sahl es-Sarabet 1978/79". ADAJ: 25. Amman, 1981. PP. 227-234.
46. Mallon, A.; Koeppel, R. and Neuville, R. Teleilat Ghassul I. Rome, 1934.
Koeppel, R.; Senes, H.; Murphy, J. and Maham, G. Teleilat Ghassul II. Rome, 1940.
Hennessy, B. "Preliminary Report on a First Season of Excavations at

Teleilat Ghassul". Levant: 1. London, 1969. PP. 1-24.
47. Burckhardt, J. Travels in Syria and the Holy Land. London, 1822. P. 267.
48. Ibid. PP. 325-346.
49. Ibid. P. 346.
50. Buckingham, J. Reisen durch Syrien und Palastina. Weimar, 1828. PP. 9-14.
51. G. H. An Excursion from Jericho to the Ruins of Ancient Cities of Geraza and Amman. London, 1852. PP. 9-10.
52. Robinson, E. Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions, vol.III. Jerusalem, 1970. P. 317.
53. Warren, C. "Expedition East of Jordan". Palestine Exploration Fund Annual,(PEF), no. 1/6. London, 1870. P. 285.
54. Northy, A. "East of Jordan, Expedition". PEF. London, 1872. P. 71.
55. Van de Velde, C. Narrative of a Journey Through Syria and Palestine in 1851 and 1852. London, 1890. P. 356.
56. Le Strange, G. "A Ride Through 'Ajlun and the Belka during the Autumn of 1884". Across the Jordan: An Exploration and Survey of part of Hauran and Jaulan. ed. Schumacher Gottieb. London, 1886. PP. 270-273.
57. Schumacher, G. "Abila of the Decapolis". PEF. London, 1889. PP. 71-190.
58. Smith, A. The Historical Geography of the Holy Land. London, 1897. PP. 488-489.
59. Steuernagel, C. "Der 'Adschlun". ZDPV: 48. Leipzig, 1925. PP. 343-351.
60. انظر الخارطة رقم ٢

كريم، جمعه. المسح الاثري لمطقة جسر الشيخ حسين: الاغوار الشماليه لعام ١٩٨٦ ابحاث اليرموك . المجلد السادس، العدد الاول. جامعة اليرموك ، ١٩٩٠. ص ١١٥-١٥٠ .

Kareem, J. Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Jisr Sheikh Hussien Region. MA Thesis. Institute of Archaeology and Anthropology-Yarmouk University. 1987.

Lenzen, C.; Kareem, J. and Thorpe, S. "The Jisr Sheikh Hussein Project, 1986". ADAJ: 31. Amman, 1987. PP. 313-320.

Kareem, J. "Tell Fandi: Jisr Sheikh Hussein Project, 1986". ADAJ: 33. Amman, 1989. PP. 97-110.

Kareem, J. "Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Djisr Shaykh Husayn Region". in Studies on the History of Bilad al-Sham During the Umayyad Period. ed. Muhammad A. Bakhit and Mohammad Y. Abbadi. Amman, 1990. PP. 33-50.

61. Buckingham, J. Reisen durch Syrien und Palastina. Weimar, 1828. PP. 10-14.
62. Schumacher, G. "Abila of the Decapolis". PEF. London, 1890. PP. 71-72.
63. انظر الخارطة رقم ٤
64. انظر الخارطة رقم ٣
65. Rudolph, C. "The Iron Age Fortresses in Central Negev". BASOR: 236. New Haven, 1979. PP. 68-75.
66. Mabry, J. "Investigations at Tell el-Handaquq, Jordan (1987-1988)". ADAJ: 33. Amman, 1989. PP. 59-96.
67. Ibid. PP. 74-84.
68. التيمار هو اقطاع عسكري
69. البخيت، محمد عدنان، والحمود، نوفان، دفتر لواء عجلون، طابو دفتر رقم ١٨٥. عمان ١٩٩١. ص ١٩.

70. Kareem, J. Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Jisr Sheikh Hussein Region. Unpublished MA Thesis. Yarmouk University.

Kareem, J. "Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Djisr Shaykh Husayn Region". Studies on the History of Bilad al

انظر الخارطة رقم ٦

Sham During the Umayyad Period. ed. Muhammad A. Bakhit and Mohammad Y. Abbadi. Amman. 1990. PP. 40-45.

71. Kareem, J. The Settlement Patterns in the Jordan Valley in the Mid- to Late Islamic Period. Ph. D. Frei Universitat Berlin. PP. 105-180.
انظر الخارطة رقم ٥

72. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975." BASOR 222. New Haven, 1976. P. 63.

73. القلقشندي(ابو العباس احمد بن علي )صبح الاعشى في صناعة الانشا ·ج١٤· الهيئة العامة المصرية ، ١٩٧٣ ·ص٣٧٠·

74. ابن تعري بردى( جمال الدين ابي المحاسن يوسف ) ·النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة·ج١٦· تدقيق جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت ·القاهرة ، ١٩٧١ ·ص٤٨·

75. Muheisen, M. "A Survey of Prehistoric Sites in the Jordan Valley, 1985". BAR 396 (i). ed. Andrew N. Garrard and Hans Georg Gebel. Oxford, 1988. P. 520.

76. Villiers, L. "First Report on Palaeolithic Sampling at Abu el-Khas, Pella". ADAJ: 24. Amman, 1980. PP. 163-168.
Villiers, L. "Final Report on Palaeolithic Sampling at Abu al-Khas, North Jordan". ADAJ: 27. Amman, 1983. P. 40.

77. Muheisen, M. "A Survey of Prehistoric Sites in the Jordan Valley, 1985". BAR 396 (I). ed. Andrew N. Gerrard and Hans Georg Gebel. Oxford, 1988. P. 520.

78. Ibid. P. 520.

79. Edwards, P.; Brouke, S.; Colledge, S.; Head, J. and Macumber, P. "Late Pleistocene Prehistory in Wadi al-Hammeh, Jordan Valley". BAR: 396 (i), ed. Andrew N. Gerrard and Hans Georg Gebel. Oxford, 1988. PP. 530-534.
McNicoll, A.; Edwards, P.; Hosking, J.; Macumber, P.; Walmsley, A. and Watson, P. Preliminary Report on the University of Sydney's Seventh Season of Excavations at Pella (Tabaqat Fahl), 1985". ADAJ: 30. Amman, 1986. P. 158.
Potts, T.; Brouke, S.; Edwards, P.; Richards, F. and Wightman, G. "Preliminary Report on the Eighth and Ninth Seasons of Excavation by the University of Sydney at Pella (Tabaqat Fahl) 1986 and 1987". ADAJ: 32. Amman, 1988. PP. 116-119.

80. كفافي ،زيدان عبدالكافي·الاردن في العصور الحجرية ،منشورات لجنة تاريخ الاردن ،١٩٩٠·عمان ص١٠١·

81. McNicoll, A.; Ball, W.; Bassett, S.; Edwards, P.; Macumber, P. ; Petocz, D.; Potts, T.; Randle, L.; Villiers, L. and Watson, P. "Preliminary Report on the University of Sydney's Fifth Season of Excavation at Pella in Jordan. ADAJ: 28. Amman, 1984. PP. 56-61.
McNicoll, A.; Edwards, P.; Hosking, J.; Macumber, P.; Walmsley, A. and Watson, P. " Preliminary Report on the University of Sydney's Seventh Season of Excavations at Pella (tabaqat Fahl), 1985". ADAJ: 30. Amman, 1986. P. 160.
Edwards, P.; Brouke, S.; Da Costa, K.; Tidmarsh, J.; Walmsley, A. and Watson, P. "Preliminary report on the University of Sydney's Tenth Season of Excavations at Pella (Tabaqat Fahl) in 1988". ADAJ: 34. Amman, 1990. PP. 58-60.
Edwards, P. "The Epipalaeolithic Period". Pella in Jordan 2. ed. McNicoll, A.; Edwards, P.; Hanbury-Tenison, J.; Hennessy, B.; Potts, T.; Smith, R.; Walmsley, A. and Watson, P. Sydney, 1992. PP. 2-6.

82. McNicoll, A.; Smith, R. and Hennessy, B. Pella in Jordan 1. Camberra, 1982. P. 26.

83. كفافي، ص ١٢٥-١٢٦، ١٤٠.

84. De Contenson, H. "Three Soundings in the Jordan Valley". ADAJ: 4-5. Amman, 1960. PP. 12-57.

85. Ibid. PP. 12-57.

86. Mellaart, J. "The Neolithic Site of Grubba". ADAJ: 3. Amman, 1956. PP. 24-40.

87. Hennessy, J. "Preliminary Report on a First Season of Excavations at Teleilat Ghassul". Levant: 1. London, 1969. PP. 1-24.

88. Kafafi, Z. The Neolithic of Jordan (East Bank). Ph. D. Thesis. Frei Universitat Berlin. Berlin.

89. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven, Cambridge, 1951. P. 276.
وانظر اللوحة رقم ١

90. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
وانظر اللوحة رقم ٢

91. انظر اللوحتين رقم ٣و٤

92. Koucky, F. and Smith, R. "Lake Baisan and the Prehistoric Settlement of the Northern Jordan Valley". Paleorient: 12/2. Paris, 1986. PP. 24-31.

93. Ibid. PP. 27-37.

94. Dollfus, G.; Kafafi, Z.; Coqueugnoit, E,; Desse, J. and Neef, R. "Preliminary Results of the First Season of the Joint Jordano-French Project at Abu Hamid". ADAJ: 30. Amman, 1986. PP. 353-380.
Dollfus, G.; Kafafi, Z.; Rewerski, J.; Vaillant, N.; Coqueugoint, E.; Desse, J. and Neef, R. "Abu Hamid: An Early Fourth Millennium Site in the Jordan Valley, Preliminary Results. BAR: 396 (i). ed. Gerrard, E. and Gebel, H. Oxford, 1988. PP. 576-601.

95. Hennessy, J. "Preliminary Report on a First Season of Excavations at Teleilat Ghassul". Levant: 1. London, 1969. P. 5.

96. Ibrahim, M. "Archaeological Excavations at Sahab, 1972". ADAJ: 17. Amman, 1972. PP. 23-36.
Ibrahim, M. "Second Season of Excavations at Sahab, 1973". ADAJ: 18. Amman, 1974. PP. 55-61.
Ibrahim, M. "Third Season of Excavations at Sahab, 1975". ADAJ: 20. Amman, 1975. PP. 69-82.

97. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP.239-303.

98. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.

99. انظر اللوحة رقم ٣

100. انظر اللوحة رقم ٤

101. ياسين، خير. جنوبي بلاد الشام-تاريخه وآثاره في العصور البرونزيه. منشورات لجنة تاريخ الاردن. عمان، ١٩٩١. ص٣٠.

102. De Contenson, H. "Three Soundings in the Jordan Valley". ADAJ: 4-5. Amman, 1960. PP: 12-31.
Gustavson-Gaube, C. "Tell esh-Shuna North, 1985: A Preliminary Report". ADAJ: 30. Amman, 1986. PP: 69

103. Pritchard, J. The Cemetery at Tell es-Sa'idiyeh, Jordan. Penssylvania.
Tubb, J. "Tell es-Sa'idiyeh: Preliminary Report on the First Three Seasons of Renewed Excavations". Levant: 20. London, 1988. P. 65.

104. Mabry, J. "Investigations at Tell el-Handaquq, Jordan (1987-1988)". ADAJ: 33. Amman, 1989. PP. 59-96.
105. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
106. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
107. انظر اللوحة رقم ١
108. انظر اللوحة رقم ٢
109. Schaub, T. "The Origins of the Early Bronze Age Walled Towns Culture of Jordan". SHAJ: 1. Ed. Hadidi, A. Amman, 1982. P. 74.
ياسين ، ص٣٢٠
110. Ibrahim, M. and Mittmann, S. "Tell el-Mughayyir and Khirbet Zeraqoun". News Letter no. 4. Institute of Archaeology and Anthropology-Yarmouk University, 1987. PP. 3-6.
Ibrahim, M. and Mittmann, S. "Excavations at Khirbet ez-Zeraqoun 1991". News Letter no. 12. Institute of Archaeology and Anthropology-Yarmouk University, 1991. PP. 3-5.
111. Tubb, J. "Preliminary Report on the 1985 Season of Excavations at Tell es-Sa'idiyeh, Jordan". ADAJ: 29. Amman, 1985. P. 140.
Tubb, J. "Tell es-Sa'idiyeh 1986: Interim Report of the Second Season of Excavations". ADAJ: 30. Amman, 1986. P. 123.
Tubb, J. "Tell es-Sa'idiyeh: Preliminary Report on the First Three Seasons of Renewed Excavations". Levant: 20. London, 1988. P. 65.
Tubb, J. "Preliminary Report on the Fourth Season of Excavations at Tell es-Sa'idiyeh in the Jordan Valley". Levant: 22. London, 1990. PP. 33, 37-38.
Tubb, J. "Preliminary Report on the Fifth (1990) Season of Excavations at Tell es-Sa'idiyeh". ADAJ: 25. Amman, 1991. P. 189.
Tubb, J. and Dorrell, P. "Tell es-Sa'idiyeh: Interim Report on the Fifth (1990) Season of Excavations". Levant: 23. London, 1991. P. 83.
112. Fischer, P. "Tell Abu al-Kharaz: The Swedish Jordan Excavation 1989, First Season, Preliminary Report From Trial Soundings". ADAJ: 35. Amman, 1991. PP. 77-81.
Fischer, P. "Tell Abu al-Kharaz: The Swedish Jordan Expedition 1991, Second Season, Preliminary Excavation Report". ADAJ: 37. Amman, 1993. PP. 284-287.
113. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP.239-303.
انظر اللوحة رقم ١
114. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انظر اللوحة رقم ٢
115. Albright, W. "Palestine in the Earliest Historical Period". Journal of Palestine Oriental Society ,(JPOS), 2. Jerusalem, 1922. PP. 110-139.
116. Edzard, D. Die Zweite Zwischenzeit Babyloniens. Wiesbaden, 1957.
117. ياسين ، ص٣٧٠
118. Lapp, P. The Dhahr Mirzbaneh Tombs: Three Intermediate Bronze Age Cemeteries in Jordan. New Haven, 1966.
Richard, S. "Toward a Consensus of Opinion on the End of the Early Bronze Age in Palestine-Transjordan". BASOR: 237. New Haven, 1980. PP. 5-34.
119. Prag, K. "The Intermediate Early Bronze-Middle Bronze Age: An Interpretation of the Evidence from Transjordan, Syria and Lebanon".

Levant: 6. London, 1974. PP. 69-116.
120. Falconer, S. "Village Pottery Production and Exchange: A Jordan Valley Perspective". SHAJ: III. Amman, 1987. PP. 251-252.
121. Helms, S. The EB IV (EB-MB) Cemetery at Tiwal esh-Sharqi in the Jordan Valley, 1983". ADAJ: 27. Amman, Jordan. PP. 55-85.
Helms, S. "The EB IV (EB-MB) Cemetery at Tiwal esh-Sharqi". LA: 33. Jerusalem, 1984. PP. 407-408.
Helms, S. "The EB IV (EB-MB) Cemetery at Tiwal esh-Sharqi in the Jordan Valley". ADAJ: 28. Amman, 1984. PP. 55-86.
122. Helms, S. "Excavations at Tell Umm Hammad esh-Sharqia in the Jordan Valley, 1982". Levant: 16. London, 1984. PP. 35-54.
123. Prag, K. "Kilns of the Intermediate Early-Middle Bronze Age at Tell Iktanu. Preliminary Report, 1987 Season". ADAJ: 32. Amman, 1988. PP. 59-72.
Prag, K. "Preliminary Report on the Excavations at Tell Iktanu, Jordan, 1987". Levant: 21. London, 1989. PP. 33-46.
Prag, K. "Preliminary Report on the Excavations at Tell Iktanu, Jordan 1989". ADAJ: 34. Amman, 1990. PP. 119-130.
Prag, K. "Preliminary Report on the Excavations at Tell Iktanu and Tell al-Hammam, Jordan, 1990:. Levant: 23. London, 1991. PP. 55-66.
124. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. P. 51.
125. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
انظر اللوحة رقم ١
126. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50. انظر اللوحة رقم ٢
127. انظر اللوحتين رقم ٣ و ٤
128. Kenyon, K. "Palestine in the Middle Bronze Age". CAH: 2, part 1. Cambridge, 1973. PP. 77-116.
Dever, W. "The Beginning of the Middle Bronze Age. The Biblical Archaeologist ,(BA),: 15. New Haven, 1976. PP. 58-61.
Gerstenblith, P. "The Levant at the Beginning of the Middle Bronze Age". AASOR: 2-3. New Haven-Cambridge, 1983.
129. Parr, P. "The Origin of Rampart Fortification of the Middle Bronze Age, Palestine and Syria. ZDPV: 48. Leipzig, 1968. PP. 18-45.
130. Potts, T. "A Bronze Age Ivory-Decorated Box from Pella (Pahel) and its Foreign Relations. SHAJ III. ed. Hadidi, A. Amman, 1987. PP. 59-72.
131. Kenyon, K. Archaeology in the Holy Land. 4th edition. New York, 1979.
132. Smith, R. Pella of the Decapolis 1, the 1967 Season of the Colledge of Wooster Expedition to Pella. Wooster, 1973. P. 13.
133. Falconer, S.; Magness-Gardiner, B. and Metzger, M. "The 1982 Excavations of the Tell el-Hayyat Project". ADAJ: 27. Amman, 1983. PP. 87-104.
Falconer, S.; Magness-Gardiner, B. and Metzger, M. "Preliminary Report of the First Season of the Tell el-Hayyat Project". BASOR: 255. New Haven, 1984. PP. 49-75.
134. Tubb, J. "Tell es-Sa'idiyeh". Levant: 20. London, 1989. PP. 23-88.
135. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
انظر اللوحة رقم ١
136. Ibrahim, M.;Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انظر اللوحة رقم ٢

137. انظر اللوحتين رقم ٣ و ٤
138. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New-Haven, 1976. P. 54.
139. Pritchard, J. Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament. Princeton, 1950.
Weinstein, J. "The Egyptian Empire in Palestine". BASOR: 24. New Haven, 1981. PP. 1-23.
140. Hoffmeir, J. "Reconsidering Egypt's Part in the Termination of the Middle Bronze Age in Palestine". Levant, 21. London, 1989. PP. 181-193.
Hoffmeir, J. "Some Thoughts on William G. Dever's Hyksos, Egyptian Destructions, and the End of the Palestinian Middle Bronze Age". Levant: 22. London, 1990. PP. 83-89.
141. Shea, W. "The Conquest of Sharuhen and Megiddo Reconsidered". Israel Exploration Journal, (IEJ),: 29. Jerusalem, 1979. PP. 1-5.
Weinstein, J. "Egypt and the Middle Bronze IIC/Late Bronze IA Transition in Palestine". Levant: 23. London,1991. PP. 105-115.
Dever, W. "Hyksos, Egyptian Destructions and End of the Palestinian Middle Bronze Age". Levant: 22. London, 1990. PP. 75-82.
142. Pritchard, J. Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament. Princeton, 1950. PP. 352-353.
143. Campbell, G. The Chronology of the Amarna Letters. Baltimore, 1964.
Albright, W. "The Amarna Letters from Palestine". CAH: 2, part 1. Cambridge, 1975. PP. 88-116.
144. Nicolaaou, K. "The Mycenaeans in the East". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 121-126.
145. Tubb, J. "Tell es-Sa'idiyeh: Preliminary Report on the First Three Seasons of Renewed Excavations". Levant: 20. London, 188. P. 65.
146. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
انظر اللوحة رقم ١
147. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انظر اللوحة رقم ٢
148. انظر اللوحة رقم ٣
149. انظر اللوحة رقم ٤
150. Herr, L. "Shifts in Settlement Patterns of Late Bronze and Iron Age Ammon". SAHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 175-177.
151. Dornemann, R. "The Beginning of the Iron Age in Transjordan". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 135-140.
152. ابو طالب ،محمود.آثار الاردن في العصور القديمة ،اضواء حديدة.وزارة الثقافةوالشباب ،عمان ،١٩٧٨، ص٧٩.
153. ابو طالب ، ص٨٠.
طوقان ،فواز أحمد.مسلة ميشع ملك موءاب" ترجمة حديدة " . حولية دائرة الاثار العامة ،العدد ١٥. عمان ، ١٩٧٠ .ص ص١٩_٥١.
Bernhardt, K. "The Political Situation in the East of Jordan During the Time of King Mesha'". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 163-167.
154. ابو طالب ، ص٨٠.
155. Bennett, C. "Neo-Assyrian Influence in Transjordan". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 181-186.
156. Yassine, K. "Ammonite Seals from Tell el-Mazar". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 189-194.
157. Tubb, J. "Preliminary Report on the 1985 Season of Excavations at Tell es-

Sa'idiyeh, Jordan". ADAJ: 29. Amman, 1985. PP. 135-139.
Tubb, J. "Tell es-Sa'diyeh, Interim Report of the Second Season of Excavations". ADAJ: 30. Amman, 1986. PP. 118-119.
Tubb, J. "Tell es-Sa'idiyeh: Preliminary Report on the First Three Seasons of Renewed Excavations". Levant: 20. London, 1988. P. 72.
Tubb, J. "Tell es-Sa'idiyeh 1987: Third Season Interim Report". ADAJ: 32. Amman, 1988. PP. 43-48.
Tubb, J. "Preliminary Report on the Fourth Season of Excavations at Tell es-Sa'idiyeh in the Jordan Valley". Levant: 22. London, 1990. PP. 24-25.
Tubb, J. "Preliminary Report on the Fifth (1990) Season of Excavations at Tell es-Sa'idiyeh". ADAJ: 25. Amman, 1991. P. 183.
Tubb, J. and Dorrell, P. "Tell es-Sa'idiyeh: Interim Report on the Fifth (1990) Season of Excavations". Levant: 23. London, 1991. PP. 69-74.

158. Fischer, P. "Tell Abu al-Khraz: The Swedish Jordan Expedition 1989, First Season Preliminary Report from Trial Soundings". ADAJ: 35. Amman, 1991. PP. 73-76, 79, 81.
Fischer, P. "Tell Abu al-Kharaz: The Swedish Jordan Expedition 1991, Second Season Preliminary Excavation Report". ADAJ: 37. Amman, 1993. P. 281.

159. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
انطر اللوحة رقم ١

160. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انطر اللوحة رقم ٢

161. انطر اللوحة رقم ٣

162. انظر اللوحة رقم ٤

163. جونز ،أ٠مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ٠ترجمة احسان عباس ،دار الشروق للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٧٠ص٢٩_٥٠٠

164. Simith,R."The Southern Levant in the Hellenistic Period".Levant:22.London.1990.pp.122-124.

165. Smith, R. "The Southern Levant in the Hellenistic Period". Levant: 22. London, 1990. PP. 123-129.

166. Hadidi, A. "Amman-Philadelphia: Aspects of Roman Urbanism". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 295-298.

167. Barghouti, A. "Urbanization of Palestine and Jordan in Hellenistic and Roman Times". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 209-229.

168. Tubb, J. and Dorrell, P. "Tell es-Sa'idiyeh: Interim Report on the Fifth (1990) Season of Excavations". Levant: 23. London, 1991. P. 75.

169. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
انطر اللوحة رقم ١

170. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انظر اللوحة رقم ٢

171. Smith, R. "Preliminary Report on the 1981 Season of the Sydney/Wooster Joint Expedition to Pella (Spring Season)". ADAJ: 26. Amman, 1982. PP. 331-332.

172. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. P. 58.

173. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
انظر اللوحة رقم ١

174. Ibrahim, M.;Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey,
انظر اللوحة رقم .

1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.

175. Mittmann, S. Beitrage zur Siedlungs und Territorialgeschichte des Nordlichen Ostjordanlandes. Wiesbaden, 1970. 139-143.
176. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR, 222. New Haven, 1976. P. 59.
177. Mittmann, S. Beitrage zur Siedlungs und Territorialgeschichte des Nordlichen Ostjordanlandes. Wiesbaden, 1970. PP. 137-138.
178. Mabry, J. and Palumbo, G. "The Wadi el-Yabis Survey". ADAJ: 32. Amman, 1988. P. 291.
179. انظر اللوحة رقم ٣ و ٤
180. Ostrogorsky, G. History of the Byzantine State. Padstow, 1984. P. 95.
Vasiliev, A. History of the Byzantine Empire. London, 1958. P. 195.
181. Vasiliev, A. History of the Byzantine Empire. London, 1958. P. 104, 133, 136.
Ostrogorsky, G. History of the Byzantine State. Padstow, 1984. P. 58, 62, 70.
182. Vasiliev, A. History of the Byzantine Empire. London, 1958. P. 104, 114, 133.
Ostrogorsky, G. History of the Byzantine State. Padstow, 1984. P. 52, 54, 62.
183. Bury, J. History of the Later Roman Empire. London, 1958. P. 61.
Vasiliev, A. History of the Byzantine Empire. London, 1958. PP. 86-87, 103, 111, 113, 140, 171-172.
184. Kareem, J. Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Jisr Sheikh Hussein Region. MA Thesis. Institute of Archaeology and Anthropology-Yarmouk University, 1987. PP. 32-34.
185. حوري ، ميسون. الارضيات الفسيفسائية في كنيسة المصيلة ، دراسة مقارنة مع بعض ارضيات الكنائس في شمال الاردن. رسالة ماجستير. معهد الاثار والانثروبولوجيا - جامعة اليرموك ، ١٩٩٠.
186. Glueck, N. "Explorations in Eastern Palestine, IV". AASOR: XXV-XXVIII. New Haven-Cambridge, 1951. PP. 239-303.
انظر اللوحة رقم ١
187. Ibrahim, M.; Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انظر اللوحة رقم ٢
188. انظر اللوحة رقم ٣
189. انظر اللوحة رقم ٤
190. Steuernagel, C. "Der 'Adschlun". ZDPV: 48. Leipzig, 1925. P. 343.
191. Piccirillo, M. "The Umayyad Churches of Jordan". ADAJ: 28. Amman, 1984. P. 338.
192. Piccirillo, M. "A Church at Shunat Nimrin". ADAJ: 26. Amman, 1982. PP. 335-343.
193. الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير . تاريخ الطبري ، ج٣. القاهرة ، دار المعارف وبيروت ، دار سويدان ، ١٩٦٧ . ص٤٣٤.
ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد. الكامل في التاريخ ، ج٢. دار بيروت ، ١٩٦٧. ص٤٢٩.
194. الطبري ص١٨٦٦.
195. Kareem, J. Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Jisr Sheikh Hussein Region. MA Thesis. Institute of Archaeology and Anthropology-Yarmouk University, 1987. PP. 36-38.
196. Johns, J. "Islamic Settlement in Ard el-Karak". SHAJ: IV. ed. Hadidi, A. Amman, 1992. PP. 366-367.

197. Kareem, J. Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Jisr Sheik Hussein Region. MA Thesis. Institute of Archaeology and Anthropology-Yarmouk University, 1987. PP. 446-447.
Kareem, J. "Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Djisr Shaykh Husayn Region". Studies on the History of Bilad al-Sham During the Umayyad Period. ed. Muhammad A. Bakhit and Mohammad Y. Abbadi. Amman, 1990. P. 133.

198. Franken, H. and Kalsbeek, J. Poters of a Medieval Village in the Jordan Valley. New York, 1975. PP. 67-105.

199. Ibrahim, M.;Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.

200. انطر اللوحة رقم ٢
انظر اللوحتين ٣ و ٤

201. Brockelmann, C. History of the Islamic Peoples. London, 1982. P. 156.
Shaban, M. Islamic History, A New Interpretation 2. Cambridge, 1976. PP. 136-140.

202. Brockelmann, C. History of the Islamic Peoples. London, 1982. PP. 107-180.

203. Sauer, J. "The Pottery of Jordan in the Early Islamic Periods". SHAJ: I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 32-33.
Smith, R. Pella of the Decapolis 1, the 1967 Season of the Colledge of Wooster Expedition to Pella. Wooster, 1973.
De Vries, B. "Urbanization in the Basalt Region of North Jordan in Late Antiquity: The Case of Umm el-Jimal". SHAJ: II. ed. Hadidi, A. Amman, 1985. PP. 249-259.

204. Walmsley, A. "Fihl (Pella) and the Cities of North Jordan During the Umayyad and Abbasid Periods". SHAJ: IV. ed. Hadidi. Amman, 1992. PP. 377-384.
Walmsley, A. and Smith, R. "The Islamic Period". Pella in Jordan 2. ed. McNicoll, A.; Edwards, P.; Hanbury- Tenison, J.; Hennessy, J.;, Potts, T.; Smith, R.; Walmsley, A. and Watson, P. Sydney, 1992. PP. 182-198.

205. الاصطخرى ،اسحق بن ابراهيم.المسالك والممالك.تدقيق محمد جابر عبدالعال الحسي.القاهرة ، ١٩٦١ ، ص٤٥.

206. ابن الفقيه ،ابو بكر احمد بن محمد الهمداني ،مختصر كتاب البلدان ،لندن، ١٩٦٧، ص٥٦.
المقدسي ،محمد بن احمد.احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،لندن بريل، ١٩٦٧.ص١٨٠.

207. Kareem, J. "Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Djisr Shaykh Husayn Region". Studies on the History of Bilad al-Sham During the Umayyad Period. ed. Muhammad, A. Bakhit and Mohammad Y. Abbadi. Amman, 1990. PP.40-45.

208. Franken, H. and Kalsbeek, J. Poters of a Medieval Village in the Jordan Valley. New York, 1975. PP. 107-162.

209. Ibrahim, M.;Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انظر اللوحة رقم ٢

210. انظر اللوحة رقم ٣

211. انطر اللوحة رقم ٤

212. Beyer, G. "Civitas Ficum". ZDPV: 69. Wiesbaden, 1953. P. 76.
Smail, R. The Crusaders in Syria and in the Holy Land. Thames and Hudson, 1973. PP. 9-38.
Muller-Weiner, W. Castles of the Crusaders. New York, 1966.

213. القلقشندى ، ج٤ ،ص١٠٥.
ابن شداد ،عز الدين محمد بن على بن ابراهيم.الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة .
دمشق ، ١٩٦٢ .ص٨٦.

214. Smail, R. The Crusaders in Syria and in the Holy Land. Thames and Hudson, 1973. P. 100.
Beyer, G. "Civitus Ficum". ZDPV: 69. Wiesbaden, 1953. P. 67.
215. Beyer, G. "Civitus Ficum". ZDPV: 69. Wiesbaden, 1953. P. 67.
216. Beyer, G. "Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea". ZDPV: 70. Wiesbaden, 1954. PP. 22-24.
217. ابن شداد ، ص٨٧.
218. الدمشقي ،الانصاري،ابو عبدالله محمد.نخبة الدهر في عجائب البر والبحر.ليبزج ،١٩٢٣ .ص٢٠١.
219. القلقشندى ،ج١٤_٣٨٠.
220. ابن شداد . ص٢٢٦.
221. القزويني ،ابو زكريا محمد بن محمد ، آثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ،دار صادر ، ١٩٦٩ ،ص٩٥.
ابن شداد ، ص١٣٦.

222. Henninger, J. "Pariastamme in Arabien". Arabica Varia. Schweiz Orbis Biblicus Orientalis 901. Gottingen, 1989. PP. 244-246.
223. Kareem, J. The Settlement Patterns in the Jordan Valley in the Mid- to Late Islamic Period. Ph. D. Thesis. Frei Universitat Berlin, 1992. PP. 105-180.
224. De Hass, H.; LaGro, H. and Steiner, M. "First Season of Excavations at Tell Abu Sarbut, 1988". ADAJ: 33.Amman, 1989. PP. 323-326.
LaGro, H. "Abu Sarbut" AKKADICA: VII. PP. 118-119.
225. Kareem, J. Evidence of the Umayyad Occupation in the Jordan Valley as Seen in the Jisr Sheikh Hussein Region. MA Thesis. Institute of Archaeology and Anthropology-Yarmouk University, 1987. PP. 92-123.
226. Franken, H. and Kalsbeek, J. Poters of a Medieval Village in the Jordan Valley. New York, 1975.
227. Ibrahim, M.;Sauer, J. and Yassine, K. "The East Jordan Valley Survey, 1975". BASOR: 222. New Haven, 1976. PP. 48-50.
انظر اللوحة رقم ٢
228. Ibid. P. 63.
229. انظر اللوحة رقم ٣
230. Kareem, J. "Tell Fendi: Jisr Sheikh Hussein Project, 1986". ADAJ: 33. Amman, 1989. PP. 97-110.
231. انظر اللوحة رقم ٤
232. Sharon, M. "The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries". Studies on Palestine During the Ottoman Period. ed. Ma'oz, M. Jerusalem, 1975. PP. 13-17.
Lapidus, I. Muslim Cities in the Later Middle Ages. Cambridge: Harvard University Press, 1967. PP. 27-28.
المقريزى ،احمد بن علي.كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج٢ . تحقيق محمد زيادة ، القاهرة ، ١٩٥٦ . ص٤٠٨.
233. المقريزى ،ج٢ ،ص٧٧٤.
ابن تغربردى ، ج١٠ ،ص٢٠٩.
234. Dols, M. The Black Death in the Middle East. Princeton, 1977. P. 62.
المقريزى ،ج٢ ،ص٧٨٤.
235. Ashtor, A. "Levantine Sugar Industry in the Late Middle Ages: An Example of Technological Decline". Israel Oriental Studies, (IOS), 226-280. Jerusalem, 1977. P. 236.
236. Hartmann, R. "Die Strasse von Damaskus nach Kairo". Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft,(ZDMG),: 64. Leipzig, 1910. PP. 694-702.

237. Lewis, B. Studies in Classical and Ottoman Islam (7th-16th century). London, 1976. PP. 465-476.
Hutteroth, W. and 'Abdulfattah, K. Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century. Erlangen, 1977. P. 55.
Al-Bakhit, M. "Jordan in Perspective: The Mamluk-Ottoman Period". SHAJ I. ed. Hadidi, A. Amman, 1982. PP. 361-362.
238. Hutteroth, W. and "Abdulfattah, K. Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century. Erlangen, 1977.
البخيت والحمود ، ١٩٩١م.
239. Hutteroth, W. and "Abdulfattah, K. Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 16th Century. Erlangen, 1977. Map no. 3.
240. البخيت والحمود ، ص٢٢٦.
241. المصدر السابق ص١٩.
242. المصدر السابق ، ص٢٤٧.
243. المصدر السابق ، ص٢٤١.
244. المصدر السابق ، ص٧٢.
245. Ma'oz, M. Ottoman Reform in Syria and Palestine During the Ottoman Period. Oxford, 1968. P. 31.
246. Cohen, A. Palestine in the 18th Century. Jerusalem, 1973. P. 31.
247. Rafeq, A. The Province of Damascus 1723-1783. Beirut, 1966. P. 130, 157, 285,
Cohen, A. Palestine in the 18th Century. Jerusalem, 1973. P. 92, 104-111.
248. Burckhardt, J. Travels in Syria and the Holy Land. London, 1822. PP. 325-346.
Buckingham, J. Reisen durch Syrie und Palastina. Zweiter Teil. Weimar, 1828. P. 9.
249. Robinson, E. Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions. Vol. III. Jerusalem, 1970. P. 317.
Warren, C. "Expedition East of Jordan". PEF. London, 1870. P. 285.
Northy, A. "East of Jordan, Expedition". PEF. London, 1872. P. 71.
Schumacher, G. "Dscherasch". ZDPV: 25. Leipzig, 1902. P. 114.
Smith, A. The Historical Geography of the Holy Land. London, 1897. PP. 488-489.
250. Steuernagel, C. "Der "Adschlun". ZDPV: 48. Leipzig, 1925. P. 341.

# العناصر المعمارية لمساكن العصر الحجري الحديث قبل الفخاري (ب) في جنوب الاردن ( دراسة تحليلية )

د. خالد محمود أبو غنيمة
استاذ مساعد
جامعة اليرموك/معهد الاثار والانثروبولوجيا
قسم الاثار

يعد العصر الحجري الحديث « النيوليث » من أهم الفترات التي مرت بالانسان خلال تاريخه الطويل ، اذ استطاع أن يحقق فيها لاول مرة اعتماده على نفسه في انتاج الطعام والغذاء والاكتفاء الذاتي . واعتبر العديد من العلماء توصل الانسان الى انتاج قوته بنفسه من أهم الانجازات التي أثرت في حياته ، وتطوره ، ورقيه فيما بعد، إذ وضع بعمله هذ نهاية لعهد طويل من الانتقال والترحال ، وأدى الى ارتباطه بالارض واقامته الدائمة بالقرب من مزروعاته وحيواناته المدجنة ، مما أدى الى اقامة اولى القرى والمستوطنات الدائمة في تاريخ البشرية . استخدم مصطلح « العصر الحجري الحديث » بشكل كبير للدلالة على نظام اقتصادي مميز ومنظم ونظام عمراني جديد(١) ، فامتازت هذه الفترة باعتماد الانسان في حياته الاقتصادية على الزراعة، والتي شملت أنواعا عدة من الحبوب ، والنباتات ، والصيد ، كمصدر أساسي للحصول على القوت ، كما أنه توصل الى تدجين الحيوانات واخيرا الى اكتشاف الفخار . وتميزت مباني المرحلة الاولى من العصر الحجري الحديث باتخاذ الشكل الدائري أو البيضوي غير المنتظم شكلا مميزا لها ، بينما اتخذت مباني المرحلة الثانية الشكل المستطيل نمطا معماريا . واستخدم في بنائها المواد المتوفرة في البيئة المحلية، فجاءت غالبا مبنيةمن الحجارة ، أو الطوب ، أو اللبن ، أو الاخشاب(٢) . وأبرز ما امتازت به مباني هذه المرحلة استخدام القصارة بشكل كبير في تغطية الارضيات التي جاءت مصقولة في أغلب الاحيان ، كما تم دهن هذه الارضيات ــ غالبا ــ باللون الاحمر . وتعتبر هذه الخصائص قاسما مشتركا في جميع مباني هذه المرحلةالمكتشفة في مواقع بلاد الشام(٣) . وعليه اطلقت كاثلين كنيون ( K. Kenyon ) على هذه المرحلة مصطلح « مرحلة الارضية المقصورة »( Plastered Floor Period ) (٤) .

اخترت مرحلة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» في جنوب الاردن كموضوع لهذا البحث بسبب اكتشاف العديد من المواقع الممثلة لمراحل مختلفة لهذه الفترة في المنطقة . حيث نالت هذه المنطقة اهتماما وتركيزا كبيرين في مجال

دراسات تاريخية ، العددان ٥١ / ٥٢ ، كانون الثاني ــ نيسان ١٩٩٥

المسوحات والتقنيات الاثرية من قبل الباحثين المحليين والاجانب وللنتائج المهمة التي اسفرت عنها هذه التنقيبات .

وسيقتصر بحثنا على موضوع العمارة وما يتعلق بها من عناصر اساسية للمباني والمواد المستخدمة في انشاء هذه المباني .. وتهدف هذه الدراسة التعرف الى المواد الانشائية التي استخدمت في البناء وتأثيرها على تلك الاشكال والتعرف الى المقومات الاساسية لبناء المساكن والى محاولة استخراج الاشكال السكنية القديمة والاهتمام بالعناصر التي تتألف منها البيوت كالجدران ، والنوافذ ، والمداخل ، والارضيات والسقوف ، والاسطح وأماكن الخزين . وقد تم اختياري لموضوع العمارة في جنوب الاردن في هذه الفترة بسبب عدم وجود دراسة متكاملة للعمارة بكل عناصرها . اذ أن التركيز في التقارير على وصف المخطط وبعض العناصر الاخرى دون الالتفات الى بقية العناصر المعمارية الاخرى بالتفصيل ، اضافة الى أن القراء العرب ليسوا على اطلاع بخصوص هذهالفترة وما أظهرته المسوحات والتنقيبات الاثرية التي جرت في المنطقة من نتائج مهمة ، خاصة وأن أكثر ما كتب كان بلغات أجنبية لا يلم بها سوى القليل . أما ما كتب باللغة العربية في هذا الموضوع فليس أكثر من اشارات عابرة وردت هنا وهناك(٥) . اضافة الى قلة الابحاث المتعلقة بعمارة العصرا لحجري الحديث تلك التي كتبها ادوارد بانج وبراين بيرد ( E. Banning and B. Byrd) حول عمارة عين غزال في العصر الحجريالحديث وكتاب البيوت القديمة في الشرق لاوليفيةاورنش ( O Aurench ) (٦) .

من المعلوم أن فن العمارة بشكل عام وفن عمارة البيوت على وجه الخصوص تطور بمرور الزمن ولا يزال تطوره مستمرا حتى الان شأنه في ذلك شأن سائر الفنون الاخرى . وعلى الرغم من هذا التطور فاننا نلاحظ أن بعض العناصر المعمارية احتفظت بطابعها القديم ، ولا سيما في المناطق الريفية في الوقت الحالي . هذا التطور في فن العمارة من ناحية الشكل وأنماط البناء ساهم بشكل كبير في دفع العلماء والباحثين الاثريين لاعتماد البقايا المعمارية كاحدى الاسس المتبعة في تمييز وتصنيف الفترات والمراحل الزمنية وخصوصا في فترات عصور ما قبل التاريخ . وتعتبر كاثلين كنيون ( K. Kenyon ) من أوائل علماء الاثار والباحثين الذين اعتمدوا على البقايا المعمارية كخصائص مميزة في تقسيم هذه المرحلة ، اذ اعتمدت على الاختلاف في شكل البقايا المعمارية ، بالاضافة الى الادوات الصوانية التي كشفت عنها في الطبقات التي احتوت على المرحلة السابقة لظهور الفخار في العصر الحجري الحديث في موقع أريحا في تقسيمها لهذه المرحلة الى مرحلتين فرعيتين ، فاطلقت على المرحلة الاولى التي احتوت على بقايا بيوت دائرية الشكلمصطلح مرحلة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «آ» ( Pre-Pottery Neolithic A ) أو ما اصطلح على اختصاره « PPNA » ، واطلقت على

المرحلة الثانية التي احتوت على بيوت مستطيلة ذات أرضيات مقصورة اسم ( مرحلة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» ) ( Pre-Pottery Neolithic B ) ويختصر اسمها « PPNB » (٧) . واعتمد علماء آثار آخرون على هذه الاختلافات كواحدة من الاسس التي اتخذوها في تقسيماتهم لهذه المرحلة (٨) .

ولا بد لنا قبل الحديث عن عمارة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري « ب » في جنوب الاردن من اعطاء فكرة سريعة عن تاريخ الاستيطان في المنطقة .

دلت نتائج المسوحات والتنقيبات الاثرية التي جرت في المنطقة على وجود الانسان منذ أقدم العصور ، اذ عثر على سطح العديد من المواقع على لقى اثرية ، كالفؤوس اليدوية ، والشظايا ، والقواطع التي تعود الى مرحلة العصر الحجري القديم الادنى. وترك الانسان العديد من الشواهد والادلة على استخدام الملاجىء الصخرية بالاضافة الى المواقع المكشوفة في العراء مثل موقع طور صبيحة ( Tor Sabiheh ) J8 ومواقع جبل كلخة ( J 405 , J 406 b , J 407 ) وانساب ، وملجأ المدمغ ، كمناطق سكن في المراحل اللاحقة وحتى بداية العصر الحجرجي الحديث .

وتم التعرف الى عدد كبير من مواقع العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» من خلال المسوحات والتنقيبات التي جرت في منطقة جنوب الاردن. ففي المسح الاثري الذي اجراه كل من اليك كيركبرايد و لانكستر هاردنج ( A. Kirkbride and L. Harding ) لمنطقة وادي رم عام ١٩٤٧ تم التعرف الى موقع عين ابو نخيلة الذي أرخ حينذاك على أنه معاصر لأريحا ، السوية الثامنة، بناء على دراسة موسى ستيكلس ( M. Stekelis ) للأدوات الصوانية(٩) ، الا ان دراسة نتائج الحفرية التي قامت بها ديانا كيركبرايد (D. Kirkbride) في فترة لاحقة للموقع نبهت الى وجود خطأ في التأريخ ، وأشارت الى ان الموقع يعود الى العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب»(١٠) . وقامت ديانا كيركبرايد ( D. Kirkbride ) بالكشف والتنقيب عن موقع البيضا في ثمانية مواسم من ١٩٥٨ – ١٩٦٧ وعام ١٩٨٣ ، فعثرت على ست قرى ( سويات ) تعود الى مرحلة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» ، بالاضافة الى سوية نطوفية ( Natufian ) (١١) . ومع منتصف السبعينات ازداد الاهتمام بفترة عصور ما قبل التاريخ وخصوصا فترة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري في الاردن بشكل عام وجنوبه بشكل خاص ، حيث قام العديد من العلماء والباحثين باجراء مسوحات وتنقيبات أثرية منظمة ومنهجية في مناطق مختلفة من جنوب الاردن .

ويعتبر المسح الاثري لمنطقة راس النقب باشراف دونالد هنري ( D. Henry ) اعتبارا من عام ١٩٧٩ من أوائل المسوحات المنظمة لمنطقة الجنوب . وعلى الرغم من

الكشف عن العديد من مواقع العصور الحجرية في منطقة رأس النقب والحسمى ، إلا أنه لم يعثر سوى على موقع واحد أرخ لفترة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري « ب »(١٢) . وابان المسح الاثري لوادي عربة وفيدان عام ١٩٧٧ باشراف ت. ريكس ( T. Raikes ) عن وجود بعض المواقع التي تعود الى العصر الحجري الحديث(١٣) . وقامت كريستال بنت ( C. Bennet ) سنة ١٩٧٩ بحفر بعض المجسات في موقع الذراع الذي أرخته الىمرحلة العصر الحجريالحديث الفخاري«ب»ويختصر [ PNA ] مع الاشارة الى وجود رؤوس سهام خيامية(١٤) . ويعتبر المسح الاثري لمنطقة وادي الحسا الذي بداه بيرتون ماك دونالد ( B. Macdonald ) من عام ١٩٧٩ ولغاية ١٩٨٣ ثم أكمله جيفري كلارك ( G. Clarck ) من عام ١٩٨٤ وحتى الان من أهم المسوحات التي أغنت معلوماتنا عن مواقع ما قبل التاريخ في الاردن عموما والجنوب بشكل خاص، اذ أكدت نتائج المسوحات عن وجود عشرات من مواقع العصر الحجري الحديث في تلك المنطقة(١٥) . واشار هانس جيبل ( H. Gebel ) الى وجود العديد من مواقع العصر الحجري قبل الفخاري [PPN] في منطقة البتراء وذلك من خلال المسح الاثري الذي اجراه لهذه المنطقة(١٦) . وتشير نتائج المسوحات التي جرت في مناطق الطفيلة ، ووادي فينان ، والحميمة ، ووادي رم ، والعقبة ، ووادي الموجب الى وجود مواقع تعود للعصر الحجري الحديث ( خريطة رقم ١ ) .

ونستطيع من خلال النتائج التي حصلنا عليها من المسوحات والتنقيبات الاثرية استنتاج العديد من النقاط حول المواقع والعمارة في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري « ب » :

١ ـ ان الكثافة العددية لمواقع المرحلة «ب» يقابلها قلة واضحة في عدد مواقع المرحلة « أ » ، فلا يتجاوز مجموع عدد مواقع المرحلة « أ » عدد أصابع اليد الواحدة ، وهي بمجملها مواقع سطحية اعتبرت معسكرات، أو محطات صغيرة استخدمت لغايات الصيد ، ولم يتم العثور على أية بقايا عمائرية فيها ، وتم التعرف اليها من خلال وجود بعض رؤوس السهام الخيامية(١٧) .

٢ ـ على الرغم من أن العديد من مواقع العصر الحجري الحديث قبل الفخاري لم يتم استغلاله بشكل كامل ، لكن وجود هذه المواقع قريبة من بعضها بعضا ، وامتداد بعض هذه المواقع على مساحات واسعة يشير بشكل واضح الى الاستيطان المركز والكثيف لمنطقة جنوب الاردن في هذه المرحلة .

٣ ـ أوضحت النتائجالاولية للمسوحات والتنقيبات الاثرية وجود تعدد في أنماط الاستيطان في جنوب الاردن ، فجاءت بعض هذه المواقع على شكل معسكرات أو محطات

صغيرة احتوت على بعض الاكواخ ، واستوطنت لفترة قصيرة من سكان يعتمدون على الصيد ، ويعشون حياة شبه مستقرة ، كما هو الحال في موقع عين ابو نخيلة(١٨) ، وجاءت بعض هذه المواقع محطات صغيرة سكنت لفترة قصيرة من جماعات تعتمد على الصيد وجمع الطعام ،كما هو الحال في صبرا « ١ »(١٩) وموقع J24 (٢٠) ، وأخرى اعتبرت قرى زراعية سكنت دوما ، واحتوت على عدد كبير من البيوت ، وأماكن الخزين ، والاماكن العامة كموقعي البيضا والبسطة . والنمط الاخير هو المواقع التي تخصصت في صناعة الادوات الصوانية ، كموقع لذراع(٢١) .

٤ ـ تشير النتائج الاولية للتنقيبات الى ان معظم هذه المواقع يشتمل علىبقايا عمائرية واضحة المعالم ، حيث تحتوي على بيوت دائرية ، أو مستطيلة ، وارضيات مقصورة ، بعضها مدهون باللون الاحمر ( خريطة رقم ٢ ) .

٥ ـ تشير الدلائل الاثرية الى تنوع النماذج المعمارية المكتشفة في هذهالمرحلة، حيث كشف النقاب عن وجود نماذج لبيوت سكنة مبنية حول ساحات ( البيضا ، السويتان الثانية والثالثة ) او بيوت ذات وحدات منفصلة ( البيضا السوية الخامسة) أو وجود غرف صغيرة مبنية حول ممرات ( البيضا ، السويتان الثانية والثالثة)(٢٢)، بالاضافة الى وجود مجمعات سكنية كبيرة ( البسطة ) ، كما وجدت نماذج لبيوت دائرية الشكل الى جانب البيوت المستطيلة في بعض المواقع ( البيضا ، السويتان الخامسة والسادسة ) وعين أبو نخيلة .

٦ ـ الامر اللافت للنظر في مواقع العصر الحجري الحديث قبل الفخاري في جنوب الاردن بشكل خاص والاردن بشكل عامأنه باستثناءالاشارة التي أوردها هانس جبل ( H. Gebel ) عن احتمال وجود تتابع زمني من المرحلة « أ » من العصر الحجري الحديث قبل الفخاري الى المرحلة « ب » في موقع صبرا « ١ »(٢٣)، فان غالبية مواقع هذه الفترة المكتشفة في جنوب الاردن بشكلعام لم تقدم أي تتابع زمني من مرحلة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري « أ » الى المرحلة «ب» من هذا العصر . فغالبية هذه المواقع انشئت اما مباشرة فوق الارض البكر ( البسطه ، عين أبو نخيلة ) أو احتوت على سوية نطوفية (البيضا)(٢٤) .

سيتم التركيز على ثلاثة مواقع تمثل مراحل مختلفة للعصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» افضل تمثيل وهي البيضا والبسطة وعين ابو نخيلة . علما بأن أعمال التنقيب في موقعين من المواقع الثلاثة قد توقفت نهائيا ( البيضا وعين أبونخيلة)، بينما في الموقع الثالث ، فعمليات التنقيب ستستكمل في مواسم لاحقة (البسطة). هذه المواقع أرخت الى مرحلة العصر الحجري الحدبث قبل الفخاري «ب» . واستنادا

الى نتائج الكربون المشع فان موقع البيضا أقدم هذه المواقع .وتعتقد المنقبة بأن الموقع استوطن لفترة قصيرة لا تزيد عن ٥٠٠ سنة (٢٥) . اما موقع البسطة فالتواريخ التي تم الحصول عليها من عبنتين فترجعه الى قبل ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد (جدول رقم ١)(٢٦). اما موقع عين أبو نخيلة فلم يتم الحصول على اية تواريخ مطلقة وأرخ من قبل المنقبة الى نهاية الالف السابع وبداية الالف السادس قبل الميلاد(٢٧) .

## مواد البنـــاء الاوليـــة :

استخدم بناؤو العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» جميع المواد الاولية المتوفره في البيئة المحليـة أو التي أمكن توفيرهـا من المناطق المجـاورة في تشـييد المستوطنات في جنوب الاردن واقامتها . ويعتبر الحجر ، والطين ، والخشب والجص من أول المواد الاونية التي استخدمها تشييد مبانيه في المنطقـة الجنوبية وذلك لتوفر هذه المواد بكثرة في الطبيعة .

١ ــ **الحجر** : الاستخدام الواسـع النطاق للحجر في مواقع جنوب الاردن مـن السمات المميزة لعمارة الابنية في هذه المنطقة ، لتوفره بكثرة في المنطقة ، وخصوصـا الحجارة الكلسية ، والجيرية ، والبازلت ، والجرانيت . وهـو مؤشر على اسـتغلال الانسـان للبيئة المحلية . واستخدام الانسـان الحجارة بشكل عام دون تشـذيب ، اي الحجارة الفغل في تشييد مباني مواقـع هذه المرحلـة . واستخدام الانســان القديم الحجارة بأشكال مختلفة حسب توافرها بالبيئة المحلية ، فاستخدام الحجارة الرملية، والجيرية بـدون تشذيب : أي الحجارة الغفـل بأحجام متوسطة في تشـييد مباني السويات الست في البيضا ، وخربة الحمام ، وشكارة مساعيد ، كما استخدم هـذا النوع من الحجارة في اقامة القنوات التي وجدت تحت ارضيات المباني في موقع البسطة واستخدم الالواح العريضة (البلاطات) كمناضد أو طاولات في مباني الممرات في البيضا. واستخدم الالواح الحجرية العريضة كأساسات لبعض المباني ، كما هو الحال في بعض مباني السوية الرابعة في البيضا(٢٨) . أو كدرجة في الدرج الحجري الذي تميزت بـه مباني البيضا . واستخدم الحجارة على شكل رقائق مستطيلة استخرجها من طبقـات الصخور الكلسية الموجودة في المنطقة، وقام بتشذيبها وتشكيلها في تشييد بعض جدران مباني السوية الرابعة في البيضا ، وفي مباني المجمعات السكنية في البسطة . وتشـير بعض التقارير الاولية الى أن موقعي الضمان وبعجة«١» قد شيدا بحجارة مشذبة(٢٩).

٢ ــ **الطـين** : استخدم الطين كمادة رابطة بين حجارة الجدران ، كما استخدم في رصف بعض أرضـيات بعض الغرف في موقع البيضا وكـان الطين في هذه الحالـة مضغوطا . واستخدم كفرشةٍ لتغطية الاغصان التي كانت تغطي الاسقف .

٢ ـ **الخشب :** لم تظهر التنقيبات الاثرية أي أثر للمواد الخشبية بين انقاض المباني في القرى الاولى لكونها أكثر قابلية للتلف مع مرور الزمن . ومع ذلك فهناك ادلة مكنت الاثريين من معرفة أنواع الاخشاب واستخداماتها التي استعملت في سقف المباني ، أو كدعائم لحمل السقوف . وفي الواقع ليست لدينا أدلة أثرية مباشرة على استخدام الخشب في مباني هذه المرحلة باستثناء ما عثر عليه في السوية السادسة بموقع البيضا ، حيث عثر على تجاويف عمودية متوازية على مسافات متساوية في جدران البيوت الدائرية الشكل(٢٠) . كما تم التعرف الى استخدام الانسان للبلوط مما يجعلنا نعتقد أنه استخدم كأعمدة في تلك التجاويف(٢١) والادلة الاخرى على استخدام الخشب معظمها افتراضات مستندة الى وجود آثار أخرى، خاصة المنافذ والشبابيك. ويعتقد بأن السكان استخدموا نوعا من العوارض الخشبية لسقف البيوت ، ولكننا لا نملك أي دليل يثبت ذلك ، باستثناء بقايا خشبية متفحمة في السوية السادسة في البيضا(٢٢) .

٣ ـ **الجص :** مادة الجص من المواد البنائية التي استخدمها الانسان القديم في الاردن من بداية استقراره وحتى يومنا هذا ، وذلك بسبب توافرها في معظم انحاء الاردن ، وخاصة منطقة الوسط والجنوب ، ولسهولة الحصول عليها من مقالع قرب سطح الارض ، أو حتى على سطح الارض ، وكذلك استخدامها السهل ، وسرعة جفافها ، ومقاومتها الجيدة للعوامل الطبيعية(٢٣) . ويظهر أن سكان البيضا عرفوا استخدام الجص منذ بداية استقرارهم ، فنلاحظ تطورا في مراحل استخدام الجص، اذ تشير المرحلة الاولى الى استخدامه مخلوطا بالطين الرملي وذلك في طبقات الاستقرار الاولى ( السويات السادسة ـ الرابعة ) ، بسبب عدم معرفة واتقان سكان البيضا لتقنية استخراج الجص وتنقيته ، ولصعوبة الحصول على كميات كافية من الجص النقي . ولوحظ استخدام الاسلوب الثاني للجص في السويات ( الثالثة والثانية ) فلوحظ ارتفاع نسبة الجص حتى وصلت أخيرا الى استخدام الجص النقي فقط في كسو الارضيات والجدران(٢٤) . وتذكر المنقبة ان امكانية حصول سكان البيضا على الجبص متوفرة من منطقتين، الاولى عن طريق الحصول عليه من طبقات الحجر الجيري الموجود في جبال الشراة التي تبعد حوالي الساعة مشيا على الاقدام ، أو من ترسبات الترافرتين الموجودة بالقرب من الموقع بمنطقة بير أبو رجا(٢٥) . كما نجد استخداما آخر للجص في هذه المرحلة ، وهو طلاء جمجمة الميت المفصولة عن الجسد بطبقة من الجص كنوع من اعادة تشكيل الوجه .

**البقايا البنائية :** ( شكل ١ : ١ـ٢ ) ( شكل ٢ : ١ـ٢ )

تكونت البيوت الاولى من غرفة واحدة أو غرفتين ، دائرية أو مستطيلة . وكان

يقتصر استخدام الغرف للمبيت ، ولاتقاء تقلبات المناخ ، وخطر الحيوان . ولعبت حاجة الانسان الى مرافق جديدة دورا مهما في تطور شكل التصميم . ومع ازدياد عدد أفراد العائلة ، وازدياد الحاجة الى مساحات أوسع من الارض للسكن ، وأماكن خاصة لتلبية الاحتياجات الجديدة التي اقتضتها ضرورات الحياة ، قام الانسان ببناء غرف اخرى استخدمها لاغراض جديدة ظهرت في حياته لاول مرة ، كالمخازن ،وزرائب الحيوانات . وقد يختلف شكل الغرف الجديدةعن الغرف القديمة، فمثلا تكون الغرف المستخدمة للتخزين في معظم الحالاتاصغر من الغرفالمخصصة للنوم. ويمكن تحديد وظيفة الغرف من حجم الغرفة ، ووجود المواقد ، والادوات المنزلية ، والمصاطب في داخلها ، ووجود مدخل لها أو خلوها منه وموقعها بالنسبة لتصميم المنزل .

ان من أهم مميزات العمارة في مرحلة العصر الحجري قبل الفخاري «ب»شيوع استخدام المباني المستطيلة التي انتشرت في جميع مواقع هذه المرحلة بالاضافة الى المباني الدائرية . ويمكننا تصنيف مباني هذه المرحلة من ناحية الشكل الى شكلين رئيسيين هما : ١ ــ المباني الدائرية ، ٢ ــ المباني المستطيلة .

## ١ ــ المباني الدائرية :

وهي مبان ذات مخطط أرضي دائري ، تتكون من غرفة واحدة ، وتتميز بكون جدرانها الخارجية دائرية وفيها فتحة صغيرة استخدمت مدخلا ولها سقف يحتمل انه كان على شكل قبة ، ربما صنع من الواح خشبية متشابكة تستند من وسطها على دعائم خشبية ويعتبر استخدام المباني الدائرية في هذه المرحلة مؤشرا لاستمرار وتوارث للتقنية المعماريةللفترات السابقة لهذه المرحلة . وظهر هذا الشكل من المباني في جنوب الاردن ، ومن أحسن الامثلة على هذا النوع بقايا بيوت اكتشفت في السوية السادسة في البيضا ، صفت الى جانب بعضها بعضا كخلية نحل . وتم الكشف عن خمسة بيوت دائرية متلاصقة وأرضياتها تحت مستوى سطح الارض بحوالي ٥٠ سم ، وينزل اليها بثلاث درجات . وكانت الجدران الدائرية تحتوي على تجاويف عمودية متوازية على مسافات متساوية . ووجد في اثنين من البيوت حفر في وسط الغرف كركيزة لحمل السقف. ويبلغ قطر هذه البيوت الدائرية ٤م تقريبا .واستخدم الجبص في كسو الجدران والارضيات(٢٦) . وتعتبر هذه المباني المشيدة تحت مستوى الارض أقدم المباني المشيدة في البيضا ، والمعروف أن المباني الدائرية كانت الصفة المميزة لعمارة مرحلة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري « أ » في الشرق ، وحيث انه لم يتم العثور على اية بقايا تعود الى مرحلة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري « أ » في البيضا ، فهذا يدعو الى الاعتقاد بان هناك استمرارية داخل جماعات العصر

الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» لتقليد بناء المرحلة السابقة قبل حدوث التغيرات التي جرت في الشرق . وظهر مبنى دائري اخر في عين ابو نخيلة . هذا المبنى لم يبق من جدرانه سوى عدة مداميك وهو مبني تحت مستوى الارض . الا انه لا يعتبر الاقدم حيث تشير المنقبة الى وجود المباني الدائرية بجانب المباني المستطيلة في نفس الطبقة . مما يشير الى احتمالية تزامن وجود مباني دائرية الى جانب المباني المستطيلة(٣٧). وذكر هذا الوضع سابقا في موقع المريبط (السوية الثالثة ) والشيخ حسن في سوريا(٣٨) . كما ظهرت في السوية الخامسة من البيضا أيضا بيوت دائرية تختلف عن سابقتها بكونها منفردة ولا تشكل جزءا من المجموعة ، ولم تستخدم فيها التجاويف العمودية المتوازية . وتذكرنا أرضية الغرفة وجدرانها ببيوت مرحلة ما قبل الفخاري «أ» في أريحا ، ما عدا أنها كانت مطلية بالجص في البيضا . وظهرت نماذج مماثلة لهذه المباني في مواقع مختلفة ، ففي موقع نحال ايشارون [ Nahal Issaron ] في صحراء النقب ، يبعد ٦٠ كم من موقع البيضا ، عثر في الطبقة O على مبان دائرية تشبه مباني السوية السادسة في البيضا . شيدت المباني منفردة من الواح حجارة كلسية، لا تزال جدرانها قائمة على ارتفاع ٧٥ سم وتبلغ مساحة هذه المباني بين ٢ الى ٣ر٥م. ولا يقتصر التشابه على المخطط وانما ينسحب ايضا على المواد الانشائية المستخدمة ( الحجارة والاخشاب) . ويعتقد المنقب أن الموقع استوطن موسميا ولفترة قصيرة (٣٩). وكشفت التنقيبات الاثرية عن مبان دائرية في موقع وادي الضباعي «ب» في المنطقة الشرقية من الاردن والذي يبعد ٦٠كم الى الشرق من عمان(٤٠) . أما بالنسبة لوظيفة هذه البيوت فقد استخدمت لاغراض سكنية وذلك بالاستناد الى حجم هذه الغرف وما عثر عليه بداخلها من مخلفات منزلية ، مثل المواقد ، والادوات الثقيلة، كالاجران ، والمدقات ، والادوات الصوانية .

## ٢ ــ البيوت المستطيلة :

وهي بيوت ذات مخطط ارضي مستطيل ويمكن تقسيمها حسب الابنية الملحقة بها الى مايلي :

١ ــ البيوت المستطيلة العادية ، ٢ ــ ابنية الممرات ، ٣ ــ ابنية المجمعات .

### ١ ــ البيوت المستطيلة العادية :

يتكون هذا النوع من المباني من غرفة او أكثر مستطيلة متباينة المساحات ، وتتألف غرفها من اربعة جدران مستقيمة، ويمكن أن تكون بعض جدرانها منحنية قليلا. اكتشف هذا الشكل من المباني في معظم مواقع العصر الحجري الحديث قبل الفخاري

«ب» الى جانب اشكال البيوت الاخرى . وتدل المخلفات التي تم العثور عليها في هذه المباني المتمثلة المواقد . والادوات الصوانية ، وغيرها الى أنها كانت مباني سكنية اعتيادية . ففي البيضا ظهر هذا النوع اعتبارا من السويةالرابعة حتى الثانية. وتمثلت مباني السوية الرابعةببيوت مستطيلة ذات زوايا دائرية ، مكونة من غرفة واحدة تحت مستوى الارض ينزل اليها بثلاث درجات حجرية ( شكل ٢:٣ ) . وتبلغ ابعاد الغرفة ٥×٦ م وجدرانها محدبة قليلا . شيدت الجدران بحجارة رملية ، وطليت الارضية والجدران بملاط من الجص ، وخصص بعضها بموقد(٤١) . وأظهرت مباني السوية الثالثة والثانية تطورا في أساليب البناء ، فاحتوت على بيوت أكثر تعقيدا . ففي السوية الثانية وجدت بيوت كبيرة الحجم وبلغت مساحة الغرفة ٩×٧م ، ينزل اليها بثلاث درجات حجرية وتحتوي موقدا كبيرا له حافة بارزة من الحجر . طليت الارضية والجدران بملاط من الجص ، وتظهر على بعض طبقاتها حزوز من الخطوط الحمراء على مسافة ٢٥ سم من الحائط ، ثم تمتد الى أسفله شريطا تزينيا تذكرنا ببيوت شاتال هيوك [ Çatal Höyük ] وهاجيلار ( Hacilar ) في الاناضول(٤٢).

وقد تم التعرف على مواقع أخرى في جنوب الاردن تحتوي على بقايا معماريةمستطيلة كموقع عين ابو نخيلة الذي عثر فيه على مبان مستطيلة بالاضافة الى المباني الدائرية(٤٣) . وأشار هانس جبل ( H. Gebel ) الى وجود مبان مستطيلة مبنية من الحجر الكلسي في موقع البعجة ، وذكر أن بعض الجدران كانت منحنية(٤٤) . وتم التعرف في خربة الحمام الى مبان مستطيلة مبنية من الحجارة ومقصورة ومدهونة من الداخل باللون الاحمر (٤٥) . وهناك اشارة الى وجود مبان مستطيلة مبنية من الحجارة في الضمان(٤٦) .

٢ ـ أبنية الممرات :

تتكون هذه المباني من ممر طويل ( ٨×١ م ) يفضي الى مجموعة من الغرف الصغيرة المتقابلة . تبلغ مساحة الغرفة الواحدة ( ٥ر١×١ م ) ، تفصلها عن بعضها بعضا حواجز حجرية سماكتها متر وتتعداه أحيانا ، وطلي أعلاه بالجص . وقد عثر على أمثلة لهذا النوع في السوية الثانية من البيضا الى الجنوب والغرب من البيت الكبير ووراء الساحات . وتقع هذه المباني تحت مستوى الارض ، وينزل اليها بثلاث درجات ومغطاة أرضياتها بالجص . وتحتوي بعض هذه الغرف على مصاطب حجرية ونعتقد بأن هذه المباني استخدمت كمبان ذات وظائف عامة ، حيث يستدل من حجمها ومن محتوياتها على أنها كانت مراكز تجارية وصناعية لصناعة المنتوجات الصناعية وبيعها كالجواريش ، والمدقات ، وأدوات الزينة ، والادوات الصوانية والعظمية(٤٧). وكشفت التنقيبات الأثرية في المنطقة الجنوبية في عين غزال عن وجود نموذج مماثل

المباني الممرات أرخ الى فترة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ج» PPNC ويشير جاري رولفسون ( G. Rollefson ) الى أن ارضيات مباني الممرات في عين غزال تحتوي على ارضيات مقصورة بالجبص (٤٨) .

٣ ـ أبنية المجمعات ( شكل ٣:١ ) :

ظهر نموذج هذه المباني في المجمع البنائي في المنطقة «ب» في البسطة . يتألف هذا النوع من وحدات سكنية مكررة بنيت بتخطيط مسبق ، فكل وحدة سكنية تحتوي على ساحة مركزية محاطة بثلاثة أو أربعة صفوف من الغرف صغيرة المساحة على ثلاث جهات ، بينما احتوت الجهة الرابعة صفين من الغرف الصغيرةمتعاكسة الاتجاه. ويبدو أن المدخل الى الساحة كان في الجهة الجنوبية للمبنى . وتبلغ مساحة الساحة المركزية ٦×٥ر٣ م ، بينما لا تتعدى مساحة الغرف الصغيرة المتر المربع الواحد . وتتصل هذه الغرف بالساحة المركزية عن طريق نوافذ صغيرة في الجدار المواجه للساحة ، ترتفع حوالي ٦٠ سم عن أرضية الغرف . وعثر بالقرب من أحد الاعمدة في أحد اركان الساحة على مكان لايقاد النار ، كما عثر بالقرب من نفس العمود على اناء مصنوع من الطين غير المشوي ، الجزء الاسفل منه كامل ، ولا ينقصه سوى القبة والحافة . وقد استخدمت في بناء هذه المباني الحجارة الكلسية التي استخرجت من المنطقه بشكل رقائق تم تشذيبها ، ووجدت بحالة جيدة وحافظت تقريبا على ارتفاعها الاصلي حيث عثر على جدران بارتفاع ١٩٠ سم(٤٩) . وقد طليت جدران وأرضيات الغرف والساحة المركزية بالجص حيث عثر على قطع كبيرة من القصارة تحمل تشكيلات هندسية ملونة بالاحمر والاسود على خلفية ذات لون بيج فاتح(٥٠) . ويبدو أن وظيفة هذه المباني كانت عامة ، حيث استخدمت للخزين بدليل العثور على أدوات الطحن ، والجرش ، والمدقات بكثرة بالاضافة الى حجم المباني(٥١) .

نلاحظ مما سبق ذكره عن وجود تعدد في انماط المباني في المواقع المختلفة في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري « ب » . ومهما كان مدلول مباني الممرات أو مبنى الحرم في البيضا أو مباني المجمع « ب » في البسطة ، فاننا نستطيع التحدث منذ الان عن وجود تعدد في النمط العمائري في فترة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» في الموقع الواحد . حيث نلاحظ في هذه الفترة عن تشييد مبان ـ وللمرة الاولى ـ تختلف عن المباني السكنية في حجمها أو في وظيفتها . وأن كان من الصعوبة التحدث عن وظائف دينية أو اجتماعية لهذه المباني . الا أن هذا الاختلاف يجعلنا نتحدث عن امكانية وجود تطور اجتماعي في فترة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» . هذا التطور ادى بالتالي الى وجود طبقات اجتماعية مختلفة . ومن خلال هذا السياق نستطيع القول بان مواقع جنوب الاردن لعبت دور هاما وحاسما في هذا الموضوع .

## الخصائص المعمارية :

لابد أن الانسان استعان في تصميم البيوت التي شيدها بعد هجره لمناطق سكناه التقليدية وبداية استقراره بما اختزنته ذاكرته وما انطبع في ذهنه من العناصر الاساسية للكهوف والملاجىء الصخرية . احتوت هذه البيوت على العناصر التي تتألف منها الكهف وهي : المدخل ، والجدران ، والسقف . ومع مرور الزمن ، وتطور خبرة الانسان ، وازدياد تجاربه في إنشاء المباني وتشييدها ازداد عدد العناصر التي احتواها بيته ، وذلك لازدياد حاجة الانسان ومتطلباته . وتتمثل العناصر المعمارية التي عثر عليها في مواقع العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» في جنوب الاردن بما يلي : ١ ـ المداخل، ٢ ـ المرافق السكنية، ٣ ـ الجدران والدعائم، ٤ ـ النوافذ، ٥ ـ الكوات [ الحنايا ]، ٦ ـ الارضيات ، ٧ ـ السلالم والدرج ، ٨ ـ السقوف والاسطح .

### ١ ـ المداخل :

على الرغم من أن بعض المواقع الاثرية كشفت عن بقايا لمخلفات عمائرية اشتملت على اسس أو جدران قليلة الارتفاع ولا تظهر فيها المداخل ، الا اننا نعتقد بأن المدخل كان من أقدم العناصر التي ظهرت في تصميم البيوت الاولى التي شيدها الانسان . فالغرض من وجود المدخل والدور الكبير الذي يؤديه يجعل وجوده ضروريا ومرافقا للبيت منذ البداية . ومثل هذا الدور يلاحظ في تحديد سعة فتحته التي لا بد ان تكون كافية لدخول الانسان . لقد كشفت التنقيبات الاثرية النقاب عن وجود جزء من المدخل في معظم المواقع الاثرية . أما موقع المدخل بالنسبة للبيت فقد حددته الظروف الطبيعية أو العلاقات الاجتماعية التي عاصرها ذلك الانسان ، فقد يطل المدخل على ساحات مكشوفة أو شوارع ضيقة ، ولهذا يكون موقعه مختلفا من بيت لآخر . وتعتبر مداخل مباني السوية الثانية والسادسة في موقع البيضا من أفضل الامثلة على اختلاف وتعدد مواقع مداخل البيوت(٥٢) . وعلى الرغم من أن البقايا العمائرية المكتشفة في السويات الست في موقع البيضا تختلف في هندستها وبنائها الواحدة عن الاخرى ، الا أنها تشترك جميعها بصفة عامة مشتركة وهي أنها دون مستوى الارض ويتم النزول اليها بثلاث درجات حجرية (٥٣) .

يتألف المدخل من عتبة عليا وجانبين وعتبة سفلى ، ويعتبر العنصران الاول والثاني ضروريين لبناء المدخل ، في حين يمكن الاستغناء عن العنصر الثالث عند بناء مدخل البيت ، حيث يمكن بناء المدخل بدون عتبة سفلى ولكن لا نستطيع بناء مدخل الا بتشييد الجانبين والعتبة العليا . أما في ما يتعلق بالعتبات العليا للمداخل فلم تكشف التنقيبات الاثرية في أي موقع من مواقع جنوب الاردن عن أية مداخل تشتمل

على عتبات عليا ، وذلك بسبب قلة ارتفاع الجدران المتبقية . ولكننا ومن خلال ما لاحظناه في العتبات العليا لنوافذ المجمع البنائي بالمنطقة «ب» في البسطة وفي الحنية المكتشفة في البيضا ، نستطيع ان نفترض بأن عتبات المداخل لا تختلف كثيرا عن تلك العتبات ، حيث تكونت من ألواح حجرية طويلة أو مجموعة من الحجارة .

أما بالنسبة لجانبي المدخل فقد كانا بشكل عام عموديين ومشيدين من عدة صفوف من الحجارة . وعلى الرغم من صعوبة التحدث عن استخدام الانسان للالواح الخشبية لتغطية جانبي المدخل بالشكل الذي نلاحظه في وقتنا الحاضر بسبب عدم اكتشاف أية دلائل أثرية مباشرة تدل على هذا ، الا أن معرفة الانسان القديم للخشب واهميته واستخدامه له في السقف ، والاعمدة ، وغيرها يجعلنا نعتقد أنه ربما استخدمه أيضا في تغطية جوانب المدخل وعمل الابواب . وقد شيد الانسان أحيانا جانبي المدخل بلوح حجري ، كما هو الحال في أحد بيوت السوية الخامسة المكتشفة في البيضا ، حيث يبلغ ارتفاع اللوح الحجري حوالي ٥ر١ م(٥٤) . وكشفت التنقيبات الاثرية في مواقع جنوب الاردن عن بناء مداخل بدون عتبة سفلى . وتلاحظ هذه الظاهرة في بيوت البيضا وعين أبو نخيلة حيث ظهر أن معظم مداخلها لا تحتوي على عتبات سفلى ، كما هو الحال في أحد بيوت السوية الرابعة(٥٥) وكذلك في بيوت السوية الثانية ومداخل الغرف الصغيرة في مباني المرات(٥٦) . وفي البيت رقم ٤ في عين أبو نخيلة يبدو مدخل البيت الدائري بدون عتبة سفلى أيضا(٥٧) .

كما كشفت التنقيبات الاثرية عن وجود عدد غير قليل من المداخل التي تظهر بها العتبات السفلى المرتفعة فوق مستوى الارض . ففي أحد بيوت السوية الخامسة المكتشفة في البيضا ظهر مدخل يحتوي على عتبة سفلى مبنية من الحجر ترتفع قليلا عن مستوى الارض(٥٨) وفي الغرفة رقم ١٨ في المجمع البنائي في المنطقة «ب» في موقع البسطة، ظهر مدخل يحتوي على عتبة سفلى ترتفع عن سطح الارض بحوالي ٦٠سم(٥٩) كما وجدت عتبة سفلى في الغرفتين رقم ١٩ و ٢٠ في المجمع البنائي في المنطقة «ب» في البسطة ، مرتفعة عن مستوى سطح الارض(٦٠) .

ويعتبر الباب الذي يسد فتحة المدخل من العناصر الاساسية التي تؤلف جزءا مهما من المدخل . الا اننا لا نعرف بالضبط اشكال وتفاصيل الابواب التي استخدمها الانسان القديم لسد مداخل بيته ، اذ لم تظهر أية مخلفات لأبواب البيوت القديمة ، أو أية دلائل تشير الى نوعية وشكل هذه الابواب باستثناء الجرن الحجري الذي أعيد استعماله كمثبت للباب في البيضا(٦١) .

ولا بد أن الانسان اهتم باغلاق فتحة المدخل الرئيسي للبيت أكثر من اهتمامه بالمداخل الثانوية والداخلية ، خصوصا بعد أن ازداد عدد الغرف في البيوت الاولى ، وربما استخدم الانسان القديم الجلود لاغلاق فتحات المداخل الثانوية كما هو الحال في غرف مباني الممرات في السوية الثانية في البيضا(٦٢) .

## ٢ ـ المرافق السكنية :

### ٢ ـ ١ غرف النوم

استخدم سكان البيضا الغرف الكبيرة نسبيا للمبيت ، فالسويات الست التي اكتشفت بالموقع استخدمت ، على الاغلب ، للمبيت لكبر حجمها ، وربما استخدم بعضها للطبخ أو التخزين بدليل اكتشاف قطع عديدة من مجارش الحبوب على أرضية الغرفة . أما في عين أبو نخيلة فقد استخدمت الغرفة الدائرية للمبيت وللطبخ في نفس الوقت . ويبدو أن الانسان في البسطة فصل مناطق السكن عن مناطق الخزين ، حيث يحتمل أن المنطقة « أ » كانت منطقة السكن بسبب كبر حجم الغرف ، في حين استخدمت المنطقة «ب» للخزن ، وذلك بسبب صغر حجم تلك الغرف .

### ٢ ـ ٢ المخازن

احتاج الانسان بعد ازدياد خبراته والتطور الذي حصل في حياته الى أماكن خاصه لحفظ محاصيله الزراعية وتخزين الفائض منها الى الاته وأدواته التي قد تتعرض للتلف ان لم تحفظ في مكان أمين . فشيد غرفا صغيرة استخدمها لخزن المحاصيل الزراعية والالات والادوات ، وتلاحظ هذه الظاهرة في معظم المواقع الاثرية، حيث خصصت غرفة صغيرة او غرف عديدة صغيرة المساحة للخزن . ونستطيع ان نميز نوعين من المخازن التي استخدمها الانسان في هذه المرحلة :

النوع الاول : غرف صغيرة تابعة لاحد البيوت استخدمت كمخزن لخزن المحاصيل الزراعية ، كما هو الحال في موقع البيضا ، حيث وجد في السوية السادسة عدة حجيرات تنحشر في الفراغات الضيقة التي تفصل الجدار الخارجي عن الغرف السكنية . ويحتمل ان يكون سكان البيضا قد استخدموا بعض الغرف للخزين بدليل اكتشاف ثلاثة جواريش في أحد بيوت السوية الرابعة وضعت على حدة .

النوع الثاني : مجموعة من الغرف صغيرة المساحة ، كما هو الحال في البسطة، حيث عثر في المنطقة «ب» على مجموعة من المباني التي تتألف من ساحة مركزية تحيط بها ثلاث أو أربع غرف صغيرة الحجم من كل جانب . ويستدل على ان هذه الغرف استخدمت كمخازن عن طريق :

١ ـ مساحتها الصغيرة التي لا تكفي للسكن فيها : اذ أن مساحتها لا تكفي لشخص واحد ، اذ تبلغ ٠,١ × ١ م .

٢ ـ عدم وجود فتحات المداخل في أغلبها ، وكان الدخول اليها يتم من خلال فتحات صغيرة في الجدران . وافترض المنقبون مخازن بدليل اكتشافهم كميات كبيرة من أدوات الطحن والجرش في هذه المنطقة . ونستطيع الافتراض ان سكان البسطة كانوا يخزنون محاصيلهم عن طريق اقترابهم من فوق حاجز منخفض أو من سطح البناء والقاء المحاصيل المراد تخزينها في تلك الغرف .

٢ ـ ٣ الساحات :

تعتبر الساحة احدى المرافق الهامة التي أضافها الانسان القديم الى مرافق بيته بعد أن ازدادت احتياجاته ، فمارس فيها أعماله اليومية . وأظهرت دراسة نتائج التنقيبات الاثرية في مواقع هذه المرحلة في جنوب الاردن تميز عدة انواع من الساحات وهي : آ ـ ساحة تحيط بها عدة بيوت بدون انتظام . ب ـ ساحة خاصة بالبيت مسيجة الاطراف . جـ ـ محاطة من الجهات الاربع . د ـ ساحة خارجية لكل بيت.

ظهر النوع الاول ـ أي الساحة التي تحيط بها عدة بيوت بدون انتظام ـ متمثلا في بيوت السوية السادسة في البيضا . وظهر نموذج النوع الثاني المتمثل بساحة خاصة بالبيت مسيجة الاطراف في السوية الثانية في البيضا فيها ساحات عديدة محددة من بعض اطرافها(٦٣) . أما النوع الثالث الذي يتميز بأنه ساحة تحيط بها مجموعة من الغرف من بيوت ومباني القرية الواحدة ، فلم يظهر الا في موقع البسطة . ففي المجمع البنائي في المنطقة«ب» اكتشفت ساحات تحيط بها الغرف الصغيرة من جميع الاطراف . أما النوع الرابع فقد تمثل في السوية الرابعة في البيضا حيث احيطت كل غرفة من الغرف المستطيلة ذات الجدران المنحنية المبنية بألواح من الحجارة الرملية السميكة بساحة خاصة بها(٦٤) .

٢ ـ ٤ المواقد :

شيد الانسان القديم الموقد في قرى ومخيمات الصيادين التي اقامها في المرحلة اللاحقة للعصر الحجري القديم حيث عثر على بقايا هذه المواقد في معظم مواقع هذه الفترة ، مثل الخزانة ٤ ، ووادي الحمة ٢٧ ، ووادي الحسا ١٠٦٥ ، والسوية النطوفية في البيضا . وعندما شيد الانسان بيوته في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» حافظ على تقاليده ، فشيد الموقد داخل الغرف . وعندما ازدادت غرف البيت الواحد وازدحمت القرية بالبيوت بنى الانسان المواقد في الساحات

أو شيد لها غرفاً خاصة . وظيفياً ، لعب الموقد عند وجوده داخل الغرفدورا مزدوجا حيث استخدم للتدفئة وللطبخ ، بينما اقتصر دور الموقد في الساحات الخارجية على عملية الطبخ .

٢ ـ ٥ زريبة الحيوانات :

اهتم الانسان بالحيوانات التياستطاع تدجينها للاستفادة من منتوجاتها اضافة الى لحومها وجلودها ، فسعى الى ايوائها في ساحات قريبة من بيته ، أو في أماكن مسيجة لحفظها وحمايتها من مخاطر الظواهر الطبيعية ، أو من الحيواناتالمفترسة. ففي البيضا استخدم سكان السوية الثانية الساحة المسيجة الملحقة بالبيت لحفظ حيواناتهم المدجنة(٦٥)، وفي فترة متأخرة حفظ سكان السوية الثانية دواجنهم في اوكار مبنية من الحجارة ، حيث عثر في الساحة المسيجة على قن مشيد من الحجارة استخدم لحفظ الطيور أو الدواجن(٦٦) .

## ٣ ـ الجدران والدعائم :

المواد التي استعملها الانسان في بناء الجدران كانت تحدد شكلها . فاستعمال الحجارة غير المشذبة في بناء الجدار يجعل سمكه يتفاوت من منطقةالى أخرى مما يجعل الثقل الساقط من السقف على الجدران يختلف مقداره من منطقة الى أخرى ، بالاضافة الى ذلك فان الجدار لايبدو منتظما لتفاوت الحجارة في الطول ، والعرض ، والسمك . ولا بد أن الانسان القديم قام باجراء تجارب عديدة قبل معرفة أن طول الجدار وارتفاعه يؤثران في مقاومته وعدم سقوطه وخصوصا اذا كان من غير دعائم . وعرف الانسان أن الجدران الخارجية للبيوت يجبأن تكون أعرض من بقية الجدران. والغاية من قيام الانسان ببناء الجدران كانت تقسيم المباني الى مساحات قابلة للاستخدام لغايات محددة ولمنع الاتربة والمياه من الدخول اليها ،وأخيرا للمساعدة في حمل ثقل السقف .

والدعائم حاملات أو ركائز ، ويكون العمود من الخشب أو من الحجر بأنواعه المختلفة ، مثل الكلسي ، أو الرملي الخ. ويتألف من قطعة واحدة أو من عدة قطع تركب الواحدة فوق الاخرى باحكام ، ويكون له قاعدة مربعة أو دائرية . أما وظيفة العمود فهي إما رفع السقوف ، أو دعم الجدران ، أو واجهات البناء .

واتاحت لنا دراسة نتائج التنقيبات في مواقع جنوب الاردن تمييز استخدام الانسان لاربعة انماط رئيسة من الدعائم لغايات حمل السقف . وتتمثل هذه الانماط

بالدعائم الملتصقة والمغروسة داخل الجدران ، والدعائم المرتكزة داخل الارضيات ، والدعائم الافقية ، والدعائم المرتبطة بالجدران الداخلية . وتجدر الاشارة الى ان الانسان استخدم هذه الانماط اما بشكل منفرد أحيانا أو استخدم اكثر من نمط من الدعائم في نفس الوقت في احيان اخرى .

وكشفت التنقيبات في السوية السادسة في البيضا عن غرف دائرية ملاصقة لبعضها البعض مما دعا المنقبة لتشبيهها بخلية النحل، وكان فيها دعائم خشبية مغروسة داخل الجدران الداخلية للغرف بشكل عمودي ( شكل ٢:١ ) . وكانت تجاويف الاعمدة ذات فسحات منتظمة ما بين ٣٠ ــ ٥٠ سم ، وكانت أرضيات الغرف ووجه الحائط مكسوة بملاط من الجص(٦٧) كما عثر في نفس السوية على حفر أعمدة في وسط الغرف(٦٨) .

والنمط الثاني هو الدعائم المرتكزة والمغروسة في الارضيات . وباستثناء الاشارة التي أوردتها ديانا كيركبرايد ( D. Kirkbride ) عن وجود حفر أعمدة في احدى الارضيات الطينية التي لم يعثر على جدران مصاحبة لها(٦٩) ، فلم يعثر على أمثلة اخرى له في مواقع جنوب الاردن بالرغم من استخدام هذا النمط من الدعائم بكثرة في مواقع العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» . ويتمثل هذا النمط باستخدام اعمدة خشبية مغروزة داخل حفر في مناطق مختلفة في أرضيات الغرف . وهناك نوع آخر ، وهو دعامة حجرية تقع في منتصف الغرفة ، عثر عليها في المجمع البنائي المكتشف في المنطقة «ب II » ويبلغ حجمها ٨٠×٩٠ سم (٧٠).

اما النمط الثالث فهو الدعائم الافقية أو العوارض الطويلة . وهناك بعض الصعوبة في التحدث عن هذا النمط ، لان الادلة المادية المباشرة معدومة تقريباً . ان الجدران المكتشفة في المواقع الاثرية بعلوها الحالي لا تعطينا فكرة عن طريقة وضع السقف ، ولكن عدم الكشف في بعض غرف السويات المختلفة عن انخفاض في الارضيات أو ثقوب في الارضيات المكسوة بالجص لاعمدة داعمة للسقف تجعلنا نستنتج استخدام بنائي القرية لدعائم أفقية أو عوارض طويلة في أعلى الجدران لغايات حمل السقف . كما هو مستخدم في أيامنا هذه في بيوت المنطقة(٧١) .

والنمط الرابع هو الدعائم المرتبطة بالجدران الداخلية ( شكل ١ : ٢ ) . ولعل مهمة هذه الدعائم تقوية الجدران الطويلة والمساهمة مع الجدران في حمل ثقل السقف. ظهر هذا النمط في موقع البسطة ، حيث كشف النقاب في المجمع البنائي في المنطقة « ب » عن أربعة أعمدة حجرية عريضة مرتبطة بالجدران الداخلية الشمالية والشرقية والغربية للغرفة التي يبلغ طولها ٦×٣٫٥ م ومحاطة من ثلاث جهات بصفوف من

الغرف صغيرة المساحة ومرتبطة معها عن طريق ممر ضيق . وبما أن هذه الدعائم كانت تتصل مع الجدران الداخلية للغرف الصغرة فقد اختلف بعد المسافة بين دعامة واخرى مما جعل ترتيبهما غير منتظم وأحجامهما غير متساوية . فبلغ الحجم ٩٢ x ٥٤ x ٣١ سم ، و ٦٨ x ٦٩ x ٦٢ سم أحيانا ، وكان بعضها أصغر حجما فبلغ ٣٨ x ٣١ x ٣٢ سم (٧٢) . كما عثر في موسم ١٩٨٨ في المجمع البنائي في المنطقة « ب V » على عمود حجري مرتبط بالجدار الداخلي للغرفة ويبلغ طوله ٨٠ سم وعرضه ٨٠ سم(٧٣) ( شكل ٣:١ ) .

أما النوع الخامس من الدعائم فهو قريب الشبه من النمط الرابع . هذا النوع عبارة عن حواجز من الحجارة مرتبطة بالجدران الداخلية وظيفتها تقسيم الغرفة الى قسمين أصغر حجما بالاضافة الى مساعدة الجدران في حمل ثقل السقف .ومثالنا على هذا النوع ما عثر عليه في السوية الثانية بمباني الممرات في البيضا ، حيث عثر على حاجز مبني من الحجارة ، بلغ سمكه المتر وأكثر أحيانا ، وطلي قسمه الاعلى بالجص ، ويرتفع حوالي المترين(٧٤) . والمثال الاخر لهذا النوع هو الحاجز الحجري المكتشف في المنطقة « ب V » في البسطة ( شكل ٣ : ١ ) ، والذي يفصل بين الغرفتين ١٩ و ٢٠ ويتراوح سمكه بين ٧٠ و ٨٠ سم وارتفاعه الحالي يزيد على المتر ، بينما تبلغ مساحة المدخل حوالي ٥٦ سم(٧٥) .

## ٤ ــ النوافذ : ( شكل ٣:١ )

لابد أن الانسان عرف النافذة وأهميتها لمسكنه في وقت متأخر عن الزمن الذي عرف فيه العناصر الاساسية الاولى لتصميم المنزل ، وذلك بعد أن ازدادت تجاربه وخبراته في مجال البناء وتشييد المباني ، وأصبح أكثر اتقانا ودقة في تشييد بيوته . وبالرغم من صعوبة معرفة أصل النافذة بالضبط ، الا أننا نستطيع الافتراض أن النافذة الاولى نشأت بطريقة غير مقصودة من قبل الانسان . فمن المحتمل أن النافذة الاولى جاءت على شكل فتحة صغيرة نتيجة لتصدع جدار المنزل فقام الانسان بتوسيع هذه الفتحة لملاحظته دخول الهواء والضوء من خلالها ، وربما كانت النافذة نتيجة لمحاولة الانسان ايجاد منفذ لاخراج الدخان المتصاعد من المواقد وحفر النيران داخل المنازل . أو ربما توصل الانسان الى معرفة النافذة بعد بنائه الحنايا في جدران المنازل الداخلية ، وذلك لأن التجويف الناتج من الحنايا يأخذ قدرا من سمك الجدار . وكشفت الحفريات الاثرية عن بقايا ومخلفات معمارية كثيرة في العديد من المواقع ، الا أن القليل منها كشف عن وجود نوافذ فيها ، وربما يعود السبب في ذلك الى أن العديد من الجدران التي كشف النقاب عنها كانت قليلة الارتفاع ، بحيث لا يتبين المرء وجود نوافذ فيها . ويعتبر موقع البسطة أحد المواقع النادرة التي أبرزت التنقيبات فيها

وجود فتحات تشكل نوافذ في جدران الغرف الصغيرة التي تحيط بالنوافذ الكبيرة في المجمع البنائي في المنطقة «ب»(٧٦) . وظهرت خمس نوافذ ، ثلاث منها كاملة واثنتان متهدمتان ، وبلغت أطوال النافذة في الغرفة رقم «١٠» ٣٣×٥٤ سم ، بينما بلغت اطوال النافذة في الغرفة رقم «١١» ٤٤×٦٢ سم ، أما نافذة الغرفة رقم «٩» ، فلم يكن بالامكان تحديد طولها لكونها تقع في أقصى الجدار ، حيث تشكل زاوية مع جدار الغرفة رقم «١٠» ، ويبلغ عرض النافذة ٧٢ سم . أما بالنسبة للنافذتين الرابعة والخامسة ، واللتين وجدتا في الغرف « ١٢ ، ١٣ » فهما ناقصتان بسبب تداعي الجدران . ويبلغ عرض النافذة الرابعة ٢٧ سم ، ويرتفع جانبها الايمن حوالي ٥٦ سم، بينما عرض نافذة الغرفة «١٣» فبلغ ٣٨ سم(٧٧) . كما ظهرت نوافذ اخرى داخل الجدران الداخلية للغرف « ١٠ و ١١ »(٧٨) . وقد كشفت تنقيبات موسم ١٩٩١ عن وجود نوافذ أخرى في الغرف الصغيرة المطلة على الغرفة الكبيرة في المجمع البنائي في المنطقة «ب» في البسطة .

وقد بنيت النوافذ على نمط المداخل أي ببناء عتبة عليا وجانبين وعتبة سفلى . كانت العتبة السفلى في الغالب لوح حجري مستطيل على امتداد عرض النافذة بينما جوانب النوافذ في الغالب من خمسة صفوف من الحجارة مختلفة الاحجام. أما بالنسبة للعتبة العليا فتتكون من حجر طويل مستطيل أو من حجرين ، وتمتد داخل جوانب النافذة(٧٩) .

## ٥ ــ الكوات ( الحنايا ) :

الكوة تجويف يبنى عادة في الجهة الداخلية من الجدران، وتستخدم في استعمالات متعددة كوضع الطعام ، أو التماثيل . ان الادلة على وجود كوى أو حنايا في جدران المنازل قليلة جدا ، كما هو الحال في النوافذ ، وذلك لقلة ارتفاع الجدران الباقية في المخلفات الاثرية . ومن الادلة القليلة التي كشفت النقاب عنها في المواقع تلك الكوة التي عثر عليها في السوية الثانية في البيضا ، وذلك في أحد الابنية المبنية حول ممر ضيق بلغت أطواله ٨×١م ، وبلغت أبعاد الغرفة الواحدة ١×٥ر١ م ، والتي أطلقت عليها المنقبة اسم المشاغل لاعتقادها بأنها استخدمت لأغراض عامة(٨٠) . تقع هذه الكوة في أقصى طرف أحد الجدران التي يبلغ ارتفاعها حوالي المترين وهي مربعة تقريبا، ومبنية من الحجارة(٨١) . شيدت العتبة السفلى من لوح حجري، بينما شيدت الجوانب بثلاثة صفوف أو أكثر من الحجارة الغشيمة ، وكانت العتبة العليا لوحاً حجريا طويلا امتد قليلا نحو الجوانب .

## ٦ ـ الأرضـيات :

أبدى الانسان القديم اهتماما شديدا بأرضية البيوت التي شيدها ، حيث قام بتنظيفها من الحجارة والصخور وتسويتها ، ثم مد هذه الارضيات في بداية الامر بطبقة من الطين أو التراب المدكوك ، وتطورت مع مرور الزمن الى تغطية الارضيات بطبقة من الجص . ويعتبر الاستخدام الواسع للجبص في طلاء الارضيات احدى السمات المميزة لعمارة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري «ب» . حيث عثر في جميع مواقع هذا العصر على أرضيات غرف مطلية بالجص والمدهونة في اغلب الاحيان ، مما دعا بعض العلماء الى تسمية هذه المرحلة باسم مرحلة الارضيات الجصية أو الكلسية [ Plastered floor period ] . وتشير الادلة الاثرية الى أن الانسان القديم في البيضا استخدام الجص في جميع السويات الاثرية لمرحلة ما قبل الفخاري «ب» ، حيث استخدمه في تغطية الارضيات والجدران والتي جاءت غالبا مدهونة بالالوان الاحمر ، والبني ، والزهري(٨٢) ، ففي السوية الثانية مدت أرضية الساحة الكبيرة بالجص كغطاء نهائي بسماكة ٢٥ سم بعد مد الارضية بطبقة من الحصى الصغيرة ، والكلس ، والرماد ، كما تم طلاء أرضية ساحة اخرى في نفس السوية بالجص بعد فرشها بطبقة من الرمل والكلس(٨٣) . ونجد كذلك أن استعمال الجبص في ملاط أرضيات وجدران الغرف الداخلية كان شائعا في هذه الفترة ، كما هو الحال في غرف مبنى الممرات حيث اشارت المنقبة الى أن معظم الارضيات كانت مكسية بالجص وملاصقة لجدران الغرف، وفي الغالب كانت تغطي الجدران من الداخل بملاط من الجبص . وتشير الدلائل الى وجود هذه الظاهرة في موقع خربة الحمام ، حيث عثر على أرضيات مقصورة ومدهونة باللون الاحمر ، ومن المحتمل أن الجدران طليت أيضا بهذا اللون(٨٤) . ومن السمات الشائعة في أغلب أرضيات المباني في مواقع جنوب الاردن في هذه المرحلة استخدام الالوان المختلفة كالاحمر ، والبني والزهري وغيرها ، وان كان الاحمر هو اللون الاكثر استعمالا في طلاء هذه الارضيات المصقولة غالبا . ويشير هانس جبل ( H. Gebel ) الى وجود هذه الظاهرة في موقع البعجة(٨٥) . أما في موقع البسطة فقد جاءت أغلب المباني التي عثر عليها بأرضيات وجدران مطلية بالجص ومدهونة بألوان مختلفة كالاحمر والبني(٨٦) . واستخدم الانسان مواد أخرى لتغطية الارضيات في البيضا ، كما هو الحال في المربع T 2 في منطقة الحرم [ Sanctuary ] ، حيث استخدمت الحجارة في رصف الارضية بالحجر اللوحي بطريقة متقنة(٨٧) . كما وجد خارج أحد منازل السوية الرابعة على رصفة من الحجارة اللوحية الضخمة بشكل نصف دائري(٨٨) . كما استخدموا الحصى أيضا في تغطية احدى أرضيات مباني الحرم(٨٩) . واستخدموا الطين كذلك حيث عثر في عين أبو نخيلة على أرضيات صلبة(٩٠) .

## ٧ ــ السلالم والدرج :

ليس لدينا أية أدلة مادية على الوسائل التي استخدمها سكان البيضا للصعود الى الاسطح ، اذ لم تكشف التنقيبات الاثرية عن أية بقايا أو مخلفات لسلالم أو درجات في المباني التي تم الكشف عنها في السويات الست في البيضا . الا أننا نعتقد بأن عملية الصعود الى الاسطح ــ أو الى الطابق الثاني في مباني الممرات المكتشفة في السوية الثانية في البيضا ، والتي افترضت المنقبة أنها كانت مخصصة للسكن ــ كانت تتم بواسطة سلالم أو أدراج خشبية . كما يمكن الافتراض أن عملية الصعود كانت تتم بالتسلق على الجدران الخارجية من خلال أماكن خاصة لوضع القدمين ، اذ كان مستوى الجدران الخارجية أقل ارتفاعا من الجدران الداخلية ، وذلك لأن أرضيات البيوت كانت تحت مستوى الارض بحوالي ٥٠ سم .

واللافت للنظر أن سكان البيضا لم يقوموا بتشييد درج حجري يؤدي الى السطح رغم معرفتهم بتقنية بناء الدرج ، حيث تميزت مباني السويات الست بكونها تحت مستوى الارض وينزل اليها بثلاث درجات حجرية ( شكل ٣ : ٢ ) . وظهر أيضا درج حجري في الجدار الذي عثر عليه في المنطقة الجنوبية الشرقية للقرية(٩١) . وفي البسطة عشر في المجمع البنائي « أ » على درج يربط بين المصطبة الشمالية والمصطبة الجنوبية اللتين وجدتا في احدى الغرف الكبيرة التي تبلغ مساحتها ٥ر٢٤ × ٩م(٩٢) .

## ٨ ــ السقوف والاسطح :

اشرنا سابقا الى تنوع النماذج المعمارية المكتشفة في هذه المرحلة ، فمنها الدائري والمستطيل ، والمربع ، أو البيوت متعددة الغرف . ولابد أن تنوع هذه النماذج قد أثر على تصميم سقوفها ، فربما كان سقف البيوت الدائرية على شكل قبة غالبا ، أو مخروطيا . أما البيوت المستطيلة والمربعة او البيوت متعددة الغرف ، فربما كانت ذات سقوف مستوية أو مائلة قليلا . والتحدث عن اشكال السقوف التي استخدمها الانسان في سقف بيوته في غاية الصعوبة لغياب الادلة المادية المباشرة التي توضح شكل هذه السقوف . فالسقف ربما تألف من العوارض الرئيسية ، تعارضها جذوع معاكسة فوقها ، ويوضع فوقها طبقة رقيقة من أغصان الاشجار والقصب ، ثم تفرش بطبقة من الطين . وفي الواقع ليس لدينا أية أدلة أثرية مباشرة على طريقة صنع السقف في مباني هذه المرحلة باستثناء ما عثر عليه في المخلفات الاثرية من بقايا مواد محترقة في أحد بيوت السوية السادسة بموقع البيضا ، حيث افترضت المنقبة استخدام الخشب في عملية سقف الغرف . أما الدليل الثاني . فهو وجود حفر الاعمدة

المتصقة داخل جدران غرف السوية السادسة مع وجود عمود مركزي في وسط الغرف ، اذ افترضت المنقبة أن السقف اقيم بايصال الاعمدة الخشبية الملتصقة داخل الجدران مع العمود الخشبي المركزي بعوارض خشبية أفقية، ثم وضع فوقها القصب والعليق ، واخيرا غطيت بطبقة سميكة من الطين(٩٣) . وتشير المنقبة الى ان السقف كان مطليا بطبقة من الجص . أما سقوف البيوت التي لم تحتو على أية بقايا لحفر اعمدة أو انخفاضات في الارضيات فنعتقد بأن سقوفها اقيمت بعوارض خشبية أفقية كما نشاهد في قرانا اليوم . اما السطح ، فلم تكشف التنقيبات الاثرية في جميع المواقع عن أي أثر له . ونفترض أن الانواع التالية من أشكال السطوح يمكن أن تكون استخدمت في هذه المرحلة :

١ ـ السطح المستوي : يستخدم هذا الشكل في الوقت الحاضر في معظم القرى في جنوب الاردن . وهذا الشكل يبنى على الشكل التالي : بعد ان يسقف البيت بالعوارض الخشبية ، وتوضع فوقها الاغصان ، تغطى بطبقة من الطين ، وتدك بالاقدام أو بأداة خاصة تستخدم لهذا الغرض . ويتم اضافة الطين سنويا الى السطح لترميمه .

٢ ـ السطح المقبب : ربما كان هذا الشكل هو الاكثر ملاءمة للمنازل الدائرية ، كالمباني التي وجدت في البيضا ، وعين ابو نخيلة ، ويحتمل أيضا أن يكون السطح المستوي هو الذي استخدم في المباني الدائرية خصوصا اذا استخدم الخشب في ذلك ، لان بناءه يحتاج وقتا اقل من بناء السقوف المقببة .

٣ ـ السطح المائل : وهو سطح يماثل السطح المستوي ، ولكن درجة ميلانه تكون أكبر ، لضمان عدم تراكم مياه الامطار فوق الاسطح .

٤ ـ السطح الجملوني : ويتكون من سطحين مائلين ، حيث يتم بناء هيكل خشبي مرتفع من المنطقة الوسطى ومنخفض من الاسفل ، بحيث لو قسم السطح الجملوني الى قسمين لكون كل قسم سطحا مائلا .

* * *

## معجـم الكلمـــات Glossary

| عربي | فرنسي | انجليزي |
| --- | --- | --- |
| الارضية | sol | floor |
| البلاطة | dalle | flagestone |
| البيت | maison | house |
| الجص | plâtre | gypsum |
| الجدار | mur | wall |
| الجملوني | toit en batière | saddleroof |
| | | saddleback roof |
| الحجر | pierre | stone |
| الحجر الكلسي | calcaire | lime stone |
| الخزانة | placard | cupboard |
| الخشب | bois | wood |
| الدرج | escalier | stairway |
| الدعامة | pilier | pillar |
| الركيزة | Poteau | post |
| الساحة | court | courtyard |
| السطح | toit | roof |
| السقف | Plafond | roof |
| السلم | échelle | ladder |
| الصومعة | silo | silo |
| الطين | mud | clay |
| العتبة السفلي | seuil | doorstep |
| العتبة العليا | linteau | lintel |
| الغرفة | pièce | room |

| | | |
|---|---|---|
| lime | chaux | الكلس |
| niche | niche | الكـوة |
| slope | pente | مائـل |
| magazine | magasin | المخزن |
| entrence | entrée | المدخـل |
| flat | plat | مسـتو |
| platform | plateforme | المسطبة |
| benche | banquette | المصطبة |
| gypsum –lastered | Plâtre | مطلي بالجبص |
| mortar | mortier | الملاط |
| agglutinant | agglutnative | ملتصق |
| coridor | passage | الممر |
| free - standing | isolé | منعزل |
| hearth | foyer | الموقـد |
| window | fenêtre | النافذة |

* * *

جدول رقم ١ : تواريخ الكربون المشع لموقع البيضا والبسطة

**البيضــا :**

| | | |
|---|---|---|
| السوية السادسة | ٦٦٩٠ ± ٥٠ ق.م | GrN — ٥٠٦٣ |
| | ٦٩٠٠ ± ١٥٠ ق.م | K — ١٤١٠ |
| | ٦٨٢٠ ± ١٥٠ ق.م | K — ١٤١١ |
| | ٦٨١٥ ± ١٠٢ ق.م | P — ١٣٨١ |
| | ٦٧٧٠ ± ١٥٠ ق.م | K — ١٤١٢ |
| | ٦٧٦٥ ± ١٠٠ ق.م | P — ١٣٧٨ |
| | ٦٧٠٠ ± ١٣٠ ق.م | K — ١٠٨٢ |
| | ٦٥٩٦ ± ١٠٠ ق.م | P — ١٣٧٩ |
| السوية الخامسة | ٦٦٩٠ ± ١٦٠ ق.م | K — ١٠٨٣ |
| السوية الرابعة | ٧١٧٨ ± ٢٠٠ ق.م | P — ١٣٨٠ |
| | ٦٨٤٠ ± ١٠٣ ق.م | BM — ١١١ |
| | ٦٨١٥ ± ١٠٢ ق.م | P — ١٣٨١ |
| | ٦٧٨٠ ± ١٦٠ ق.م | K — ١٠٨٤ |
| السوية الثانية | ٦٩٤٢ ± ١١٥ ق.م | P — ١٣٨٢ |
| | ٦٦٠٠ ± ١٦٠ ق.م | K — ١٠٨٥ |
| | ٧٠٨٠ ± ٥٠ ق.م | GrN — ٥٠٦٢ |

نلاحظ ان التواريخ المعطاة أعلاه حدثت بين ٧٠٠٠ و ٦٦٠٠ ق.م ، مما يؤكد راي المنقبة بأن الموقع قد استوطن لفترة قصيرة (Kirkbride, 1967 : 12) .

**البســطة :**

٥٠٠ شمال/٦٨٥ غرب ٢٣٠٤٦٠٣٣م ٨٣٨٠+١٠٠ من الوقت الحاضر GrN—٤٥٣٨

٥٠٠ شمال/٦٩٠ غرب (د) سوية ٧ ٨١٥٥+٥٠ من الوقت الحاضر GrN—١٤٥٣٨

# معطيات جديدة عن دمشق
# في منتصف القرن السادس عشر
# ( وقفية احمد باشا )

د. محمد م. الارناؤوط

جامعة آل البيت

يتميز القرن السادس عشر بأهمية خاصة بالنسبة لدمشق وبلاد الشام بشكل عام . ففي مطلع هذاالقرن (١٥١٦) انهار الحكم المملوكي في بلاد الشام أمام الجيش العثماني وأصبحت بلاد الشام في اطار دولة عالمية كبرى تمتد من حدود المجر الى حدود اليمن بعد ان كانت في اطار دولة اقليمية ( الدولة المملوكية ) . وقد تزامن القرن السادس عشر مع التوسعات والانتصارات التي وصلت فيها الدولة العثمانية الى ذروتها ، مما انعكس أيضا على الولايات الاخرى وخاصة دمشق وبلاد الشام بغامةلما أصبحت تعنيه بالنسبة للدولة العثمانية بسبب الاهمية المتزايدة لقافلة الحج الشامي وللموارد الاقتصادية التي موّلت فتوحها بها ، وهكذا فقد تجسد هذا الاهتمام المتزايد بدمشق وبلاد الشام بقيام السلاطين ( سليم الاول ، سليمان القانوني) والولاة الكبار مثل ( أحمد باشا مصطفى باشا ، مراد باشا ، سنان باشا ، وغيرهم ) ببناء المنشآت الاقتصادية والاجتماعية الثقافية المختلفة التيأدت الى بروز ملامح جديدة لدمشق في القرن السادس عشر . ويأتي هذا البحث ليكشف بعض المعطيات الجديدة عن دمشق في منتصف القرن السادس عشر بالاستناد الى وقفية مهمة عثرنا عليها مؤخرا .

## مقدمة :

شهدت دمشق في القرن الاول في الحكم العثماني تطورا عمرانيا ملحوظا يتمثل في سلسلة من المنشآت الدينية والاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي اعطت المدينة ملامح جديدة سواء لجهة الطابع المعماري الجديد ( العثماني ) أو لجهة التوسعالعمراني للمدينة باتجاه الجنوب ـ طريق الحج، وهو ما كان يعكس الاهمية المتزايدة لدمشق كمركز لتجمع وانطلاق قافلة الحج التي أصبحت تعني الكثير سواء بالنسبة الى دمشق

---

دراسات تاريخية ، العددان ٥١ / ٥٢ ، كانون الثاني ـ نيسان ١٩٩٥

أو للدولة العثمانية(١) . ويلاحظ هنا أن هذا التطور العمراني قد ارتبط بأبرز السلاطين ( السلطان سليم الاول ١٥١٢ ـ ١٥٢٠ والسلطان سليمان القانوني ١٥٢٠ـ ١٥٦٦ ) وكبار الوزراء المقربين منهم الذين خدموا كولاة بدمشق في ذلك القرن ( لطفي باشا ، أحمد باشا ، مصطفى باشا ، مراد باشا ، سنان باشا وغيرهم ) . وفي هذا الاطار يلاحظ أن المنشآت السلطانية ، سواء تلك التي تعود الى السلطان سليم الاول (جامع الشيخ محي الدين والتكية السليمبة)(٢) أو الى السلطان سليمان القانوني ( المدرسة والتكية السليمانية )(٣) ، إنما بنيت خارج أسوار مدينة دمشق المعروفة في ذلك الوقت بينما قام ولاة دمشق ببناء منشأتهم داخل مدينة دمشق أو في أطرافها ، ولذلك يعود اليهم الفضل في التطور العمراني الجديد لدمشق(٤) .

وهكذا اذا استثنينا المنشآت السلطانية الكبيرة المبنية خارج دمشق والترميمات الحاصلة داخل دمشق ، بالاضافة الى المنشآت المفردة ( قبة ، ضريح ، مدرسة ، حمام ، مسجد ) ، نجد أن أول تطور عمراني يلفت الانتباه في دمشق ، يرتبط باسم الوالي أحمد باشا ، الذي بنى مجموعة من المنشآت الدينية والاقتصادية والاجتماعية ( سوق ، خان ، جامع ، مدرسة ، خانقاه وتكية ) . وعلى الرغم من الفترة الطويلة نسبيا التي قضاها هذا الوالي في دمشق، والمعاملة الحسنة التي قربته من الدمشقيين، والسمعة الجيدة له كشاعر على مستوى الدولة العثمانية ، والمنشآت المهمة التي بناها في دمشق ، إلا ان الباحثين الرواد ( كرد علي ، المنجد ، طلس ) اكتفوا باشارات عابرة أو عامة عن كل ذلك ،وكررالباحثون اللاحقون ( ريحاوي ، نعيسة ، علبي وغيرهم ) تلك الاشارات مع ما فيها من اختزال وتناقض أحيانا ، دون أن يضيفوا شيئا يذكر اليها . والاستثناء الوحيد هنا نجده لدى الباحث الفرنسي جان بول باسكوال J.P. Pascual في كتابه المهم عن تطور دمشق في نهاية القرن السادس عشر ، حيث قدم معلومة جديدة تتعلق بالسوق الذي أنشأه أحمد باشا(٥). وفي الواقع لقد اصبحفي الامكان الان ، بعد أن عثرنا اخيرا على وقفية احمد باشا ، أن نطرح بعض المعطيات الجديدة عن تطور دمشق العمراني في منتصف القرن السادس عشر . ومع هذه الوقفية المكتشفة لدينا حالة اخرى تؤكد مدى أهمية الوقفيات ، والوثائق الوقفية بشكل عام ، في التعرف على التاريخ العمراني والاقتصادي والاجتماعي للمنطقة خلال الحكم العثماني(٦) .

### الواقف ـ الوالي احمد باشا :

ينحدر الواقف من أسرة اسفنديار العريقة التي كانت تحكم واحدة من الامارات التركية في الأناضول ( قسطموني ) التي ضمتها اليها الدولة العثمانية بالتدريج ، مع

ان هناك من ينسبه الى أصل عربي قديم ينتهي الى خالد بن الوليد(٧) . وبعبارة أخرى كان الواقف من بقايا النبالة التركية القديمة التي اندثرت بالتدريج خلال القرنين ١٥-١٦ مع تشكل نخبة حاكمة جديدة من ابناء الدفشرمة(٨) . وقد التحق منذ طفولته بخدمة السلطان سليم الاول ( ١٥١٢ - ١٥٢٠ ) حيث تدرج في المناصب من أوجي باشي وبلوك آغاسي الى ان اصبح آغا السباهية ، وتولى في عهد السلطان سليمان القانوني ( ١٥٢٠ - ١٥٦٦ ) عدة ولايات في الشام والاناضول والروملي ، واصبح وزيرا ومصاحبا للسلطان سليم الثاني ( ١٥٦٦ - ١٥٧٤ ) مستشارا ومصاحبا للسلطان مراد الثالث ( ١٥٧٤-١٥٩٥ ) ، الى أن توفي في سنة ٩٨٨هـ ( تبدأ في ١٧ شباط ١٥٨٠م ) ودفن في اسكدار باستنبول في جوار الجامع والمدرسة اللذين بناهما هناك . وخلال هذه السنوات اشتهر أحمد باشا كشاعر مجيد وخاصة بديوانه « عنوان السعادة » ، كما يقال بأنه قد ترجم شعرا كتاب « الوقاية في فقه الامام الاعظم ابي حنيفة » من العربية الى التركية (٩) . وقد اتخذ أحمد باشا على عادة الشعراء الاتراك في ذلك الوقت لقباً شعرياً هو « شمسي »، ولذلك فقد أصبح اسمه يرد مركباً « أحمد شمسي باشا » لتمييزه عن الولاة الآخرين الذين حكموا دمشق وحملوا الاسم ذاته - أحمد باشا(١٠) .

وفيما يتعلق بولايته على الشام لدينا اختلاف في المصادر حول السنة التي جاء بها الى دمشق والفترة التي قضاها في الولاية. فالمؤرخ الدمشقي المعاصر البوريني لم يحدد في ترجمته السنة التي وصل فيها الى دمشق إلا انه اكتفى بالقول انه «طالت مدته بدمشق »(١١) . وبعد حوالي قرن من الزمن نجد محمد بن جمعة المقار يذكر في مؤلفه « الباشات والقضاة بدمشق المحمية » ان أحمد باشا تولى سنة ٩٥٩ هـ ( تبدأ في ٢٩ كانون الاول ١٥٥١م ) بعد الوالي محمد باشا وبقي فيها أربع سنوات ، وبالتحديد حتى سنة ٩٦٢ هـ ( تبدأ في ٢٦ تشرين الثاني ١٥٥٤ م ) حين جاءها الوالي الجديد خضر باشا(١٢) . أما في « سالنامة ولاية سورية » الصادرة في ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦ م فيضطرب الوضع نظراً لأن فترة الوالي محمد باشا المذكور تمتد خلال ٩٥٨ - ٩٦٢ هـ ، وفترة الوالي أحمد باشا تستمر خلال ٩٦٢ - ٩٦٨هـ وتحدد بدقة ( ٦ سنوات وشهران و٢٤ يوماً ) ، بينما تقتصر فترة الوالي اللاحق خضر باشا على سنة واحدة ٩٦٨ - ٩٦٩هـ (١٣) . وبعد عدة سنوات من صدور السالنامة نجد أن المؤرخ محمد ثريا في كتابه المرجعي « سجل عثماني » الصادر في سنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م يحدد الفترة التي قضاها أحمد باشا في ولاية الشام خلال ٩٥٨-٩٦٢ هـ(١٤)، وهي ما سنأخذ بها هنا .

ومن بين هؤلاء ينفرد البوريني المعاصر بتقديم بعض المعطيات المهمة عن السنوات

التي قضاها أحمد باشا في دمشق . وهكذا بعد أن يبرز مكانته الشعرية بكونه « من محاسن شعراء الروم ، وله ديوان شعر مشهور بينهم يتداولونه ويحفظونه » يذكر أنه « جاء الى دمشق وسار في الناس سيرة حسنة ، وكان كريم الطباع ، قليل الضرر ،كثيرالنفع للرعايا والاتباع » ، حتى يصل به القول الى أنه كان من الذين يفتخر بهم الزمان (١٥) . ومن ناحية أخرى يشير البوريني الى ما بناه أحمد باشا قبالة قلعة دمشق ( الخانقاه ) حيث يعتبر ذلك « من محاسن دمشق الجديدة » ، دون تفاصيل أخرى عن تلك المنشأة(١٦) .

## الوقف ــ منشآت أحمد باشا :

على عادة الولاة الكبار في القرن السادس عشر أنشأ أحمد باشا وقفاً ضخماً في دمشق تتضمن منشآت دينية واقتصادية واجتماعية ، وفي الحقيقة لقد كان عصب الوقف يتمثل في المدرسة ــ الخانقاه التي بناها في الطرف الغربي لدمشق ، والتي الحق بها تكية لتقديم الوجبات المجانية ، لأجل تغطية مصاريف هذه المنشآت بنى أحمد باشا بالقرب منها خاناً كبيراً ( خان الجوخية ) وأنشأ سوقاً مهماً في الجوار ( سوق السيباهية ــ الأروام ) . ونظراً لأهمية هذه المنشآت في تطور دمشق العمراني فنركز بالتفصيل كل واحدة منها :

### ١ ــ جامع ومدرسة وخانقاه وتكية الاحمدية :

تتردد في المصادر المعاصرة ، وفي المراجع الحديثة التي تعتمد عليها تعابير مختلفة للاشارة الى ما بناه أحمد باشا في دمشق . وهكذا نجد أن البوريني المعاصر يتحدث عن « خانقاه » أحمد باشا(١٧) بينما ترد هذه لدى ابن كنان اللاحق باسم « الخانقاه الأحمدية» )١٨( ، ثم نجد بين الباحثين المتأخرين من يختزل ذلك باسم « جامع الأحمدية »(١٩) «ومدرسة أحمد باشا»(٢٠) «وتكية أحمد باشا »(٢١)الخ. وفي الحقيقة ان كل هذه التعابير تتعلق بأقسام لمنشأة واحدة . وفي هذه الحالة تمثل لنا الوقفية أفضل مصدر للتعرف على هذه المنشأة من الداخل ، وبالتحديد على الهدف الذي أقيمت له وحتى على التفاصيل العمرانية التي يندر أن نجدها في أي مصدر آخر . وهكذا بالاستناد الى الوقفية الملحقة يتضح أن المنشأة الضخمة التي أقامها أحمد باشا داخل السور الجنوبي لقلعة دمشق كانت تتألف من أربعة أقسام متباينة :

آ ــ « مسجد » في الطرف الشمالي الشرقي « يصلى فيه الأوقات الخمسة الصلوات المفروضات وسننها ، ويقام فيه الذكر والعبادات « .

ب ـ « مكتب للاولاد الواردين لتعلم القرآن » في الطرف الشمالي الغربي .

ج ـ خانقاه في الطرف الجنوبي تتألف من عشر حجرات بالاضافة الى خمس حجرات في الطرف الشمالي لـ « يسكن فيها الرجال الآفاقية المتجردين لطلب العلم الشريف على مذهب.. أبي حنيفة النعمان ».

د ـ « مطبخ » في الطرف الشرقي « يطبخ فيه الطعام ويفرق » على النازلين في الحجرات ( الخانقاه ) وعلى الفقراء الواردين .

ويلاحظ هنا أن الوقفية ، كأية وقفية ، تحفل بالتفاصيل التي تتعلق بتحديد الموقع أو بالحدود الاربع . وهكذا تحدد الوقفية موقع هذا البناء المتعدد الأغراض في « مدينة دمشق المحروسة داخل باب النصر ، بالقرب من المدرسة القجماسية ، تجاه القلعة المنصورة من جهة الغرب » ، كما تذكر لاحقا الحدود الاربع له حيث يجاوره من جهة الشرق «دار أصلان بك »، ومن جهة الجنوب « دار بيري جلبي وبيت أصلان بك المشار اليه » ، بينما يحده من جهة الشمال الطريق الافقي الفاصل بينه وبين القلعة ، وكذلك الامر من جهة الغرب . وفي الحقيقة ان هذه الجهة ( الغربية ) تهمنا بشكل خاص ، اذ يبدو أنه لم يكن فيها شيء يستحق الذكر في ذلك الوقت ، ولذلك اكتفت الوقفية بذكر « الطريق » . كما أن الوقفية حين حاولت تحديد الموقع لم تجد في الجوار معلماً يستحق الذكر سوى « المدرسة القجماسية » التي كانت تقع الى الشمال الغربي من البناء الذي اقامه أحمد باشا . وبعبارة اخرى أن هذا ينسجم مع تصور كارل ولتسينجر وكارل واتسينجر ( اللذان لم يطلعا على الوقفية بطبيعة الحال ) لسور دمشق في هذه النقطة حيث يبدو في المخطط الذي وضعاه لدمشق في ١٩١٧ هذا البناء المتعدد الاغراض في طريق دمشق الغربي المواجهة للقلعة ، حيث يمتد السور باتجاه الجنوب(٢٢) . ومما يؤكد ذلك ان الواقف قد اختار لاحقاً هذه الجهة ( الغربية ) لبناء السوق المهم ( سوق السيباهية أو الاروام ) ، وهو ما جعل دمشق تمتد الآن باتجاه الغرب في هذه النقطة حتى تتوازى تقريباً مع نهاية القلعة باتجاه الغرب .

من ناحية اخرى تحفل الوقفية بتفاصيل اخرى تتعلق بالاقسام المختلفة لهذه المنشأة . فقد عين الواقف إماماً ومؤذناً وخطيباً وفراشاً للجامع المذكور ، كما عين معلما ومعيدا للمدرسة المذكورة . اما فيما يتعلق بالخانقاه المؤلفة من خمس عشرة حجرة فيلاحظ أنها لم تكن من النوع الذي شاع في الاذهان . فالوقفية تذكر بوضوح

ان الحجرات المذكورة معدة لاقامة الاشخاص الوافدين الى دمشق لدراسة الفقه الحنفي ، وان هؤلاء كان عليهم « الاجتماع في أوقات الصلاة بالمسجد المشار اليه أعلاه والصلاة به خلف الامام مع الجماعة . وتعلم العلم ( الفقه ) والأدب من الشيخ المشار إليه ، وطريق الذكر والعبادات وما يتقربون اليه الى الله تعالى » وفيما يتعلق بـ «التكية» تجدر الاشارة هنا الى أن هذا التعبير المحلي الدمشقي قد استعمله ابن طولون لأول مرة في وصف « العمارة » التي بناها السلطان سليم الاول في قرية الصالحية بجوار الجامع الذي أنشأه هناك(٢٣) ، والتي كانت مفخرة حضارية للعثمانيين في المناطق التي حكموها(٢٤) . ففي كل مدينة أقيمت « عمارة » أو أكثر لتقديم الوجبات المجانية للطلاب والفقراء وأبناء السبيل ، حيث كانت تتألف الوجبة من رغيف وصحن من الشوربة وقطعة لحم حسب المقدار الذي يحدده الوقف(٢٥) . وفي هذه الحالة نجد أن الوقفية تحدد للتكية توزيع « رغيف خبز وقطعة لحم ومغرفة من الطعام » على العاملين فيها ( الطباخ وانبواب وغيرهم ) وعلى النازلين في « الخانقاه » وعلى « الفقراء الواردين » الى هذه التكية من سكان دمشق .

وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه المنشأة العمرانية الجديدة التي اقامها احمد باشا أصبحت تعتبر « من محاسن دمشق » منذ ذلك الوقت ، وذلك على حد تعبير المؤرخ المعاصر البوريني الذي رآها « على وضع لطيف » وخاصة بما تميزت به من « بركة عظيمة وبستان لطيف واقع في وسطها »(٢٦) . ومن المثير هنا أن البوريني كان اول من أطلق على هذه المنشأة المتعددة الاغراض اسم « الخانقاه » ، مع انها ليست كذلك ، وتابعه في ذلك المؤرخ ابن كنان ( توفي ١١٥١هـ / ١٧٣٨ ) الذي أوردها باسم « الخانقاه الاحمدية »(٢٧) . بينما أطلق المؤرخ المعاصر المحبي ( توفي ١٠٨٢هـ/١٦٧١م ) تعبير « التكية » تارة وتعبير « العمارة » تارة أخرى على هذه المنشأة(٢٨) . ويبدو أن الجامع المذكور في اطار هذه المنشأة العمرانية ، الذي اصبح يسمى « جامع الاحمدية» قد تعرض الى ترميم في ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م كما ذكر الباحثان الالمانيان ولستينجر وواتسينجر اللذان زاراه في مطلع القرن العشرين ( ١٩١٧ )(٢٩) . وقد أضاف الباحثان جملة تفيد أن هذا الجامع « قد تحول الى مطبخ عسكري خلال الحرب العالمية الاولى »(٣٠) ، ولعل هذا يشير الى » التكية » التي انشئت في الاصل ضمن هذه المنشأة والتي تشير اليها الوقفية بتعبير « المطبخ » . وفي ذلك الوقت ( ١٩٢٥ ) كان قد صدر بدمشق كتاب « خطط الشام » لمحمد كرد علي الذي تحدث فيه عن بعض « المدارس المندثرة » في دمشق كـ « مدرسة أحمد شمسي باشا » وغيرها(٣١) ، بينما كانت هذه المدرسة لا تزال قائمة ضمن المنشأة المذكورة . وهكذا فقد عاصر المدرسة في أيامها الاخيرة ( ١٩٤١ ) الباحث محمد أسعد طلس ، الذي وصفها بأنها « مدرسة عظيمة لها باب بقنطرة من الحجر الاسود والابيض ، مزخرفة على النمط التركي ،

ولكنهاشوهت اليوم بالاصبغة »(٣٢) . وبالاضافة الى هذا فقد وجد طلس في «الخانقاه» عشرين غرفة للمجاورين ، بينما كان في الاصل خمس عشرة غرفة ، ولكنه لم يشر بشيء الى « التكية » . ومن المثير هنا أن هذه المنشأة التي تعود الى السنوات الاولى للحكم العثماني هدمت بعد عدة شهور ( ١٩٤٢ ) من زيارة طلس وتوثيقه لما رآه ، دون أي اعتبار لقيمتها الاثرية ، حيث أقامت دائرة الاوقاف جامعا عاديا لا يمت للأصل إلا بالاسم ـ « جامع الاحمدية »(٣٣) .

## ٢ ـ خان الجوخية ( خان الخياطين ) :

ان أي وقف خيري من هذا النوع يحتاج الى دخل دائم لتغطية النفقات المختلفة ( مستحقات العاملين ، مستحضرات الوجبات المجانية اليومية ، الترميم الخ ) ، ولذلك فقد كان الواقف يلجأ عادة الى انشاء خانات وأسواق تؤمن باستثمارها الدخل الدائم لمثل هذا الوقف . وهكذا فقد عمد أحمد باشا أيضا الى انشاء خان عرف حينئذ باسم « خان الجوخ » أو « خان الجوخية » نظرا لموقعه فيما كان يعرف وقتئذ بـ « سوق الجوخ »(٣٤) ، بينما أصبح يعرف في نهاية العهد العثماني باسم « خان الخياطين » بعد أن تغير اسم السوق الى « سوق الخياطين »(٣٥) . ويتمتع هذا الخان ، الذي لا يزال موجودا ، بقيمة تاريخية اذ أنه أول خان عثماني بني في دمشق . وفيما يتعلق بهذا الخان تفيدنا الوقفية الملحقة بمعطيات جديدة عنه . وهكذا تشير الوقفية بوضوح الى أن هذا الخان ، القاسارية كما تسميه بالعرف الشائع عند الدمشقيين في ذلك الوقت ، كان يعرف في السابق بـ « العشر » ثم تعرض الى تجديد وتوسيع حتى أصبح يعرف بالواقف المومى اليه وبانشائه . وتضيف الوقفية هنا التفاصيل المعمارية للخان كما أصبح عليه الان ، اذ أصبح يتألف من طابقين ، وبالتحديد من « أرضية مبلطة بالبلاط الاسود بوسطها بركة يجري اليها الماء من نهر القنوات » ، و « مخازن سفلية مستديرة بها بكل واحد منها باب خاص يفتح على ساحة القاسارية المذكورة وشباك حديد لطيف مطل الى أرض القاسارية » ، و « مخازن علوية مستديرة بها .. بكل واحد باب خاص وشباك لطيف بحديد » . وقد اهتم بهذا الخان خلال الستينات الباحث عبد القادر ريحاوي ، ضمن دراسته عن خانات دمشق ، ووثق لحسن الحظ الواجهة الحجرية الأصلية لهذا الخان بما في ذلك النقش المثبت على الباب الذي يحدد تاريخ بنائه سنة : ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م(٣٦) .

## ٣ ـ سوق السيباهية ( سوق الاروام ) :

بالمقارنة مع المجمع العمراني ( الجامع والمدرسة والخانقاه والتكية ) والخان اللذين بنيا خلال وجود أحمد باشا في دمشق كوالٍ على الشام ( ٩٥٨ ـ ٩٦٢ هـ /

١٥٥١ ــ ١٥٥٥م ) ، نجد أن هذا المجمع التجاري المهم ( سوق السيباهية أو سوق الاروام ) قد بني في وقت لاحق . فقد ضم هذا المجمع كملحق الى الوقفية التي بين أيدينا والتي تعود الى سنة ٩٨٣هـ / ١٥٧٤م ، أي في الوقت الذي كان فيه الواقف قد عاد الى استنبول ليستقر فيها بعد أن تنقل في أكثر من ولاية . وفي الحقيقة تعتبر الوقفية الملحقة مصدرا مهما لانها تكشف عن عدة تفاصيل مهمة بالنسبة الى تطور هذه المساحة من دمشق ، بعد ان انتقلت منها « دار السعادة » الموروثة من العهد المملوكي وأصبحت تضم الان دكاكين السوق الجديد ( السيباهية ) الذي ستأخذ شكله الحالي ( الحميدية ) لاحقاً . وهكذا تمثل لنا الوقفية المصدر الوحيد الذي يسمح بما يتضمنه من تفاصيل مثيرة باعادة تصور هذا السوق الجديد . فقد كان هذا السوق أو المجمع التجاري على شكل مربع تتوسطه « ساحة سماوية لطيفة بها بحرة ماء مثمنة يجري اليها الماء من نهر بانياس » ، تمتد حولها « بالجهات الاربع حوانيت عدتها ثمانية وثلاثون حانوتا : وفي الجانب الشرقي سبعة عشر ، وفي الجانب الشرقي أربعة ، وفي الجانب الغربي ستة ، وفي الجانب الجنوبي عشرة . وبالاضافة الى ذلك فقد كان في الجانب الغربي مسجد و « مكان معد لطبخ القهوة »، أي ما يمكن أن نعتبره أقدم مقهى معروف في دمشق (٣٧) . ومن ناحية أخرى تكشف لنا الوقفية عن وجود « طريق عام يشق السوق من الشرق الى الغرب » ويفصل معه الجانب الشمالي عن الجانب الجنوبي ، الا أنه كانت له بوابة في كل طرف مما كان يحفظ للسوق وحدته .

ولا بد من الاشارة هنا الى أن الوقفية تثير بعض القضايا لدى تحديدها الجهات الاربع لهذا السوق ، فهي تذكر أن خندق القلعة كان يشكل الحد الشمالي ، أي أن الجانب الشمالي من هذا السوق ( ١٧ حانوت ) كان لا يفصله عن السور الغربي للقلعة الا الخندق المشار اليه ، والذي توثق الوقفية وجوده حتى ذلك الحين . ومن ناحية اخرى تشير الوقفية الى السوق المجاور من الشرق ( سوق لا لا مصطفى باشا ) الذي كان قد بني في ذلك الوقت أيضا(٣٨) ، بينما يذكر أن الحد الغربي للسوق كان يتمثل في « الدخلة الآخذة الى ( المدرسة ) القجماسية » ، أي أن المدرسة القجماسية كانت توجد الى الغرب من السوق(٣٩) . وبالنسبة الى الحد الجنوبي لدينا معلومة تشير الى وجود خان آخرانشأه وكيل الوقف « حضرة مولانا مثلا آغا » ، ولا زال تنقصنا المعطيات عنه .

ومع أن الوقفية تنسب هذا السوق الى الواقف ، دون أن تسميه باسم معين ، الا انه في نهاية القرن السادس عشر كان قد اشتهر باسم « سوق الاسباهية » . وهكذا نجد أن وقفية سنان باشا الموثقة في سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٦م تشير الى تجديد سنان باشا للمسجد الموجود في « السوق المعروف بسيباهي بازراي »(٤٠) . وفي الوقت

نفسه نجد أن المؤلف الدمشقي المعاصر موسى الانصاري ( توفي بعد ٩٤٦هـ/١٠٠٢م ) حين يتحدث عن أحمد باشا يذكر أنه « عمر السوق المعروف بسوق الاسباهية تجاه القلعة قبلها » (٤١) . ولكن في نهاية القرن اللاحق ( السابع عشر ) أخذ هذا السوق يحمل اسماً آخر ـ « سوق الاروام » . فقد ذكره بهذا الاسم ( سوق الاروام ) المحبي في معرض حديثه عن الوالي أحمد باشا(٤٢) .

ومن المثير ان المؤرخ الدمشقي ابن كنان كان قد ذكر في مسودته الاولى لـ « المواكب الاسلامية » التي أنجزها في سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٤م « باب النصر » ضمن حديثه عن أبواب دمشق ، بينما أضاف في النسخة المصححة التي أنجزها في ١١٥٢ هـ /١٧٣٨ عبارة « باب سوق الاروام الآن »(٤٣) مما يوحي بشهرة السوق في ذلك الوقت ومما يؤكد ذلك أن البديري الحلاق قد ذكره أيضا بهذا الاسم ( سوق الاروام ) في حوادث سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١(٤٤) . ومع هذا فقد بقيت المصادر خلال القرن الثامن عشر تشير أحيانا الى هذا السوق باسم مركب يجمع بين القديم والحديث « سوق السباهية والاروام »(٤٥) ، بينما تلاشى الاسم القديم وبقي الاسم الجديد للسوق خلال القرن التاسع عشر . وحين زاره الباحثان واتسينجر وولستسينجر في أوائل القرن العشرين ( ١٩١٧ ) وجداه بسقف حديث العهد ، وفي حالة متهدمة الا انه مع ذلك كان يقوم بالخدمات(٤٦) . وقد ادخلت بعض التعديلات ـ الترميمات على هذا السوق بعد نهاية الحكم العثماني ، حيث تحول الى فرع لسوق الحميدية متخصص في بيع المفروشات والسجاد القديم كشأنه الآن(٤٧) .

## الوقفيــة :

تحتفظ المكتبة الوطنية في باريس بالوقفية الاصلية تحت رمز Supp. ar. No. 473 ولدينا الآن نسخة مصورة عنها في مركز الوثائق والمخطوطات للجامعة الاردنية(٤٨) . وتتضمن هذه الوقفية ١٥ ورقة مكتوبة بخط نسخي حسن القراءة ، ولكن تتضمن بعض الاخطاء النحوية والاملائية . وفي الواقع ان ما نورده هنا يمكن اعتباره الوقفية الثانية التي حررت ووثقت في سنة ٩٨٣هـ/١٥٧٤م بعد أن اكتمل الوقف المذكور باضافة سوق السيباهية ـ الاروام ، بينما كانت الوقفية الاولى قد حررت ووثقت في سنة ٩٦٤هـ/١٥٥٦م كما يتضح منها .

وبالاضافة الى ما مر معنا من معطيات مهمة تتعلق بالمنشآت المذكورة تمدنا الوقفية بمعطيات أخرى تستحق التنويه هنا :

١ ــ كشف للعاملين في بعض المنشـآت كالتكية مثـلا ، والاجـور التي كانـوا يتقاضونها ، مما يساعد على تصـور المستوى المعيشـي للسكان في دمشق خـلال ذلك الوقت .

٢ ــ وصف دقيق لما كانت تشتمل عليه بعض المنشـآت من أدوات وخدمات كالفرن الذي كان يقوم مقابل حمام الناصري والطاحون المجاور له .

٣ ــ ذكر لمجموعة من قضاة دمشق في ذلك الحين ممن يصعب أن نجد معطيات عنهم في المصادر الاخرى .

٤ ــ الكشف عن بعض المعالم المجاورة لدمشق التي كان يعتقد انها « مندثرة » كـ « دير الباليسي » حيث تساعدنا هذه الوقفية على تحديد موقعه بشكل تقريبي .

## هوامشـــ :

(١) حول قافلة الحج الشامي وأهميتها بالنسبة لدمشق وبلاد الشام انظر :

جان سوفاجيه ، دمشق الشام ، تعريب فؤاد افرام البستاني ، دمشق ١٩٨٩ ، ص٩٩–١٠٢ .
د. عبد الكريم رافق ، « قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهـد العثماني » ، دراسـات تاريخية عدد ٦ ، دمشق ١٩٨١ ، ص ٥–٢٨ .

Karl K. Barbir, Ottoman Rule in Damascus 1708 - 1758 . Princeton 1980, pp. 108 - 110 .

(٢) للمزيد من التفاصيل حول هذه انظر :
عبد القادر الريحاوي ، « التكية السليمية في الصالحية » ، الحوليات الاثرية مجلد ٨–٩ ، ١٩٥٨ ــ ١٩٥٩ ، ص ٦٧–٧٤ .

(٣) حول هاتين المنشأتين انظر :
عبد القادر الريحاوي ، « التكية والمدرسة السليمانتان بدمشق » ، الحوليات الاثريـة السورية ، مجلد ٧ ج ١–٢ ، دمشق١٩٥٧، ص ١٢٥ ــ ١٣٤ .

(٤) حول هذه المنشآت انظر :

صلاح الدين المنجد ، ولاة دمشق في العصر العثماني ، دمشق ١٩٤٩ ، ص ٤–٦ من القدمة .

Jean - Paul Pascual , Damas à la fin du XVIe siecle , Damas 1983 , pp. 16-19 .

د. محمد م. الارناؤوط ، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ٥٦ ــ ٥٨ .

(٥) Pascual , Damas , p. 107 .

(٦) انظر على سبيل المثال كتاب باسكوال «دمشق في نهاية القرن ١٦ » الذي يعتمد على ثلاث وقفيات ، وكتاب الارناؤوط « معطيات عن دمشق » الذي يعتمد على وقفية واحدة .

(٧) الحسن بن محمد البوريني ، تراجم الاعيان من أبناء الزمان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ج١ ، دمشق ١٩٥ ، ص ١٨٨ .

(٨) حول مغزى هذا التحول الذي حدث حينئذ في الدولة العثمانية انظر :
د. محمد م. الارناؤوط ، دراسات ووثائق حول الدفترية ، اربد ١٩٩١ ، ص ٧-١١ .

(٩) البوريني ، تراجم الاعيان ، ج١ ، ص ١٨٨ - ١٩٠ ، اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين من اسماء العارفين واثار المصنفين، ج٥ ، بيروت ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م ، ص ١٤٨، محمد ثريا ، سجل عثماني، جلد ٣،استنبول ١٣١١ ص ١٧٠

(١٠) في القرن السادس‌عشر لوحده لدينا ثلاث ولاة في دمشق يحملون الاسم ذاته : احمد باشا الذي تولى منصبه في ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٧ ميلادي ، والثاني الحاج‌أحمد باشا في ٩٧٨هـ/ ١٥٦٩ ميلادي ، والثالث أحمد باشا ، صاحب الوقف . انظر المنجد ، ولاة دمشق. ص١٣-١٦ .

(١١) البوريني ، تراجم الاعيان ، ج١ ، ص ١٨٨.

(١٢) المنجد ، ولاة دمشق ، ص ١٤ .

(١٣) سالنامة ولايت سورية ، اون التنجي دفعة، شام شريف ١٣٠٣ هـ ، ص ٣٠-٣١ .

(١٤) محمد ثريا ، سجل عثماني ، جلد ٣ ص ١٧٠ .

(١٥) البوريني ، تراجم الاعيان ، ج١، ص ١٨٨.

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٨٨-١٨٩ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(١٨) محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي المواكب‌الاسلامية‌في الممالك والمحاسن الشامية تحقيق ودراسة د. حكمت اسماعيل ، ج١، دمشق ١٩٩٢ ، ص ٣٤٧ .

(١٩) اكرم حسن العلبي ، خطط دمشق ، دمشق ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ ، ص ٣٠٦ .

(٢٠) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج٦ ،دمشق ١٩٦٩ ، ص٩٩ ، وتجدر الاشارة هنا ان ع. ابراهيم يعلق على نص الانصاري ، حين يشير الى هذه المدرسة التي بناها احمد باشا بالقول « لم نعثر على تحديد مكانها »: شرف الدين موسى بن يوسف الانصاري ، نزهة الخاطر وبهجة الناظر ، تحقيق عدنان محمد ابراهيم ، دمشق ١٩٩١ ، ج٢ ،ص ١٧٠ ، هامش ١٠ .

(٢١) د. يوسف جميل نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق ١١٨٦ - ١٢٥٦هـ / ١٧٧٢ - ١٨٤٠م، ج١ ، دمشق ١٩٨٦ ، ص ١٦٢.

(٢٢) كارل ولتسينجر - كارل واتسينجر ،الاثار الاسلامية في مدينة دمشق ، تعريف قاسم طوير ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ١٣٦ .

(٢٣) ابن طولون ، مفاكهة الخلان‌في حوادث‌الزمان، تحقيق محمد مصطفى ، ج٢ ، القاهرة١٩٦٤، ص ٧٩-٨٠ ، ٨٥ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، ج٢ دمشق ١٩٨٠، ص ١٢٣.

(٢٤) E. Ca. « Imaret » , Enciklope - dija Jugoslavije, novo izdanje, Vol. 5, Zagreb 1988, s. 548 .

(٢٥) Ibid ; Enciklopedija likovnih umetnosti, Vol. 2, Zagreb 1962, s. 674 ; K. Oto-Dorm, Islamska umetnost, Novi Sad 1971, s. 190

(٢٦) البوريني ، تراجم الاعيان ، ج١ ، ص ١٨٨.

(٢٧) ابن كنان ، المواكب الاسلامية ، ج١ ، ص ٣٤٧ .

(٢٨) المحبي ، خلاصة الاثر في‌اعيان القرن الحادي عشر ، بيروت ١٩٦٦ ، ج١ ، ص ١٨ ،٢٠٩

(٢٩) ولتسينجر - واتسينجر ، الاثار الاسلامية، ص ١٣٦ .

(٣٠) المصدر السابق .

(٣١)(٣١) كرد علي ، خطط الشام ، ج٦ ، ص٩٩.

(٣٢) يوسف بن عبد الهادي ، ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، تحقيق محمد اسعد طلس ، بيروت ١٩٤٣ ، ص ١٩١ من الذيل .

(٣٣) المصدر السابق .

(٣٤) يرد هذا الاسم عند ابن الهادي في نهاية العهد المملوكي باسم « سوق الجوخيين »: يوسف بن عبد الهادي ، نزهة الرفاق عن شرح حال الاسواق ، تحقيق حبيب زيات ، المشرق مجلد ٣٧ ، بيروت ١٩٣٩ ، ص٢٢.

(٣٥) عبد القادر ريحاوي ، « خانات مدينة دمشق » ، الحوليات الاثرية العربيةالسورية مجلد ٢٥ ، ج١-٢ ، دمشق ١٩٧٥ ،ص٦١ . ومع ان الباحثين اللاحقين استفادوا من هذا البحث الرائد الا ان د. نعيسة ( ج١ ، ص ١٧٩ ) يتحدث عن « خان الجوخ » و « خان الخياطين » كخانين مختلفين ، بينما يذكر العلبي ( ص ٤٨٠ ) الاسم الاول ( خان الجوخية ) والثاني ( خان الخياطين)كاسمين لخان واحد الا انه يضيف « ويقال انه من بناء والي دمشق أحمد شمسي باشا» ،دون ان يسوق ما يدفعه الى هذا التشكيك .

(٣٦) انظر البحث المذكور في هامش ٣٥ . وتجدر الاشارة الى ان الباحثين الالمانيين ولسينجر و واتسينجر ( ص ١٦٠ ) كانا قد اشارا الى وجود هذا النقش ، ولكن دون ان يسجلا ما فيه من كتابة .

ومن المثير ان التاريخ الذي سجله الريحاوي من النقش ظهر كاملا في الهجري (٩٦٠)وناقصا في الميلادي (١٥٥) ، ولذلك فقد اجتهد الباحثون اللاحقون في تحديد التاريخ الذي بني فيه هذا الخان . وهكذا فقد ظهر تاريخ بناء الخان ١٥٥٠ م لدى د. نعيسة ( ج١، ص ١٧٩) ، و ١١٥٢ م لدى طوير ( ص١٦٠) وهو دون شك خطأ مطبعي ، بينما اكتفى العلبي ( ص ٤٨٠ ) بتثبيت التاريخ الهجري فقط .

(٣٧) لدينا قبل ذلك عند ابن طولون اشارات الى وجود « حوانيت للقهوة » ثم « بيوتللقهوة»، كما كانت تسمى حينئذ ، خلال النصف الاول للقرن السادس عشر قبل ان تمنع القهوة وتغلق المقاهي في منتصف القرن ( ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م ) . وفي عهد الوالي لالا مصطفى باشا ( ٩٧١ - ٩٧٦هـ/١٥٦٣-١٥٦٨م ) سمح بشرب القهوة ثانية واخذت « بيوت القهوة » تفتح من جديد . وهنا لدينا أول مقهى محدد الموقع من هذه الفترة . للمزيد حول هذا انظر :

د. محمد م. الارناؤوط ، «بدايات انتشار القهوة والمقاهي في بلاد الشام الجنوبية » ، اليرموك عدد ٣٥ ، اربد١٩٩٢ ، ص ٣٠-٣٣؛ الارناؤوط ، معطيات عن دمشق ، ص ١٠١ - ١٠٣ .

(٣٨) من الواضح هنا ان هذا السوق الجديد بني في الفترة الفاصلة ما بين انجاز « خان الجوخية » وانشاء « سوق السباهية »، أي خلال وجود الوالي لالا مصطفى باشا في دمشق (٩٧١ - ٩٧٦هـ/١٥٦٣-١٥٦٨م ) . للمزيد عن هذا السوق انظر التفاصيل الواردة في وقفيته :

كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا ، وقف على طبعه خليل مردم بك ، دمشق ١٩٢٥ ، ص ١٩-٢٠ .

(٣٩) بنى المدرسة القجماسية نائب الشام قجماس الاسحاقي خلال فترة وجوده في دمشق ٨٨٦-٨٩٢ هـ / ١٤٨٠ - ١٤٨٦ م . ويذكر المؤرخ الدمشقي المعاصر النعيمي ( توفي ٩٧٨هـ / ١٥٧٤م) ان موقعها كان « داخل باب النصر وباب السعادة » دون ان يضيف اية تفاصيل اخرى . وقد لحقها في السنة الاخيرة لوجودها (١٩١٦)الباحثان الالمانيان ولتسينجر

وواتسينجر ، الا انهما حددا موقعها الى الشمال الغربي من باب النصر في المربع C 3 . وفيما بعد حدد الباحث ريحاوي موقعها الى الشرق من « دار السعادة »، وبالتحديد ما بين المدرسة التي بناها احمد باشا و « سوق السباهية » ( الاروام ) ،بينما يتردد العلبي في تحديد موقع المدرسة مابين « لصيق دار السعادة من الشرق تماما » وما بين البناء رقم ٤ في مربع D4 لدى ولتسينجر ـ واتسينجر . وعلى كل حال تأتي الان هذه الوقفية لتثير من جديد لغز المدرسة القجماسية :

عبد القادر بن محمد النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج١ ، بيروت ١٩٩٠ ، ص ٤٣٤ ، ولتسينجر ـ واتسينجر ، الاثار الاسلامية، ص ١١٢، عبد القادر الريحاوي، « قصور الحكام في دمشق » ، الحوليات الاثرية العربية السورية مجلد ٢٢، ج١-٢، ص ٧١ ( الخريطة ) ، العلبي ، خطط دمشق،

ص ٢٠٨ .

(٤٠) الارناؤوط ، معطيات عن دمشق ، ص٥٦-٥٧ .

(٤١) الانصاري ، نزهة الخاطر ، ج٢ ، ص ١٧٠- ١٧١ .

(٤٢) المحبي ، خلاصة الاثر ، ج١ ، ص ١٨ .

(٤٣) ابن كنان ، المواكب الاسلامية ، ج١ ، ص ٢١٢ .

(٤٤) احمد البديري الحلاق ، حوادث دمشق اليومية ١١٥٤ ـ ١١٧٥هـ / ١٧٤١-١٧٦٢م، تنقيح محمد سعيد القاسمي وتحقيق د.احمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٦٨

Pascual , Damas , p. 107 .

(٤٦) ابن عبد الهادي ، ثمار المقاصد ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ من الذيل .

(٤٧) د. قتيبة الشهابي ، دمشق تاريخ وصور ، دمشق ١٩٨٦، ص ٢٣٣ .

(٤٨) الجامعة الاردنية ـ مركز الوثائق والمخطوطات، رقم الفيلم ١٧٢ ، الرقم المتسلسل ١١١٩ .

* * *

## ( وقفية احمد باشا )

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ( هو ) مثيب الواقف على بابه ثواباً جزيلاً ، ومنيل القاعد في ساحة أحبابه نيلا جليلا ، مجزي المتصدق ابتغاء وجه ربه الكريم جزاء حسنا جميلا ، واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له إله ، قبل الصدقة من عباده وهو غني عنها، وضاعف لهم ثوابها في الآخرة أحسن منها ، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، سيد الأولين والآخرين وحبيبه وخليله ، أعظم الزاهدين والمتصدقين ، بعثه الله تعالى آمراً بالبر والايثار والصدقة والاحسان ، فتصدق صلى الله عليه وسلم بأرضه المختصة به صدقةً مؤبدةً على مرّ الزمان فعامل الخلق أجمعين باللين وحسن الخلق والرفق والشفقة ، ومات صلى الله عليه وسلم ولم يترك ديناراً ولا درهماً ولا عبدا ولا أمة ولا شيئاً سوى بغلته البيضاء وسلاحه وأرضه جعلها صدقة ، فصلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً دائماً الى يوم الدين ، وبعد ..

فلما كانت الصدقة منأعظم القربات وأجلّ المثوبات وأفضل العبادات ، وتذهب عن واقفها السيئات وتجلب له الحسنات ، خصوصاً صدقة الأوقاف المحبسة الجاري ثوابها لواقفها بعد موته وانقضاء أجله ، المكبّت أجرها في صحائفه(١) بعد اندراس أثره وانقطاع عمله ، ووفق الله تعالى سعداء الدارين لاكتسابها سابقوا اليها وعلموا ان الدنيا فانية والآخرة باقية ، واجتهدوا عليها وقدموها بين أيديهم من خالص مالهم الحلال الطيب المصون لينالوا بها البر ويدخلوا في قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »(٧) . ولما كانت هذه المزية العظمى والدرجة العلية التي تتضاعف بها الخيرات وتتنمى رغب في اجراء هذه الصدقة العظمى حضرة من خصه الله تعالى بالنفس القدسية ، والرئاسة(٢) الانسية ، المخدوم الاعظم دستور أعاظم الوزراء في العالم ، صاحب السيف والقلم ، سباق الغايات في نصب رايات السعادات ، البالغ في العدل أقصى النهايات ، ناطورة ديوان الوزارة ، عين أعيان الامارة ، اللائح(٤) في غرته الغراء لوائح(٥) السعادة الابدية ، الفائح(٦) في همته العليا روائح(٧) العناية السرمدية ، ممهد قواعد الملة الربانية ، مؤسس مباني الدولة السلطانية ، من علت رتبته مراتب الدنيا والدين ، سيد الاسلام ومرشد المسلمين ، الحفوف بعون الملك العلام ، أحمد باشا بولاية الشام(٨) لا زالت أعلام العدل في أيام دولته عالية ، وقيمة العلم في آثار رتبته غالية ، وأياديه على أهل الحق فائضة(٩) ، وأعاديه من بين الخلق غائضة(١٠) . وقد

استخار الله تعالى الذي لا يخيب مستخيره ، واستجار بحرم كرمه الذي لا يخاف مستجيره ، وأشهد على نفسه الزكية الكريمة الرضية المرضية ، حرسها الله تعالى من كل سوء ووقاها وصانها من الغير ، ورعاها في صحة ذاته الشريفة وسلامة حضرته العلية المنيفة ، أعلى الله تعالى شأنها ووالى برها واحسانها وقدرها على فعل الخير وأعانها ، انه وقف وحبس وسبل وتصدق تقربا الى ربه الكريم وتقديما بين يديه للقاء خالقه العظيم ، يوم يجزي الله تعالى المتصدقين ولا يضيع أجر العاملين ، بما هو في ملكه السعيد وبيده الكريمة وحيازته الشريفة المستقرة المستمرة الى حين هذا الوقف المبرور . ويشهد له بملك ذلك المستندات الشرعية الآتي ذكرها فيه : وذلك جميع المكان أرضا وعمارة الكائن(١١) ذلك باطن مدينة دمشق المحروسة داخل باب النصر(١٢) بالقرب من المدرسة القجماسية ، المجاور لدار المرحوم أرسلان بك المدعو أصلان من جهة الغرب ، تجاه القلعة المنصورة(١٣) من جهة القبلة ، المشتمل على ساحة سماوية كبيرة بوسطها بحرة مربعة كبيرة يجري اليها الماء والى بقية حقوق هذا المكان المذكور من نهر القنوات(١٤) ، من الطالع الذي هو وراء قناة السبيل الكائنة(١٥) شرقي باب العدل قبلي الخندق ، بحق صحيح وشرعي واجب مستمر من فرض(١٦) مساحته خمسة أصابع وربع ، مفروض ذلك بالجانب الشرقي من الجرن المركب على الطالع المذكور بحق شرعي .

وقبين شماليتين مرصعتين من ظاهرها ، كل واحدة منهما معقودة البناء على أربعة قناطر من حجارة البلقاء(١٧) ، منحوتة باولى منها وهي الشرقية محراب قبلي بواجهة من الحجارة البلقاء المنحوتة ، ومن حوله شباكين بحديد قبلين الى مصلى سماوي وهو مرتفع من جملة الساحة المذكورة . وبالقبة خرستانان(١٨) شرقي وغربي ، وثلاث شبابيك بحديد شمالية مطلة الى الطريق والى القلعة المزبورة بواجهة من حجارة البلقاء المنحوتة(١٩) . وبداخل القبة المذكورة أبراج من الخشب المدهون ، وباب غربي يتوصل منه الى الساحة المذكورة في دركاة(٢٠) لطيفة . وتشتمل القبة الثانية وهي الغربية على ثلاثة شبابيك بحديد بواجهة من حجارة(٢١) البلقاء المنحوتة ، مطلة الى الطريق والى القلعة المذكورة ، وخرستانين بواجهة من الخشب المدهون شرقي وغربي قبلي وباب يتوصل الى ساحة سماوية لطيفة بفسقية لطيفة يجري اليها الماء المذكور بحق شرعي وثلاث مرتفعات احداها تختص بالقبة المذكورة وباقيها تختص بالساحة الكبرى المذكورة وما اشتملت عليه . ولهذه(٢٢) القبة المذكورة باب خاص من جهة الغرب . وبالجدار الغربي من المرتفعات المذكورة طالع(٢٣) الماء الذي هو من حقوق ذلك . وما بين هاتين القبتين المذكورتين اعلاه خمسة حجر معقودة البناء بالحجارة واللات(٢٤) الجديدة والمؤن ، لكل واحدة منها باب خاص يفتح الى جهة القبلة وشباك لطيف بخشب مطل الى الساحة المذكورة والى بقية حقوقها . وبالجهة القبلية من

الساحة المذكورة اعلاه عشرة حجر قبلية معقودة البناء . لكل واحدة منها باب خاص يفتح الى جهة الشمال وشباك لطيف بخشب مطل الى الساحة المذكـورة اعـلاه . وشرقي هذه الحجر العشرة المذكورة أعلاه دار لطيفة يدخل اليها من الساحة المذكورة في باب خاص من جهة الشرق، معدة لسكن(٢٥) الامام الآتي ذكره فيه . وتشتمل هذه الدار المذكورة على ساحة سماوية لطيفة وبيتين ومطبخ ومرتفـق وبئر ماء معين(٢٦) ومنافع ومرافق وحقوق شرعية . بالجانب الغربي من الحجر العشرة القبلية المذكورة اعلاه بيت معدة للحطب ، بداخلها(٢٧) بيت الكيلار ويدخل اليها من الساحة المذكـورة من باب غربي ، ولذلك منافع ومرافق وحقوق شرعية . وللساحة المذكورة اعلاه باب غربي مقنطر بواجهة من الحجارة البيض المنحوتة يدخل منه الى الساحة المذكورة أعلاه والى بقية ما اشتملت عليه في دهليز ، عن يساره(٢٨) باب يدخل منه الى المرتفقـين الذين هما من جملة المرتفقات الثلاثة المبنية غربي الساحة المذكورة اعـلاه . ولذلك جميعه منافع ومرافق وحقوق شرعية وحدود أربعة : من القبلة دار بيري جلبي وتمامه بيد أربابه(٢٩) وبيت أصلان بك المشار اليه ، ومن الشرق دار أصلان بك المزبور ، ومن الشمال الطريق وفيه البا ب الكبير الذي هو بالواجهـة البلقائية(٣٠) المذكورة واليـه شبابيك(٣١) الحديد المذكورة أعلاه ، ومن الغرب الطريق وفيه الباب الغربي المذكور أعلاه وباب المكتب المذكور أعلاه . ويشهد للواقف المومى اليـه بجريان قرار أرض ذلك في ملكه بالابتياع الصحيح الشرعي من محمد جلبي ابن اصلان بـك المذكور بالثمـن الحال المقبوض حاله المستند بالبيع الصحيح الشـرعي ، المؤرخ بثاني عشر(٣٢) ذي القعدة الحرام من شهور سنة ثلاث وستين وتسعماية الثابتة ، المحكوم فيـه من قبـل مفخر قضاة الاسلام اشرف ولاة الانام مولانا نجاتي بن سليمان الحنفي الحاكم خلافة بدمشق المحروسة(٣٣) ، ادام الله تعالى تأييده . ويشهد له أيضا بحق هـذا المكان المذكور أعلاه من الماء المعين أعلاه ، المبين مقداره أعلاه وقدر ذلك خمسة أصابع وربع على الوجه المشروح أعلاه ، المستند الشرعي المؤرخ برابع عشر شهر رمضان المعظم قدره من شهور سنة أربع وستين وتسعمائة الثابتة ، المحكوم من قبل مفخر الخلفاء المعتمدين مولانا محمد بن مراد الحنفي(٣٤) ، أيده الله تعالى ، المتصل ذلك ثبوتا وتنفيذا شرعيا آخر بمولانا وسيدنا الحاكم الذي سيشار اليه فيه ، أحسن الله تعالى اليه .

وجميع القاسارية المعروفة قديما بالعشر ، ويومئذ تعرف(٣٥) بالواقف المومى اليه(٣٦) دامت النعم عليه وبانشائه ، الكائنة باطن مدينة دمشق المحروسة بالصـف الشرقي من سوق الجوخ، والطوابق المستجدة البناء أرضا وعمارة ، والبعض مـن أرضها محتكر يأتي ذكره وبيانه فيه على حكم التفصيل الذي سيبين . وتشتمل هذه القاسارية المذكورة اعلاه على أرضية مبلطة بالبلاط الاسود ، بوسطها بركة يجري الماء اليها والى بقية حقوق القاسارية المذكورة من نهر القنوات بحق صحيح شرعي مستمر،

واجب الجريان اليها دائما أبدا ما دام الماء جاريا في النهر المذكور أعلاه بالطريق الشرعي ، ومخازن سفلية مستديرة بها بكل واحد منها باب خاص يفتح الى ساحة القاسارية المذكورة وشباك حديد لطيف مطل الى أرض القاسارية المذكورة وميناطة(٣٧) من جهة الشرق ، ومخازن علوية مستديرة بها معقودة البناء جميعها بكل واحد منها باب خاص وشباك لطيف بحديد . ويعلو ذلك قبتان كبيرتان (٣٨) كل واحدة منهما معقودة البناء على أربعة قناطر من الحجارة البيض المنحوتة . وبين القبتين اعلاه قنطرة من حجارة البلقاء(٣٩) ، ممتدة البناء قبلة بشمال محمول البناء العلوي المذكور المطل الى ارض القسارية المذكورة على احد عشر عضادة مبنية بالحجارة البيض المنحوتة ، وعمودين من الحجارة البيض من جهة الغرب ، وباب كبير غربي بواجهة من حجارة البلقاء المنحوتة(٤٠) يدخل منه الى القاسارية المذكورة في دركات بها سلمين من الحجارة يصعد منها الى المخازن العلوية المذكورة اعلاه . وعلى كل ركن من ركني الباب المذكور فسقية لطيفة من حجر ابيض ، يجري اليها من الماء المذكور وبحق شرعي . ولذلك جميعه منافع ومرافق وحقوق شرعية منتقلة(٤١) . وأرض تلك القاسارية(٤٢) المعروفة بالعشر التي حدها من القبلة قاسارية ابن مزلق المعروفة بالساعات وتمامه من جهة الشرق القاسارية(٤٣) الخراب التي أضيفت الآن الى ذلك الاتي ذكر انتقالها فيه ، ومن الشرق الدار المعروفة بابن بكار وتمامه الدخلة وفيها الباب الشرقي المسدود يومئذ ، ومن الشمال دار المرحوم القاضي تاج الدين ، ومن الغرب السوق المذكور أعلاه وفيه الباب الشرقي المذكور أعلاه .

(و) قطع(٤٤) الارض التي هي محتكرة واضيفت(٤٥) الى القاسارية(٤٦) المذكورة أعلاه . منها قطعة وهي الخرابة التي حدها من القبلة الحوانيت وقف القويضي وتمامه سوق الخواصين(٤٧) ، ومن الشرق الزقاق وفيه الباب الكبير والبابان كذلك اللذان كانا للمخزنين فيها(٤٨) ، ومن الشمال بيد أربابه ، ومن الغرب قاسارية ابن المزلق جارية في استئجار الواقف المشار اليه للبناء والتعلي وللبقاء والاحترام على الدوام ممن له ولاية ايجارها وقبض اجورها بالطريق الشرعي ، بمقتضى حجة شرعية مؤرخة بخامس عشر شهر شوال سنة اثنين وستين وتسعمائة . وقطعة أرض من جهة الشمال جارية في استئجاره أيضا للبناء والتعلي والبقاء والاحترام على الدوام ممن له ولاية ايجارها وقبض أجورها بالطريق الشرعي ، حدها من القبلة القاسارية الجديدة المذكورة أعلاه ، ومن الشرق وقف ابن المزلق ، ومن الشمال قيمها ، ومن الغرب القاسارية المذكورة وتمامه قبة ايوان الدار المعروفة بوقف القاضي تاج الدين(٤٩) ، الشاهد بذلك الحجة الشرعية المؤرخة(٥٠) بعشري المحرم الحرام من شهور سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، الثابت المحكوم فيها من قبل فخر القضاة والنواب مولانا القاضي ابو اليسر محمد بن جريل الغرب المالكي الحاكم خلافة سابقا بدمشق المحروسة(٥١) .

ورؤس الجدر(٥٢) المشتملة على حوانيت من جملة حوانيت السوق المذكور المعروف بالخواصين من جهة الغرب ، الملاصق كذلك ذرعها قبلة بشمال من باب القاسارية ستة عشر ذراعا ، جار ذلك ايضا في استئجار(٥٣) الواقف المومى اليه أحسن الله اليه للبناء والتعلي والبقاء والاحترام ممن له ولاية وقبض أجوره بالطريق الشرعي بمقتضى الحجة اشرعية المؤرخة(٥٤) في ثامن عشر شهر شوال المبارك من شهور سنة اثنين وستين وتسعمائة ، الثابت المحكوم فيها من قبل سيدنا القاضي أبو اليسر المالكي المشار اليه أعلاه .

وقطعة أرض من جهة الشمال حدها من القبلة القاسارية المذكورة ، ومن الشرق وقف ابن المزلق ، ومن الشمال قسيمها ، ومن الغرب القاسارية المذكورة ، جارية في استئجار(٥٥) الواقف المومى اليه للبناء والتعلي وللبقاء والاحترام كما عين أعلاه ممن له ولاية ايجارها وقبض أجورها بالطريق الشرعي بمقتضى الحجةالشرعية المؤرخبتاريخين، اولهما عشر المحرم من شهور سنة ثلاث وستين وتسعمائة وثانيها سابع عشرى الشهر المذكور من السنة المذكورة ، الثابتة المحكوم فيها سيدنا القاضي ابو اليسر المالكي المشار اليه أعلاه .

وقطعة أرض من جهة الغرب ذرعها قبلة بشمال ثمانية وعشرون ذراعا ، وشرقا بغرب ذراعان ونصف ذراع من الحائط(٥٦) الشرقي ، منتقلة اليه بمقتضى الحجة الشرعي المؤرخة في مستهل ذي الحجة الحرام من شهور سنة اثنينوستين وتسعماية، الثابت المحكوم فيها من قبل مفخرة القضاة والنواب مولانا محمود بن احمد الحنفي الحاكم خلافة سابقا(٥٧) بمحكمة الباب(٥٨) بدمشق المحروسة .

وقطعتين أرض من جهة الشرق حدهما من القبلة والشرق والشمال قسيمها بيد زيد الدين بن ابراهيم الحريري ، ومن الغرب وهو القاسارية المذكورة ، منتقلتين بالاستئجار(٥٩) الشرعي لحضرة الواقف المشار اليه دامت النعم عليه للبناء والتعلي، كما عين أعلاه من زين الدين المذكور أعلاه ، بمقتضى الحجة الشرعية المؤرخة برابع عشرين ذي الحجة الحرام من شهور سنة اثنين وستين وتسعماية ، الثابت المحكوم فيها من قبل سيدنا القاضي ابي اليسر المالكي المشار اليه اعلاه .

وقد ضمت هذه الاراضي المذكورة اعلاه وأضيفت الى القاسارية المذكورةاعلاه، واستقر ما بها من البناءالمستجد من جملة حقوق هذه القاسارية المحدودة ، الموصوفة أعلاه بالطريق الشرعي .

وجميع عمارة الفرن الكائن ظاهر دمشق المحروسة تجاه حمام الناصري(٦٠)، بالقرب من محلة تحت القلعة، المشتمل على داخل به بيت نار وكوشةوأنزال ومعاجن بيت وبيت للرقيد، وساحة سماوية بها بركة تجري الماء اليها من نهر بانياس (٦١) بحق شرعي واجب مستمر، حده من القبلة ملك الحاج علي، ومن الشرق الزقاق غير النافذ(٦٢)، ومن الشمال الطريق وفيه الباب والشباك، المنتقل ذلك الى ذلك الواقف المشار اليه بالبيع الشرعي من الشيخ عبد الرحمن بن يونس، خادم المقصورة بالجامع الاموي، بالثمن الحال المقبوض حالة البيع بمقتضى الحجة الشرعية المؤرخة بسادس عشرين شهر رجب من شهور سنة اثنين وستين وتسعمائة، الثابت المحكوم فيها من قبل مولانا القاضي محمود بن احمد الحنفي المشار اليه اعلاه .

وجميع الطاحون المجاورة للفرن المذكور من جهة الغرب، المشتملة على حجرين مطبقين لطحن الغلال وبيت بقنطرة به سلم حجارة يصعد منه الى طبقة منافع ومرافق وحقوق شرعي، ويتوصل من بيت الطحن المذكور الى ساحة سماوية قبلية لطيفة جار فيها الماء من نهر بانياس والقنوات، الذي منه دوران الحجرين المذكورين بحق صحيح شرعي واجب مستمر، الساقط ذلك على فراشها . ويعلو المسقطين بها سقيفة علوية ولها منافع ومرافق وحقوق شرعية وحدود أربعة : من القبلة بيت الحاج(٦٣) علي بن مصطفى الرومي، ومن الشرق الفرن المذكور، ومن الشمال الطريق فيه الباب، ومن الغرب بيت بالي جلبي كاتب المرج .

وجميع عمارة الطاحون المعروفة بالعراة، لارض دير البالسي(٦٤) من غوطة دمشق المحروسة، المشتمل على حجرين لطحن الغلال واسطبل ومنافع ومرافق وحقوق وحدود اربعة : من القبلة الطريق، من الشرق النهر الخارج من تحتها وتمامه الطريق وفيه الباب، ومن الشمال ارض دير البالسي المذكورة، ومن الغرب نهر عقربا(٦٥) الساقط عليها الذي منه دوران حجريها، المنتقلة هذه الطاحون المذكورة الى ملك الواقف المرمي اليه اعلاه بالبيع الشرعي من فخر الزعماء علي بك بن عبد الله بن عبد الله أحد الزعماء بدمشق المحروسة، بالثمن الحال المقبوض بيده منه حالة البيع بمقتضى كتاب البائع(٦٦) الشرعي المتقدم التاريخ على تاريخه بحق ذلك كله وطرقه ومنافعه ومرافقه وأوصافه، وبجميع ما اشتمل عليه من الحقوق الشرعية الداخلة فيه والخارجة عنه والمعرفة به المنسوبة اليه العلم الشرعي .

( قد وقف كل ذلك ) وقفا صحيحا شرعيا وايقافا صريحا مرعيا وصدقة جارية على الدوام لا ينقطع حكمها ولا يندر رسمها، بل يستمر على ممر الشهور والاعوام . (و) انشأ الواقف المومى اليه، تقبل اللهتعالى منه بره وصدقته وأدام عزه ورفعته،

وقفه هذا منجرا على ما يفصل ويتبين(٦٧) فيه . فاما القبة الشرقية التي بها المحراب المذكور اعلاه فانه جعلها مسجدا لله تعالى يصلى فيه الأوقات الخمس الصلوات المفروضات وسننها ، ويقام فيه الذكر والعبادات . والقبة الثانية ، وهي الغربية ، فانها جعلها مكتبا للاولاد الواردين لتعلم القرآن . والحجرات المذكورات ليسكن فيها من الرجال الافاقية المتجردين لطلب العلم الشريف على مذهب امام الأئمة وسراج هذه الامة الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه . والبيت الذي هو شرقي الساحة المذكورة اعلاه فانه جعلها تكية ومطبخا يطبخ فيه الطعام ويفرق على من يذكر فيه على ما سيشرح ويبين فيه . وباقي الاماكن المحدودة الموصوفة بالعالية جعلها وقفا صحيحا شرعيا يصرف ريعها ومتحصلها وأجورها ومنافعها وغلاتها على مصالح المسجد والتكية والمكتب المبين ذلك جميعه بأعلاه ، وعلى مصارفه الشرعية على ما يتبين(٦٨) فيه . وعين لها شيخا يكون اماما وناظرا على ذلك كله ، ومتوليا ، وكاتبا ، ومعلما يعلم القرآن بالمكتب المذكور ، وخليفة له ، ومؤذنا ، وقارئا(٦٩) يقرأ ما تيسر قراءته على الكرسي بالمصحف الشريف بالمسجد المشار اليه بعد صلاة (٧٠) الظهر ، وطباخا ، وكيلارجيا(٧٠ب) ، وبوابا ، وشغالا ، ومستحفظا للزبادي والصحون يسمى جنقجي(٧١) ، وبازاره كيدن(٧٢) .

وشرط ان يبدأ من له النظر والتولية عليه بعمارة الموقف المعين أعلاه وترميمه واصلاحه وصلاحه ، وما فيه البقاء لعينة والمزيد لاجوره وغلاته ، ودفع ما على بعضه من الحكر لمستحقيه. وما يفضل بعد ذلك يصرف في كل ستة دراهم عثمانية للشيخ الامام الناظر على ذلك ، ويصرف في كل يوم خمسة دراهم عثمانية للمتولي على ذلك ، ويصرف في كل يوم أربعة دراهم للشيخ المعلم بالمكتب المذكور ، ويصرف أيضا في كل يوم ثلاثة(٧٣) دراهم عثمانية للكاتب المذكور ، ويصرف في كل يوم درهمان عثمانيان للقارىء على الكرسي المذكور ، ويصرف في كل يوم درهمان عثمانيان للمؤذن ، ويصرف في كل يوم ثلاثة (٧٤) دراهم عثمانية للطباخ المذكور أعلاه ، ويصرف في كل يوم للكيلارحجي النقيب درهمان عثمانيان ، ويصرف في كل يوم درهمان عثمانيان للبواب الفراش ، ويصرف في كل يوم درهمان عثمانيان للجنقجي وبازاركيدن ، ويصرف أيضا في كل يوم درهمان عثمانيان للشغال .

ويصرف أيضا في كل يوم مبلغ أربعين درهما عثمانيا يشرى منه بعشرين عثمانيا من اللحم الضان ، ويشرى بعشرين درهما من الخبز الطيب من خبز الحنطة ، ويصرف في كل يوم عشرة دراهم(٧٥) عثمانية يشتري بها من الرز الطيب ويصرف أيضا في كل يوم ثمانية دراهم عثمانية يشتري بها من الحطب والملح والبصل وبقية ما يحتاج اليه الطعام الذي يطبخ بالمطبخ المذكور . ويصرف أيضا في كل يوم أربعة دراهم عثمانية

في ثمن شمع وحصر وقناديل . ويطبخ اللحم مع الارز في كل يوم بالمطبخ المذكور ، ويفرق منه كل يوم للشيخ الامام الناظر رغيفيان وقطعتان(٧٦) من اللحم ومغرفتان(٧٧) من الطعام ، وللمتولى على ذلك في كل يوم رغيف وقطعة لحم ومغرفة طعام ، وللطباخ رغيف وقطعة لحم ومغرفة طعام ، وللكيلارجي النقيب رغيف وقطعة لحم ومغرفة طعام ، وللبواب الفراش رغيف وقطعة لحم ومغرفة طعام ، للجنقجي بازاره كيده رغيف وقطعة لحم ومغرفة طعام . ويفرق ذلك في كل يوم بمعرفة الشيخ المشار اليه أعلاه . ولكل واحد من السكان بالحجرة المذكورة رغيف وقطعة لحم ومغرفة من الطعام ، وما يفضل من الطعام المذكور يفرق على الفقراء الواردين الى المكان المذكور أعلاه .

وعلى سكان(٧٨) الحجرات المذكورة الاجتماع في أوقات الصلوة بالمسجد المشار اليه اعلاه والصلاة(٧٩) به خلف الامام مع الجماعة ، وتعلم العلم والادب من الشيخ المشار اليه وطريق الذكر والعبادات وما يتقربون به الى الله تعالى ، وقراءة ما تيسر من القرآن العظيم مع التكبير والتهليل والصلوة والسلام ، على خير الانام سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام ، واهداء ذلك الى الحضرة الشريفة(٨٠) النبوية ، والى روح سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه تعالى ، وفي صحائف(٨١) الواقف المومى اليه وأمواته وأموات المسلمين . وكل من حصل منه تكاسل وتقصير فيعزله الشيخ المشار اليه أعلاه وتقرير مكانه من هو في اهليته لذلك .

وعلى البواب المذكور ان يباشر فرش المسجد المذكور والمكتب ، وتنظيف ذلك وكنسه وسائر(٨٢) ما يحتاج اليه اسوة امثاله . وعلى الشغال المذكور ان يشعل في كل ليلة شمعتين عند المحرب ، واربعة قناديل بداخل المسجد المشار اليه ، وقنديلا بباب الحرم من داخله ، وقنديلا بالمرتفقات المذكورة اعلاه . وعلى كل واحد من بقية ارباب الوظائف(٨٣) المذكورة أعلاه مباشرة وظيفة المعينة أعلاه في ذلك ، من غير تهاون ولا تكاسل ولا تقصير أسوة امثاله في مثل ذلك كما عين وبين فيه .

وما يفضل بعد ذلك جميعه من ريع الموقوف المذكور بعد المصاريف المعنية اعلاه على المشروح أعلاه يشتري به من ثياب الخام ويفصل ذلك قمصانا وترسل الى الحرم الشريف ، على الحال به افضل الصلوة واتم السلام ، صحبة أحد من الاتقياء المتوجه صحبة الركب الشريف الشامي ، يفرق ذلك على الفقراء المجاورين بالحرم الشريف المشار اليه أعلاه ، ويكتب بذلك حجة شرعية بتفرقة ذلك ويحضرها الى الناظر المشار اليه وهو مفخر العلماء والمدرسين مولانا مصلح الدين بن محمد بن الحنفي زيد فضله(٨٤) ، الذي قرره في ذلك مولانا الواقف المشار اليه اعلاه .

وقرر في التولية على ذلك فخر الصالحين حاجي علي بن مصطفى، وأن لايتصرف في شيء من ذلك الا بمعرفة الناظر المشار اليه أعلاه. وعلى الناظر والمتولي المشار اليهما أعلاه تفقد المكان المذكور أعلاه ، والتردد الى المسجد والمكتب والمطبخ المذكور أعلاه، والاشراف على ذلك وعلى بقية الاماكن المذكورة أعلاه ، والنظر في أمر ذلك كله والقيام بمصالح ذلك ومصالح ما هو موقوف عليه ، ومباشرتهما لسائر(٨٥) ما يحتاج ذلك اليه من غير تكاسل فيه ولا تقصير ، والسعي في تحصيل غرض الواقف المومى اليه فيه بحيث ان يستمر احكام ذلك جارية على قواعد الشرعية والمناهج الصحيحة المرضية.

وأخرج الواقف المومى اليه ، خلد الله نعم السعادة عليه وأقبل بوجهه الكريم اليه ، وقفه هذا عن ملكه الصحيح ، تقبل الله تعالى منه ذلك وأثابه عليه الجنة ، وأبانه عن حيازته الشرعية ورفع عنه يد ملكه الكريمة ، وجعله وقفا صحيحا شرعيا على الوجه اعلاه «فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم »(٨٦) . وسلم للمتولى المشار اليه اعلاه أمر التسجيل فيه بعدما قرره في التولية عليه ، فتسلمه منه تسلما حاويا لشرائطة(٨٧) الشرعية المحررة المرضية ، وثبت ذلك لدى الصدر العالي ، عنبر السادة العظام الموالي ، حسنة الايام والليالي ، شيخ مشايخ الاسلام ، الامام قطب دائرة الانام ، حبر الامة ، بحر السنة ، مجمع الافتاء والارشاد ، حجة الله على العباد ، كاشف الدقائق(٨٨) ، مبين الحقائق(٨٩) ، سلطان علماء الشرق والصين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، المحفوف بعناية الملك المعين، مولانا وسيدنا حسن افندي بن عبد المحسن القاضي بدمشق الشام(٩٠) ، أمتع الله بوجوده الانام وأفاض عليه من جلابيب الكرم والانعام ، أعلى الله تعالى شأنه ورفع الى العليا مكانه ، بشهادة شهوده آخره ثم بصريح اعترافه بذلك لديه ثبوتا شرعيا معتبرا مجردا مرعيا بطريقه الشرعي .

ثم بعد تمام ذلك ولزومه ، واستقراره على الوجه المشروح ونفوذه، اراد الواقف المومى اليه ــ أحسن الله تعالى اليه ــ أن يرجع عن الوقف المشار اليه ويرده الى ملكه السعيد كما كان قبل الواقف عليه ، متمسكا بعدم اللزوم فيه على قول امام الائمة وسراج هذه الامة الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، رضي الله عنه تعالى وارضاه وجعل الجنة مأواه (٩١) ، فعارضه المتولى المزبور فيه ونازعه في ذلك بين يدي مولانا وسيدنا الحاكم المشار اليه ، أحسن الله تعالى اليه واقبل بوجهه الكريم المتولى المشار اليه في ذلك بصحته ولزومه واستقراره على شروط وسائر أحكامه على قول الامامين(٩٢) الجليلين المعظمين المكرمين أبي يوسف ومحمد ، رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما وجعل الجنة مثواهما . فنظر بينهما مولانا الحاكم المومى اليه ، دامت النعم عليه ، في ذلك كله نظرا أنيقا وتأمله تأملا شافيا حقيقيا ، وكان نظره

السعيد الموفق السديد في محل النزاع ، وشاهد في جانب المتولى رحجانا قويا ، وأن العمل بالقول الصريح على قول الامامين السعيدين أعلاه ، وتحرر صحة ذلك عنده واتضح ، وصح لديه لزوم هذا الوقف المبرور ، فحكم أيد الله تعالى أحكامه بموجب ما ثبت عنده من ذلك بصحة الوقف(٩٣) المشار اليه ولزومه ونفوذه ، والعمل بسائر(٩٤) أعماله وشروطه ، وسجله تسجيلا حاويا لساير مقدماته ومسوغاته الرعية ، وأجاز ذلك وامضاه وقضى(٩٥) به وارتضاه ، وألزم العمل بمقتضاه على قاعدة مذهبه الشريف ومعتقده الظاهر المنيف ، عالما باذلا فيما هو فيه من ذلك ، حكما صحيحا شرعيا مرعيا مستوفيا لشرائطه(٩٦) الشرعية لا واجباته المحررة المرعية ، بعد ثبوت مقدماته وجميع مسوغاته وما يعتبر شرعا .

وجرى أو حرر في تاريخين أولهما في أوائل شهر رمضان المبارك سنة أربع وستين وتسعمائة ، وثانيهما ثامن عشر شوال من السنة المذكورة ، حسبنا الله تعالى ونعم الوكيل .

هذا ما وجد بصورة أصل كتاب الوقف المنقولة باذن مولانا شاه محمد بن أيوب الحنفي(٩٧) حيثما وقع أعلاه الصورة المذكورة : « الذي قراته أعلى(٩٨) هذه صورة ما وجد في السجل المحفوظ ، نقلت عن أصلها بلا زيادة ولا نقصان ، حرره الفقير شاه محمد بن أيوب المولى بدمشق المحمية خلافة عفى الله عنها ، وباذن علامة الحاكم(٩٩) ختم على العادة وباذني ذلك » وشهود الحال مكتتبة أسمائهم(١٠٠) بخط كاتب الصورة: فالاول شاكري جلبي بن اسحاق ، والثاني الحاج عبد القادر الترجمان والحاج حمزة ابن نصوح الترجمان وعامر جاوش بن اسحق، وكاتب السجل محمد بن الزرعي وغيرهم من الحاضرين ، وذلك بعد تقديم الاذن الكريم العالي من قبل عين أعيان السادة ، المولى شيخ مشايخ الاسلام العلماء الاعلام ، مميز الحلال من الحرام ، خادم شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة(١٠١) وأتم السلام ، الحاكم(١٠٢) العادل ، الفاصل بين الحق والباطل ، المختص بمزيد عون عناية المعين ، مولانا محي الدين جلبي أفندي قاضي القضاة بدمشق الشام(١٠٣) ، الذي سيضع خطه الكريم بآخر هذه الصريح المبارك في نقل ذلك من الصورة المذكورة ، وثبوت المقابلة لديه بشهادة من سيضع خطه في هذا الصرح المبارك الثبوت الشرعي ، وصار معمولا به لصحته وموافقته للاصل المذكور واعتبار ما وجب شرعا .

ثم بعد تمام ذلك أشهد عليه الوكيل الشرعي(١٠٤) عن حضرة مولانا الواقف المومى(١٠٥) اليه ، خلدت السعادة عليه ، وهو قدوة الاكابر والاعاظم ، مستجمع جميع

المحامد والمكارم ، حضرة مولانا منلا آغا دام مجده ورفعته ، الثابت توكيله عنه في ذلك بشهادة مولانا محي جلبي بن علي ، وفخر الاكابر المعتبرين عين أعيان الجاوشية بالباب العالي ابراهيم بك بن البدر بن حسن الشهير نسبه الكريم بابن طالو ، وفخر الاكابر مستجمع المحامد مولانا عبد الجبار بن عمر الثبوت الشرعي ، اشهادا شرعيا بأنه الحق بوقفه المتقدم ذكره في هذا الصريح المسطور جميع السوق الكائن(١٠٦) باطن دمشق المحروسة بالقرب من مدرسة القجماسية المعروف بانشاء الواقف الموكل المومى اليه ، دامت النعم عليه ، المشتمل كاملة على ساحة سماوية لطيفة بها بحرة ماء مثمنة ، يجري اليها الماء من نهر بانياس بحق واجب معلوم ، وبالجهات الاربع حوانيت عدتها ثمانية وثلاثون دكانا : منها بالجانب القبلي عشرة حوانيت ، وبالجانب الشمالي سبعة عشر حانوتا ، وبالجانب الشرقي أربعة حوانيت ، وبه باب يتوصل منه الى أربعة طباق راكبة على الحوانيت الشرقية ولكل واحد منها منافع ومرافق وحقوق شرعية ، وبالجانب الشمالي ستة حوانيت وبه مكان معد لطبخ القهوة ذات منافع شرعية، وبالجانب الغربي خزانة ذات منافع شرعية . ولكل من الحوانيت المذكورة فناء ، واغلاق ، ومنافع شرعية . وبالسوق المذكور مسجد لأجل اقامة الصلوات(١٠٧) الخمسة من جهة الغرب. ويفصل بين الحوانيت الشمالية والقبلية طريق عام آخذ شرقا بغرب ، يتوصل منه الطريق السلطاني تجاه دار السعادة(١٠٨) ، ويغلق على ذلك بوابتان لكل منهما قوس من الحجارة البيض المنحوتة(١٠٩) . ويحصر ذلك جميعه من القبلة الخان الذي هو من انشاء الموكل المومى اليه خلدت السعادة عليه ، ومن الشرق السوق المعروف بانشاء حضرة(١١٠) مولانا مصطفى باشا ، يسر الله له من الخيرات ما يشاء ، وتمامه الطريق السلطاني المتقدم ذكره ، ومن الشمال الخندق ومن الغرب الدخلة الآخذة الى المدرسة القجماسية وتمامه الى الطريق الآخذ الى تكية الواقف المومى اليه ، خلدت السعادة عليه ، بحق ذلك وهو لذلك من الحقوق الشرعية الواجبة لذلك شرعا ، الحق كل ذلك الحاقا شرعيا وجعله وقفا شرعيا على مقتضى شرط وقف الموكل المومى اليه ، دامت النعم عليه ، في الحال والمال والتعذر والامكان . والنظر والاستحقاق بالطريق الشرعي .

وشرط الوكيل أيضا بالوكالة عن موكله المومى اليه ، خلدت النعم عليه ، أن يبدأ من له النظر في أمر وقفه السابق وهذا اللاحق باصلاحه وصلاحه ، وما فيه النماء والمزيده لأجوره وغلاته . ومهما فضل بعد ذلك يصرف منه في ثمن أرطال خبز من خبز الحنطة ثلاثة قطع فضة ، وفي شراء رطلان لحم من اللحم الضأن خمسة قطع ، مضاف ذلك الى ما هو معين بالوقف السابق المحكي في هذا الصريح المزبور . وأن يصرف ايضا لشيخ الطعام في كل يوم قطعة واحدة زيادة على ما هو مقرر له بالوقف السابق المشروح فيه ، وللجابي في كل يوم قطعة فضة ، وللبواب عثماني زيادة عن ما مقرر لهما بوقفه

السابق المزبور . وما فضل بعد ذلك جميعه من ريع الموقوف المذكور ، بعد المصارف المشروحة فيه ، يشترى من ثياب الخام ريفصل مائة قميص وترسل الى الحرمين الشريفين على الحال ، بهما افضل الصلاة(١١١) والسلام ، لمكة المشرفة والمدينة المنورة(١١٢) صحبة أحد من الاتقياء المتوجه صحبة الركب الشريف الشامي ، ويفرق ذلك على الفقراء المجاورين ، وتكتب بذلك حجة شرعية ويحضرها الى المتولي على ذلك، زيادة عن ما هو معين بوقفه السابق المشروح في هذا الصريح المزبور .

ثم بعد تمام ذلك كله ولزومه وابرامه(١١٣) على شرح ما فيه ، أراد وكيل الواقف(١١٤) المومى اليه أن يرجع عما وقفه محتجا بعدم اللزوم عندما أتم شروط الوقف المذكور على النسق المسطور والنمط المذكور ، وسلمه لفخر الاعيان المعتبرين عمر جلبي الذي جعله شريكا في التولية الى أن يتم أمر التسجيل في هذا الوقف ، وفوضه اليه فقابله المتولي بالامتناع عن رده اليه محتجا بلزومه على قول كثير العلماء عليهم رضوان خالق الارض والسماء ، فتنازعا وتخاصما حتى ترافعا في هذا الامر الى عين أعيان السادة الموالي ، سلطان العلماء المحققين ، برهان الفضلاء المدققين ، ينبوع الفضل واليقين ، وناصر ارباب الشريعة الغراء ، مظهر آيات الملة الحنفية البيضاء ، الذي بيده العقد والتنفيذ والامضاء ، وهو الحاكم الموقع بخطه بذيل هذا الصريح الشريف الميمون المستطاب ، لا زال باباً لأولي الالباب . فنظر حضرة مولانا وسيدنا الحاكم المومى اليه ، خلدت السعادة عليه ، في هذه المسألة(١١٥) المختلف فيهما تاملا جزيلا . فلما كان جانب الوقف راجحا عنده على جانب الملك حكم ــ أدام الله أحكامه ــ على وجه الوكيل بصحة الوقف الملحق على ما عين وبيّن بلزومه على قول من جوز لهذا القدر من الشرائط(١١٦) من الائمة المجتهدين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، عالما بالخلاف الجاري في مسالة(١١٧) الوقف بين أهل الاجتهاد الذين هم أشرف خواص العباد ، حكما صحيحا شرعيا جامعا لشرائطه(١١٨) المعتبرة اللازمة شرعا ، وحاويا لضوابطه المهمة الواجبة اصلا وفرعا ، وسجله بتسجيل شرعي فصار الوقف المزبور وقفاً لازما ، مسجلا متفقا عليه بلحوق حكم الحاكم المومى اليه ، بحيث لا يباع ولا يرهن ولا يبدل ولا يغير ، بل يجري على أصله المؤبد(١١٩) ويقام على شرطه المخلد ولا يحل لأحد ممن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، ويعلم انه الى ربه الكريم سائر(١٢٠) ، نقض هذا الوقف المزبور ، ومن بدله بعد ماسمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ، واعتبار ذلك بعد ما وجب اعتباره شرعا .

تحريرا في شهر من شهور سنة ثلاثة وثمانين

وتسعمائة ، حسبنا الله تعالى

ونعم الوكيل

مطابق لفرعه ممضي مختوم ، حرره الفقير احمد الصديقي

القسام العسكري بمدينة الشام

عفى عنه

( الخاتم )

* * *

## هوامش :

(١) في الاصل : صحايفه .

(٢) القرآن الكريم ، آل عمران ٩٢ .

(٣) في الاصل : الرياسة .

(٤) في الاصل : اللايح .

(٥) في الاصل : لوايح .

(٦) في الاصل : القايح

(٧) في الاصل : روايح .

(٨) في الاصل : شام .

(٩) في الاصل : فايضة .

(١٠) في الاصل : غايضة .

(١١) في الاصل : الكاين .

(١٢) أحد أبواب دمشق المحدثة ، فتحه الملك الناصر من الجهة الغربية للسور المحيط بدمشق القديمة ، ولا يزال يسمى باسمه الشارع الرئيسي المواجه لمدخل سوق الحميدية : ابن كنان ، المواكب الاسلامية ، ج١ ، ص ٢١٢ ، صلاح الدين المنجد ، دمشق القديمة ( اسوارها ، ابراجها ، ابوابها )، دمشق ١٩٤٥ ، ص ٦١ .

(١٣) المقصود هنا قلعة دمشق التي لا تزال قائمة في مكانها . حول هذه القلعة انظر : عبد القادر ريحاوي ، قلعة دمشق : تاريخها وآثارها وفنونها المعمارية ، دمشق ١٩٧٩.

(١٤) احد فروع نهر بردى السبعة الذي يتفرع عنه في الشادروان ، ويعتبر من أهم الفروع التي تروي مدينة دمشق بالمياه :
د. صفوح خير ، مدينة دمشق ـ دراسة في جغرافية المدن ، دمشق ١٩٦٩، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(١٥) في الاصل : الكاينة .

(١٧) في الاصل : حجارة بلقا ، وهي نسبة الى منطقة البلقاء المشهورة بحجارتها .

(١٨) « الخرستان » أو « الخرستانة » في القاموس الدمشقي هي واحدة من خزائن المطبخ وتجمع على « خراستين » ، بينما تدل هنا عن المكان ( ستان ) الذي يأتي منه الضوء ( االشمس ) .

(١٩) في الاصل : الحجارة البلقاء المنحوتة .

(٢٠) تعبير فارسي بمعنى السدة وهو مركب من « در » ( باب ) وكاه ( محل ) : السيد ادى شير ، معجم الالفاظ الفارسية المعربة، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٦٢.

(٢١) في الاصل : الحجارة .

(٢٢) في الاصل : ولهذا .

(٢٣) الطالع في القاموس الدمشقي هو موزع الماء، ويكون على شكل مربع حجري يوزع الماء الوارد اليه من أحد فروع بردى الى عدة اتجاهات : رضا مرتضى ، « تطور توزيع المياه في مدينة دمشق »، العمران عدد ١٣ـ ١٤ـ١٥ ، دمشق ١٩٦٧ ، ص ٧١ـ١٨ .

(٢٤) في « القاموس المحيط » يرد من معاني « بلت » الخلط ، ولذلك قد تعنى « اللات » الخليط الذي يستعمل ما بين الحجارة أو على الحجارة : الفيروز بادى ، القاموس المحيط ، ج١ ، بيروت د.ت ، ص ١٦٢.

(٢٥) في الاصل : يسكن .

(٢٦) في الاصل : معير .

(٢٧) في الاصل : بداخله .

(٢٨) في الاصل : عن يسرته .

(٢٩) هامش زائد .

(٣٠) في الاصل : البلقاء .

(٣١) في الاصل : الشبابيك .

(٣٢) في الاصل : العشر .

(٣٣) لم نعثر له على ترجمة .

(٣٤) لم نعثر له على ترجمة .

(٣٥) في الاصل : يعرف .

(٣٦) في الاصل : مومى اليه .

(٣٧) المنيطاة .

(٣٨) في الاصل : قبتين كبيرتين .

(٣٩) في الاصل : الحجارة البلقا .

(٤٠) في الاصل : حجارة بلقا منحوتة .

(٤١) في الاصل : المنتقل .

(٤٢) في الاصل : ذلك .

(٤٣) في الاصل : القاسرية .

(٤٤) في الاصل : القطع الارض .

(٤٥) في الاصل : واضيف .

(٤٦) في الاصل : القسارية .

(٤٧) من المؤكد انه كان احد فروع « سوق الجوخ » حيث لدينا في هذا السوق ما يسمى « خط الخواصين » . والخواصون هم الذين يطرزون الملابس بخيوط من الذهب : العلبي ، خطط دمشق ، ص ٤٣٨ .

(٤٨) في الاصل : والبابين كذالذين كانا للمخزنين بهـا .

(٤٩) في الاصل : التاج الدين .

(٥٠) في الاصل : المؤرخ .

(٥١) قد يكون لدينا هنا خطأ في النسخ ، اذ وجد في ذلك الوقت محمد بن أحمد المغربي المالكي الذي تتلمذ على الفقيه والقاضي المعروف بدمشق علاء الدين المالكي وناب عنه في القضاء بعد سفره شيخه : الغزي ، لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر ، تحقيق محمود الشيخ ، ج١ ، ص ٩٥ — ٩٨ .

(٥٢) قد توحي للوهلة الاولى انها جمع جدار ، وربما تكون تحريفا في النسخ لـ « جدك »وهو ما يضاف من ملحقات وأبنية على الوقف الاصلي ويعطى صاحبه حقا خاصا : محمد ابو زهرة ، محاضرات في الوقف ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١١٠ — ١١١ .

(٥٣) في الاصل : استيجار .

(٥٤) في الصل : المؤرخ .

(٥٥) في الاصل : استيجار .

(٥٦) في الاصل : الحايط .

(٥٧) لم نعثر له على ترجمة .

(٥٨) احدى محاكم دمشق الستة في العهد العثماني ، التي كانت الاهم نظرا لكونها مقر القاضي الحنفي ، حيث كانت تقع مقابل المدرسة النورية الكبرى ولذلك كانت تسمى احيانا بـ « محكمة النورية الكبرى»: A. K. Rafeq, The Province of Damascus 1723 - 1783, Bejrut 1966, p.

(٥٩) في الاصل : الاستيجار .

(٦٠) حمام الناصري البراني بني في منطقة السنجقدار المجاورة للقلعة من قبل نائب الشام تنكز الناصري سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م، وجعله وقفا على جامعة . جدده حفيده صلاح الدين سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢م . هدم سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م :
العلبي ، خطط دمشق .

(٦١) احد فروع نهر بردى ، يتفرع عنه في الربوة ويمر من شارع النصر ليدخل في قلعة دمشق، حيث يتفرع هناك بدوره الى عدة فروع : خير ، مدينة دمشق، ص ١٠٠–١٠١ .

(٦٢) في الاصل: الغير نافذ .

(٦٣) في الاصل : بين حاج .

(٦٤) اعتبر كرد علي دير البالسي من الديور المندثرة التي لم يعد لها ذكر في الكتب ، ولذلك تفيدنا هذه الوقفية في تحديد تقريبي

له إذ يفترض ان يكون خارج باب توما على امتداد نهر عقربا : محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ٥٧ـ٥٨ .

(٦٥) نهر عقربا او العقرباني ، نسبة الى قرية عقربا ، احد فروع نهر بردى ، وهو يتفرع عنه في ساحة المرجة ليسير بمحاذاة السور الشمالي لقلعة دمشق حتى يخرج من باب توما ليروي بعض بساتين الغوطة : خير ، مدينة دمشق ، ص ١٠٣

(٦٦) في الاصل : البايع .

(٦٧) في الاصل : وتبين .

(٦٨) في الاصل : وتبين .

(٦٩) في الاصل : وقارءا

(٧٠) في الاصل : صلوة .

(٧١) تعبير مركب يوناني ـ تركي ، اذ ان «الكيلار» من أصل يوناني وتعني غرفةالمؤونة» والحقب بها « جي » التركية التي تتعلق بالمهنة.وقد استعمل حينئذ في الوقفيات تعبير اخر مركب ( كيلاردار ) بالمعنى ذاته : الارنـاؤوط ، معطيات عن دمشق ، ص ١٩٢ .

(٧١) جنقجي çanakci تتألف من « جنـق » çanak أي الصحن و « جي »الدالة على المهنـة ، وهـي تعني ما أراده الواقـف « المستحفظ على الصحون والزبادي ».

(٧٢) بازاره كيدن Pazara giden تعني حرفيا « الذي يذهب الى السوق »، ويراد بهـا هنا « المتسوق » أي الذي يكلف بشـراء الحاجات الضرورة للوقف من السوق .

(٧٣) في الاصل : ثلث .

(٧٤) في الاصل : ثلث .

(٧٥) في الاصلل : عشر درهما .

(٧٦) في الاصل : رغيفين وقطعتين .

(٧٧) في الاصل : مغرفتين .

(٧٨) في الاصل : السكان .

(٧٩) في الاصل : الصلوة .

(٨٠) في الاصل : الشريف .

(٨١) في الاصل : صحايف .

(٨٢) في الاصل : ساير .

(٨٣) في الاصل : وظايف .

(٨٤) لم نعثر له على ترجمة .

(٨٥) في الاصل : لساير .

(٨٦) القرآن الكريم ، سورة البقرة ١٨.

(٨٧) في الاصل : لشرايطة .

(٨٨) في الاصل :الدقايق .

(٨٩) في الاصل : الحقايق .

(٩٠) لم نعثر له على ترجمة .

(٩١) في الاصل : مأوية .

(٩٢) في الاصل : امامين .

(٩٣) في الاصل : الواقف .

(٩٤) في الاصل : بساير .

(٩٥) في الاصل : وقضا .

(٩٦) في الاصل : لشرايطه .

(٩٧) لم نعثر له على ترجمة .

(٩٨) في الاصل : أعلا .

(٩٩) في الاصل : للحاكم .

(١٠٠) في الاصل : اسماهم .

(١٠١) في الاصل : الصلوة .

(١٠٢) في الاصل : للحاكم .

(١٠٣) لم نعثر له على ترجمة .

(١٠٤) في الاصل : وكيل شرعي .

(١٠٥) في الاصل : مومى .

(١٠٦) في الاصل : الكاين .

(١٠٧) في الاصل : الصلوة .

(١٠٨) « دار السعادة » أو دار الامارة التي كانت مقرا للنواب في العهد المملوكي وللولاة في مطلع العهد العثماني . للمزيد من التفاصيل انظر : ريحاوي ، قصور الحكام في دمشق ، ص ٦٠ـ ٧٠ .

(١٠٩) في الاصل : نحيت .

(١١٠) في الاصل : حضرت .

(١١١) في الاصل : الصلوة

(١١٢) في الاصل : المنور .

(١١٣) في الاصل : وانبرامه .

(١١٤) في الاصل : الوكيل الواقف .

(١١٥) في الاصل : المسئلة .

(١١٦) في الاصل : الشرايط .

(١١٧) في الاصل : مسئلة

(١١٨) في الاصل : لشرايطه .

(١١٩) في الاصل : المؤيد .

(١٢٠) في الاصل : ساير .

* * *

BIBLIOTHEQUE

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يثيب الواقف على بابه ثوابا جزيلا وينيل القاعد
في ساحة احبابه نيلا جليلا ويجزي المتصدق ابتغاء وجه
ربه الكريم جزاء حسنا جميلا واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له اله قبل الصدقة من عباده وهو غني عنها
وضاعف لهم ثوابها في الآخرة احسن منها واشهد ان
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سيد
الاولين والآخرين وحبيبه وخليله اعظم الزاهدين
والمتصدقين بعثه الله تعالى آمرا بالبر والايثار والصدقة
والاحسان فتصدق صلى الله عليه وسلم بارضه المختصة
بر صدقة مؤبدة على مر الزمان فعامل الخلق اجمعين باللين وحسن
الخلق والرفق والشفقة ومات صلى الله عليه وسلم ولم يترك دينارا
ولا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيئا سوى بغلته البيضاء وسلاحه

الصفحة الاولى من الوقفية

| | |
|---|---|
| Directeur de la Revue | Abdul Gani Ma' Al Bared<br>Recteur de l' Université de Damas |
| Directeur de la Rédaction | Mouhammad Mouhaffel |
| Rédacteur en Chef Adjoint | Abdul Karim Ali |

**Revue Historique éditée par le Comité de Rédaction de l' histoire Arabe :**

Dr. Abdul Gani Ma' Al Bared

Dr. Adel Awwa

Dr. Nour el-din Hatoum

Dr. Chaker Fahham

Dr. Mouhammad Kheir Fares

Dr. Hamed Khalil

Dr. Khairieh Quasmieh

Dr. Taib al Tizini

Dr. Soultan Mouhaissen

M. Mouhammad Mouhaffel

Dr. Souheil Zakkar

Dr. Moufid Al Abed

Dr. Faisal Abdulah

Dr. Ali Ahmad

M. Abdul Karim Ali

الهوامش:

١- Moore, A., "The Neolithic of the Levant, 1&ii." Unpublished Ph.D. Thesis Submitted for the Degree of Doctor of Philosophy. Oxford University. University College. 1978: 84

٢- Moore, A., ibid 1978: 86

٣- Cauvin, J. " Chronologie Relative et Chronologie Absolue dans Le Neolithique du Levant Nord et d'Anatolie entre 10000-8000 B.P" Lyon, Colleque International du CNRS. Chronologie du Proche-Orient. BAR International Series 379 (i) (1987): 333

٤- Kenyon, K., " Excavation at Jerico, 1956". Palestine Exploration Quarterly , 1956: 72

٥-أبو طالب، محمود اثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة (أضواء جديدة). ١٩٧٨. ٤٣-٤٤.

كفافي، زيدان القرى الزراعية في الأردن خلال العصر الحجري الحديث حوالي (٨٠٠٠-٤٥٠٠ ق م). مجلة ابحاث اليرموك مجلد ٢ (١٩٨٦):٧٤-٧٥

كفافي، زيدان الاردن في العصور الحجرية. ١٩٨٩ ١٣٧-١٣٩.

٦- Banning, E., and Byrd, B., "The Architecture of PPNB Ain Ghazal," Jordan. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 1984, 255: 15-20

Banning, E., and Byrd, B., "House and the Changing Residential Unit: Domestic Architecture at PPNB, Ain Ghazal, Jordan ." Procceedings of the Prehistoric Society 1987, 53: 309-325.

Aurenche, O. "La Maison Oriental: L'Architecture du Proche-Orient Ancien des Origines au Milieu-du Quatrième Millenaire. Tome 1&2". Paris. Librairie Orientaliste Paul Geuthner S.A.1980

٧- Kenyon, K., "Excavation at Jericho, 1953". Palestine Exploration Quarterly , 1953 : 83

٨- Moore, A., "The Neolithic in the Levant". 1978: 86.

وانظر Moore, A.. "A Four Stage Sequence for the Levantine Neolithic, ca. 8500-3750 B. C". Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 1982, 258: 1.

٩- Kirkbride, A., and Harding, L., "Hasma". Palestine Exploration Quarterly , 79 (1947): 7-27.

Stekelis, M., "Hasma, Note on the Flint". Palestine Exploration Quarterly, 79 (1947): 26.

Kirkbride, D., "The Neolithic in the Wadi Rumm: Ain Abu Nekheileh". 1-10. in; Archaeology in the Levant, Essays for Kathleen Kenyon. edited by Roger Moory and Peter Parr, Warminster: Aris and Philips Ltd. -١٠.

Kirkbride, D., "Five Seasons at the Neolithic Village of Beidha in Jordan". Palestine Exploration Quarterly 1966 (98): 56 -١١

Henry, D., "Summary of Prehistoric and Palaeoenvironmental Research in the Northern Hisma".- in: Garrard, A., and G. Gebel,H. G., (eds.). The Prehistory of Jordan. 1986. BAR, Intrnational Series, 396: 32. 1988 ١٢

Raikes, T. D., "Note on Some Neolithic and Later Sites in Wadi Araba and the Dead Sea Valley. Levant, 1980, XII: 40-60. -١٣

Bennet, C. M. "Soundings at Dhra; Jordan."Levant 1980: 39 -١٤

Macdonald, B., "The Wadi el Hasa Survey, 1980, A Preliminary Report". Annual of the Department of Antiquities of Jordan, 24 (1980): 169-183. -١٥

Clarck, G. A., Lindly, J. M., Donaldson, M., Garrard, A., Coinman, N. R., Schuldenrein, J., Fish S., S., & Olszewsk, D. "Paleolithic Archaeology in Southern Levant: A Preliminary Report of Excavations at Middle, Upper & Epi-Paleolithic Sites in Wadi el Hasa West-Central Jordan". Annual of the Department of Antiquities of Jordan, 1987, 31: 19-78.

Clarck, G. A, Majchrowicz, D. and Coinman, N. "A Typological Study of Upper Palaeolithic Collections from the Wadi al-Hasa Survey with Observations on Adjacent Time-Stratigraphic Units. 87-127 in B. Macdonald (ed.), The Wadi al-Hasa Archaeological Survey (1979-1983), West Central Jordan Waterloo. Wilfridlaurier University Press 1988. وانظر

Clarck, G. A., Neely, M. P., Macdonald, B., Schuldenrein, J., & Amre, K. "Wadi al Hasa Paleolithic Project 1992: Preliminary Report. "Annual of the Department of Antiquities of Jordan, 1992, 36: 13-23. وانظر

Gebel, H. G. "Late Epipalaeolithic-Aceramic Neolithic Sites in Petra". in Garrard, A & Gebel, H. G. (eds.)The Prehistory of Jordan, 1986. BAR International Series 396 (i) (1988): 67-100. -١٦

Gebel, G., & Strack, J. M., "Investigations in to The Stone Age of The Petra Area (Early Holocene Research). A Preliminary Report on the 1984 Campaigns". Annual of the Department of وانظر

Antiquities of Jordan, 1985, 29: 89-114

Bennet, C. M., "Soundings" Levant, 1980, 12: 39. ١٧-

Henry, D."The Prehistory & Paleoenvironment of Jordan: an Overview". Paléorient 1986, 12/2: 20.

Gebel, H. G., "Late Epipalaeolithic". The Prehistory of Jordan. 1988: 78.

Kirkbride, D., "The Neolithic". Archaeology in the Levant. 1978: 8-9. ١٨-

Gebel, H. G., "Late Epipalaeolithic". The Prehistory of Jordan. 1988: 78 ١٩-

Henry, D., "Summary of Prehistoric and Palaeoenvironmental Research in the Northern Hisma". ٢٠-
in: Garrard, A., and Gebel, H.G., (eds.). The Prehistory of Jordan. BAR, IS, 396 (1988): 32.

Raikes, T. D. "Note on Some Neolithic and Later Site in Wadi Araba and the Dead Sea Valley". ٢١-
Levant, 1980, 12: 40-60.

Kirkbride, D., "Five Seasons". PEQ, 1966, 98: 4. ٢٢-

Gebel, H. G., "Late Epipalaeolithic". The Prehistory of Jordan. 1988: 83. ٢٣-

Kirkbride, D., "Five Seasons". PEQ, 1966,98: 47. ٢٤-

Kirkbride, D., "Beidha 1965: An Interim Report". PEQ, 1967, 99: 12. ٢٥-

Gebel, H. G., Muheisen, M., & Nissen, H., "Preliminary Report on The First Season of ٢٦-
Excavations at Basta" In Garrard, A. and Gebel, H. (eds.). The Prehistory of Jordan. 1986.BAR IS 396 (i) 1988 :131.

Kirkbride, D., "The Neolithic". Archaeoloy in the Levant 1978: 9 ٢٧-

Kirkbride, D., "Five Seasons". PEQ ,1966,98: 19, pl.XA. ٢٨-

Gebel et al "Late Epipalaeolithic". The Prehistory of Jordan. 1988: 81-86. ٢٩-

Kirkbride, D., "Beidha 1965". PEQ, 1967, 99: 8. ٣٠-

Kirkbride, D., "Seyl Aqlat, Beidha, Près de Petra". Revue Biblique, 1963, 72: 252. ٣١-

Kirkbride, D., "Beidha: Early Neolithic Village, Life Southe of the Dead Sea". Antiquity, XLII, ٣٢-
(1968b): p. 266.

٣٣- عابد، عبد القادر "جيولوجيا الاردن". منشورات مكتبة النهضة الاسلامية. عمان-الاردن. ١٩٨٢. ص. ١٨٠.

Kirkbride, D., "Five Seasons". PEQ, 1966,98: 22-23. -٢٤

Kirkbride, D., Ibid : 23. -٢٥

Kirkbride, D., Ibid : 6. -٢٦

Kirkbride, D., "The Neolithic". The Archaeology in the Levant. 1978: 8. -٢٧

Cauvin, J., "Les Premiers Villages de Syrie-Palestine de IXème au VIIème Millénaire avant J. C." Lyon. Maison de L' Orient.: 38-43. -٢٨

Goring-Morris, A. N., "From Foraging to Herding in the Negev and Sinai: The Early to Late Neolithic Transition". Paléorient, 1993, 19/1: 68. -٢٩

Waechter, J., and Seton-Williams, V., "The Excavations at Wadi Dhobai 1937-1938 and the Dhobanian Industry". Journal of the Palestine Oriental Society, 18 (1938): 172-186. -٤٠

Kirkbride, D., "Beidha. 1965". PEQ, 1967, 99: 8. -٤١

Kirkbride, D., "Beidha. An Early Neolithic Village. Jordan". Archaeology, 1966, 19: 201. -٤٢

Kirkbride, D., "The Neolithic". The Archaeology in the Levant. 1978: 8-9. -٤٣

Gebel, H. G., and Starck, J. M.,"Investigations". ADAJ, 1985, 29: 97. -٤٤

Rollefson, G., and Kafafi, Z., "Khirbet Hammam: A PPNB Village in the Wadi el Hasa, Southern Jordan". Bulletin of the American Schools of Oriental Research 1985, 258: 66. -٤٥

Kirkbride, D., "Five Seasons". PEQ, 1966, 98: 55. -٤٦

Gebel, H. G., "Late Epipalaeolithic". The Prehistory of Jordan. 1988: 81

Kirkbride, D., "Beidha. 1965". PEQ, 1967, 99: 203-204. -٤٧

Rollefson, G., Simmons, A., and Kafafi, Z., " Neolithic Cultures at Ain Ghazal, Jordan". Journal of Field Archaeology, 1992, 19: 50. -٤٨

Nissen, H., Muheisen, M., and Gebel, H. G., "Report on the Excavation at Basta 1988". Annual of the Department of Antiquities of Jordan, 35 (1991): Pp. 15-16. fig. I. -٤٩

٥٠- محيسن، مجاهد و نيسن هانز الموسم الرابع للحفريات الاثرية في بسطه ١٩٨٩". أنباء المعهد ٧-٨ (١٩٨٩): ٩-١٠.

Nissen et al., ibid. ADAJ, 1991, 35: 15-16. -٥١

Kirkbride, D., "Five Seasons". PEQ, 1966, 98: 12. fig. 2. -٥٢